الجمهورية العربية السورية

جامعة دمشق

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ



الصراع الدولي على البحر الأحمر بين عامي ١٧٩٨-١٨٤١ دراسة تاريخية –سياسية

مشروع بحث أعد لنيل درجة الماجستير في تاريخ العرب الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة:

سماح احمد محرز

إشراف:

أ.م. د.عبد المنعم الأحمد

العام الدراسي

١٤٣٨هـ/٢٠١٨م

جدول المحتويات

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة الصراع الدولي على البحر الأحمر بين عامي ١٧٩٨-١٨٤١ من خلال تتبع الأدوار السياسية والتاريخية التي ارتبطت بالبحر منذ قيام الحملة الفرنسية على مصر إلى توقيع معاهدة لندن أي عام (١٨٤١)، كما تتناول الجهود التي بذلتها الدول المتصارعة والمتنافسة من أجل السيطرة عليه، وانعكاس هذه الأهمية على الأوضاع الدولية.

فمنذ قيام حركة الكشوف الجغرافية من قبل البرتغال، واكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح تراجع دور البحر الأحمر، وأصبح الطريق الجديد المعبر المائي المباشر الذي يربط بين الشرق والغرب، واقتصر دور البحر الأحمر كونه بحراً داخلياً؛ مما شكل ضربة قوية للاقتصاد العربي الإسلامي فترة السلطنة المملوكية المتحكمة بالطرق التجارية؛ وبالتالي كان هذا أحد أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط السلطنة المملوكية، وصعود السلطنة العثمانية التي سيطرت على المنطقة، وحرمت السفن الأوروبية من دخول البحر الأحمر، وجعلته بحيرة إسلامية على الرغم من محاولات الشركات التجارية (الهولندية- الإنكليزية- الفرنسية) الوصول إلى الدول المطلة على البحر الأحمر.

وحينما شهدت الدول الأوروبية نهضة شاملة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أدت إلى قيام ثورة صناعية في مجالات الحياة كافة، فازدهرت الحركة الاقتصادية لديها، وبدأت الدول الأوروبية تنظر إلى أهمية البحر الأحمر، ولاسيما بعد الحملة الفرنسية على مصر، حيث اندفعت فرنسا إلى ضرب مصالح إنكلترا في الوصول إلى طريق الهند؛ للوقوف بينها وبين مستعمراتها، إلا أنها وجدت صراعاً كبيراً مع فرنسا؛ للحفاظ على نفوذها في البحر الأحمر، كما سعت روسيا بحروبها مع السلطنة العثمانية أن يكون لها موطئ قدم في المنطقة. من هنا بدأ الصراع الدولي حول هذا البحر، لاسيما بعد ظهور قوة مصرية تمثلت بالوالي محمد علي الذي أراد الاستقلال عن السلطنة العثمانية، فخشيت إنكلترا من نفوذه وحروبه في المنطقة على مصالحها؛ لذا قامت بضربه من خلال إجراءات عدة منها: قيام إنكلترا بالسيطرة على عدن عام ١٨٣٨، ومعاهدات أنهت الاحتكار التجاري والنفوذ السياسي لمصر، كمعاهدة بلطة ليمان، ومعاهدة لندن عام ١٨٤١، وختمت هذه الدراسة بأهم النتائج التي تم التوصل لها.

المقدمة

المقدمة:

يُعدّ البحر الأحمر أحد أهم الطرق الملاحية الأساسية في العالم؛ كونه يتحكم بالطرق التجارية بين الشرق والغرب؛ مما جعله موضع تنافس بين الدول وسبباً لاندلاع العديد من الحروب؛ بسبب حاجة الدول الصناعية إلى مواد الخام، والوصول إلى طريق الهند؛ وبالتالي فإن الجهة التي تسيطر عليه تعدّ لاعباً أساسياً في المنطقة، وتعطيه القدرة على التحكم بمدخل أحد أهم المعابر المائية، وبذلك شهد البحر الأحمر في ظل الصراع الدولي بين عامي ١٧٩٨-١٨٤١ أهم المحطات التاريخية، بما حملته من تغييرات، وتقلبات في موازين القوى الإقليمية من جهة، والدولية من جهة أخرى؛ خصوصاً بعد تراخي السلطنة العثمانية في سيطرتها على المشرق العربي، وبعد تخلص القوى الأوروبية من مشكلاتها باشرت التخطيط؛ لملء الفراغ الاستراتيجي في المجالات كافة.

وعلى الرغم من أهمية مسألة الصراع الدولي على البحر الأحمر، لم يحظَ باهتمام كبير من قبل الباحثين، وإن جل ما نجده في مكتبتنا العربية من دراسة لا يعدو سوى استعراض سريع لتاريخ بعض الدول المتشاطئة على البحر الأحمر؛ مما دفعني إلى اختيار موضوع لما يحتوي هذا البحر من ثروات طبيعية، فهو يعد أنموذجاً فريداً شكّل بميزاته نطاقاً حيوياً للدول الأوروبية التي وضعت استراتيجيات إدارة الصراع على ضفتيه؛ للحصول على مكاسب سياسية، واقتصادية، وجعله منطقة نفوذ تابعة لها، وما ترتب عن هذه السياسة من نتائج خطيرة على الدول المطلة على البحر الأحمر من جهة، وعلى السلطنة العثمانية من جهة أخرى، وانعكاسات الصراعات المحلية على مصالح القوى الكبرى، ومعالجتها بما يلائم مصالحهم الاستعمارية، والاقتصادية للدول الأوروبية.

أما بالنسبة للإطار الزمني لهذه الدراسة، فقد حدد منذ حملة الحملة الفرنسية على مصر بقيادة نابليون بونابرت سنة ١٧٩٨، حتى معاهدة لندن التي بموجبها تم تحجيم الوجود المصري في البحر الأحمر سنة ١٨٤١.

تكمن أهمية الدراسة في رصد الكثير من مجريات الأحداث التاريخية والسياسية في الصراع الدولي على البحر الأحمر؛ خصوصاً بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح الذي أفقد البحر أهميته كممر مائي، وتحولت السيطرة العثمانية إلى سيادة اسمية، وانحدرت حركة التجارة في شواطئ البحر الأحمر حتى انتعشت، وبرزت أهمية البحر الأحمر من جديد بعد مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت، وبدأ الصراع الدولي حول هذا البحر مع فكرة

وصل البحرين عن طريق القناة مباشرة، وكانت فرنسا تسعى إلى ضرب إنكلترا في الهند، والسيطرة على تجارة الشرق الأقصى مع أوروبا.

عندئذ عملت إنكلترا على ضرب المصالح الفرنسية، وطردها من مصر، وللتأكيد على قوة أسطولها، ونفوذها في البحر الأحمر والمحيط الهندي حاولت منع أي قوة تحاول الوصول إلى البحر الأحمر، كما تدخلت في الأوضاع الداخلية للدول المطلة على البحر الأحمر، عندما شعرت أن هناك فاتحة للوجود المصري بقيادة والي مصر محمد علي باشا الذي سعى إلى تشكيل دولة من خلال محاولاته في الانفصال عن السلطنة العثمانية في الوقت الذي بدأت روسيا القيصرية الوصول إلى المياه الدافئة، ومن ثم الإكمال نحو البحر الأحمر، فما كان من إنكلترا سوى تحجيم محمد علي، وإنهاء وجوده في شبه الجزيرة العربية، وجنوب البحر الأحمر من خلال إجراءات عدة، منها: مساندة المناوئين له في مناطق نفوذه، ومن ثم احتلال المناطق التي تعدَ مراكز حيوية لها مثل ميناء عدن؛ فضلاً عن دخولها المسرح السياسي عن طريق فرض معاهدات تعمل على تقويض نفوذه في المنطقة، والقضاء على سياسته الاحتكارية كمعاهدة بلطة ليمان عام١٨٣٨ثم إنهاء وجوده في تلك المنطقة بموجب معاهدة لندن ١٨٤١.

إذاً، كان الصراع والتنافس الدوليين في منطقة البحر الأحمر ظاهرة استعمارية بدأت تتبلور بشكل كبير خلال فترة الدراسة، وجب على الدراسة الإجابة على التساؤلات الآتية:

١-ما الآثار والعواقب الجيوسياسية والاقتصادية من تحول طريق التجارة، وانتقال السيطرة من أهل الشرق إلى الغرب بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح على الأراضي العربية؟

٢-ما جوهر العلاقات التنافسية بين الدول الأوربية للسيادة على الهند التي انتهت باستيلاء إنكلترا على المستعمرات الأوربية؟ وإلى أي مدى تعود جذورها التاريخية؟

٣-ما دور الحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت على مصر سنة ١٧٩٨كبداية للتغلغل الأجنبي الذي سعى إلى تحقيق مصالحه الاستعمارية في منطقة البحر الأحمر؟

٤-ما موقف الدول الأوروبية؛ وخاصة إنكلترا، وروسيا، وفرنسا، والدولة العثمانية من التوسع المصري، وعلاقاته مع القوى المحلية في المناطق المطلة على البحر الأحمر؟

٥-ما الوسائل والأدوات التي استخدمتها إنكلترا؛ لفرض سيطرتها على المناطق المطلة على البحر الأحمر؟

٦-ما مواقف الزعامات المحلية والإقليمية من الصراع الدولي على البحر الأحمر؟

٧-ما الانعكاسات التي نتجت عن المعاهدات التي فرضتها الدول الأوروبية (معاهدة بلطة ليمان سنة ١٨٣٨-معاهدة لندن سنة١٨٤١) على المنطقة العربية بشكل عام، والدول المطلة على البحر الأحمر بشكل خاص؟

للإجابة عن هذه التساؤلات كافة، وفهم إشكالية الدراسة، لا بدَّ لنا من معرفة الظروف الدولية والإقليمية التي أثرت في الصراع الدولي في البحر الأحمر، وهذا ما سيتم التركيز عليه من خلال تحليل شامل ومتكامل للتطورات التاريخية والسياسية ضمن طيات هذه الدراسة.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي في دراسة طبيعة الصراع الدولي على البحر الأحمر وفق قراءة موضوعية مترابطة تخدم مقارنة الأحداث التاريخية للوصول إلى الحقيقة التاريخية.

كون هذه الدراسة شاملة بمعطياتها، فقد واجه البحث صعوبات عدة في أثناء العمل فيه، ومن أبرز هذه الصعوبات: اتساع المساحة الجغرافية في الدراسة؛ كونها تشمل الدول المتشاطئة على البحر الأحمر؛ فضلاً عن أحداث الدول الأوروبية التي أثرت بشكل كبير في منطقة البحر الأحمر؛ مما أدى إلى تعدد المعطيات التاريخية والموضوعات التي سيتم التطرق والتعرف إليها بشكل مكثف، وإذ تطلبت الدراسة في ظل ما يتعرض له وطننا الحبيب من أزمة حقيقة للوصول إلى المعلومات الدقيقة الاعتماد على بعض المكتبات العربية عن طريق المراسلة؛ للحاجة الملحة إلى تعدد المصادر والمراجع وتنوعها، وهذا ما يفسر ابتعاد الباحثين عن دراسة البحر الأحمر؛ لتشابك الأحداث، فأغلب المصادر والمراجع استحوذت على دراسة الدول المطلة على البحر الأحمر كوحدة مستقلة، وكما واجه البحث صعوبة في دراسة عدد من المصادر؛ بسبب النظرة المنحازة إلى الدولة التي ينتمي إليها الكاتب الداخلة في الصراع آنذاك.

تم تقسيم الرسالة إلى: مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة، وملاحق، وأخيراً قائمة بأسماء المصادر والمراجع المستخدمة.

أما المقدمة: فقد تضمنت أهمية الدراسة، وأسباب اختيار البحث، وإشكالية الدراسة مع تقديم لفصول الدراسة؛ فضلاً عن نقد أهم المصادر والمراجع المستخدمة فيها.

وتحدث الفصل الأول التمهيدي عن التنازع الدولي على البحر الأحمر قبيل عام ١٧٩٨، حيث بحث القسم الأول في تسمية البحر الأحمر، أما القسم الثاني فقد وضح الموقع والوصف الجغرافي لمعرفة البحر وأهميته الاستراتيجية، وأهم الخلجان، والمضائق، والجزر، ومناخ هذا البحر، بينما تناول القسم الثالث الملامح التاريخية للبحر الأحمر عن طريق دراسة السيطرة

العثمانية على المناطق المطلة على البحر الأحمر، والتنافس الدولي على البحر الأحمر من خلال تتبع المصالح البرتغالية، والهولندية، والإنكليزية، والفرنسية.

أما الفصل الثاني، فقد اندرج تحت عنوان الصراع الدولي على البحر الأحمر بين عامي ١٧٩٨-١٨٢٠م حيث درس القسم الأول تداعيات وجود الغرب في البحر الأحمر ما بين (١٧٩٨ -١٨٠١) بذكر أسباب الحملة الفرنسية على مصر، ودخولها إلى مصر ثم توجهها إلى بلاد الشام، وعودة نابليون إلى فرنسا، ثم الإجراءات التي اتخذتها إنكلترا؛ لصد الوجود الفرنسي في البحر الأحمر؛ فضلاً عن دراسة انسحاب الحملة الفرنسية من مصر، ونتائج هذه الحملة، وأثرها في البحر الأحمر، وبالنسبة للقسم الثاني فبيّن التدخل الأوروبي في أراضي السلطنة العثمانية، وتأثير ذلك على منطقة البحر الأحمر ما بين (١٨٠٢-١٨٢٠)، حيث تطرق كيفية إلى وصول محمد علي إلى الحكم، ومحاولة إنكلترا السيطرة على مصر؛ بإرسالها حملة فريزر١٨٠٧، وتداعيات الحرب الروسية العثمانية والموقف الفرنسي المصري منها(١٨٠٦-١٨١٢)، علاوة على ذلك إيعاز السلطنة العثمانية لواليها محمد علي في مصر بالقضاء على الحركة الوهابية في الحجاز، وأزمة الخليج العربي، والتدخل المصري في الإحساء بأمر من السلطنة العثمانية، وأثره في البحر الأحمر. أما القسم الثالث فوضّح النشاط المصري على الساحل الغربي للبحر الأحمر عن طريق حملة محمد علي على السودان ١٨٢٠، ونتائجها على المنطقة.

خُصّص الفصل الثالث لدراسة الصراع الدولي على البحر الأحمر بين عامي(١٨٢٠-١٨٤١)، حيث تناول القسم الأول الأوضاع الدولية والإقليمية التي أثرت في التوسع المصري في شبه الجزيرة العربية من خلال حروب الشام الأولى، وتأثيرها في الوضع العام(١٨٣١-١٨٣٣)، وأثر التوسع المصري في الحجاز، وثورات الجند غير النظامية، وثم أثر التوسع المصري في نجد، والدولة السعودية الثانية، وتطورات الموقف المصري في سيطرته على اليمن، وكرّس القسم الثاني لدراسة التنافس الإنجليزي الفرنسي في عدن وجنوب البحر الأحمر. من خلال الحديث عن الممهدات الأولى في استيلاء إنكلترا على عدن، ومواقف الدول الأوروبية منها، وأخيراً ذكر القسم الثالث المعاهدات التي أسهمت في تعزيز الوجود الأوروبي في المنطقة. مثل معاهدة بلطة ليمان١٨٣٨، ومعاهدة لندن الثانية ١٨٤١. أما الخاتمة: فتضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

اعتمدت الدراسة بعنوانها على مجموعة متنوعة من الوثائق، والمصادر، والمراجع الأجنبية، والعربية، قدمت بمجملها معلومات قيمة أسهمت في إثراء الدراسة وتمثلت المصادر في:

١- الوثائق غير المنشورة:

أفَدْتُ من وثيقة من أرشيف دار الوثائق القومية في القاهرة، "محافظ الدشت"، سجل ١٥٥ في موضوع وجود إدارة جمركية للسلطنة العثمانية في جزيرة كمران، واستخدمت كلتي الوثيقتين في الفصل التمهيدي، وأخيراً وثائق وزارة الخارجية البريطانية British Foreign office محفوظة في قسم الوثائق في المكتبة المركزية، بجامعة بغداد.

٢- الوثائق المنشورة:

تُعدّ الوثائق المنشورة مصادر مهمة في إغناء الرسالة بالمعلومات لما فيها من تفاصيل دقيقة، كما اعتمدت الرسالة على مجموعة من الوثائق العربية المنشورة، والعثمانية، والفارسية، والأجنبية، وفيما يخص العربية: تم الاعتماد على الكتاب الوثائقي المحفوظات الملكية المصرية بيان وثائق الشام وما يساعدها على فهمها، ويوضح مقاصد محمد على الكبير للكاتب، وهو أسد رستم، ويتألف الكتاب من ٤مجلدات ما بين(١٨١٠-١٨٤١)، حيث يبيّن وثائق الشام جميعها الموجودة في المحفوظات الملكية التي تعود إلى عهد محمد علي باشا، ويُعَدّ دليلاً للمؤرخين في دراسة هذه الحقبة من تاريخ الأقطار العربية متوخياً المحافظة على مضمون كل وثيقة، واستخدمته في الفصلين الثاني والثالث في أثناء الحديث عن دور محمد علي وتوسعاته،

وكذلك كتاب وثائق ونصوص في تاريخ الدولة العلية العثمانية-تاريخ مصر العثمانية لمؤلفه: عبد المنعم الجميعي، تناول دراسة تاريخية في تاريخ الدولة العلية العثمانية وتاريخ مصر العثمانية؛ متطرقاً إلى وثائق قيام الدولة العثمانية، وتاريخ سلاطين آل عثمان، وأسباب خلع عبد الحميد الثاني، وأفدتُ منه في الفصل الثالث.

وأما العثمانية، فمنها:

"OSMANLI BELGELERÝNDE MISIR" كتاب مصر في الوثائق العثمانية لمجموعة مؤلفين، ترجمه من التركية إلى العربية غالب ياووز الذي اعتمد على الوثائق الرسمية للسلطنة العثمانية في مرحلة مابين ١٥٥٩-١٩٢٠، وأفدتُ منه عند دراسة الحملة الفرنسية في الفصل الثاني.

وأما الكتاب الوثائقي باللغة الفارسية ايران/وزارت امور خارجى/دفتر مطالعات سياسى وبين المللى/واحد نشر اسناد."گزيده اسناد سياسى ايران وعثمانى: دوره قاجاريه: وهو كتاب

موجز عن الوثائق السياسية بين إيران والسلطنة العثمانية في الفترة القاجارية، فهو تابع لوزارة الخارجية الإيرانية، وأفدت منه في الفصل الثالث عندما طرحت فكرة محاولات التوسع باتجاه الأراضي العثمانية، وخطر ذلك على مخطط إنكلترا.

أما الوثائق الأجنبية باللغة الإنكليزية:

India Foreign and Political Dept, Precis of Papers Regarding Aden, 1838-1872,

لمؤلفه Ney Elias سياسة الهند الخارجية ملخص أوراق عن عدن ما بين ١٨٣٨-١٨٧٢، وأفدتُ منه في الفصل الثالث.

وأيضا كتاب وثائقي باللغة الإنكليزية Indian Papers No IX: Correspondence relating to Aden، 28 May 1839 كتاب أوراق هندية رقم تاسعاً: مراسلات تتعلق بعدن، ٢٨ مايو ١٨٣٩، يضم مجموعة من المراسلات عن عدن أفدتُ منها في الفصل الثالث.

٣-المخطوطات:

تعد المخطوطات من المصادر المهمة التي أُعتمِدت في إغناء البحث، ومن أشهرها مخطوط يعود لدارة الملك عبد العزيز باسم تحفة المشتاق في أخبار نجد والعراق لمؤلفه عبد الله بن محمد بن عبد العزيز آل بسام توفى سنة ١٣٤٦هـ تقريباً، ونقله عن الأصل الخطي المحفوظ لدى ورثة المؤلف بخطه نور الدين شريبه.

٤- المصادر والمراجع العربية:

استعملت "هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن" للمؤلف أحمد فضل بن علي محسن، العبدلي، وهو مؤلف تاريخي قيّم امتاز بدقة معلوماته في الحديث عن الأوضاع السياسية في اليمن، ولاسيما الإمارات والسلطنات في الجنوب اليمني؛ وبالتحديد لَحج وعدن إبان الاستعمار الإنكليزي، ويسرد الأحداث منذ العصور القديمة وحتى وفاة السلطان علي ابن أحمد بن علي محسن، وسقوط السلطنة العبدلية في يد السلطنة العثمانية. وأفدتُ منه في الفصل الثاني والثالث .

كما أفدتُ من كتاب "المجد في تاريخ نجد" لمؤلفه عثمان بن عبد الله بن بشر، وهو كتاب مهم يتناول تاريخ الدولة السعودية الأولى وحركة محمد بن عبد الوهاب التي عرفت واشتهرت بمسمى الوهابية، وقد كُتبَ الكتاب بالطريقة التقليدية وهي (الحوليات) تسلسل زمني حسب السنين. تكمن أهمية الكتاب؛ كون ابن بشر عاصر نهاية الدولة السعودية الأولى، وعاصر الدولة السعودية الثانية. وأفدتُ منه في الفصلين الثاني والثالث .

أما "تاريخ العربية السعيدة أو اليمن" لمؤلفه إف إل بلايفير، والذي كان على رأس المدفعية تحت قيادة الكابتن هينز، ثم الحاكم الذي خلفه أوترن، وقام الدكتور سعيد عبد الخير النوبان، وعلي محمد باحشوان بترجمة الكتاب إلى العربية، حيث يعالج سياسة إنكلترا ومراميها من تسيير دفة الحكم في عدن ومحمياتها، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى إبراز معالم حضارة اليمن وتاريخها على ضوء المعطيات التي وجدت تلك الفترة، وأفدتُ منه في الفصلين الثاني والثالث.

أما فيما يتعلق بكتاب "مذكرات عن رحلة الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩" لمؤلفه ج. فورستر، سادلير ترجمة: أنس الرفاعي فقد سلط الضوء على طبيعة الصراعات والولاءات الداخلية والخارجية لقبائل العرب في العقدين الأول والثاني من القرن التاسع عشر الميلادي؛ أي مع إنكلترا، والفرس، ومصر فترة محمد علي باشا، والسلطنة العثمانية، وسادلير ذهب بمهمة خاصة داخل جزيرة العرب عقب سقوط مدينة الدرعية على يد محمد علي، وكان مكلفاً من قبل الحاكم العام لإنكلترا في الهند؛ لحشد القوى المحلية من آل سعيد في مسقط، والإقليمية؛ المتمثلة في قوات محمد علي التي بقيادة ابنه إبراهيم باشا قائد الحملة المصرية على نجد والحجاز؛ وذلك للإطاحة بنفوذ القواسم من حكام الشارقة ورأس الخيمة الذين يهددون الملاحة في الخليج ونسف المصالح التجارية لشركة الهند الشرقية ورحلته داخل مجتمع بدوي قبلي اهتم سادلير في أثناء رحلته بسرد طبائع النفوس وتصرفات الناس من سكان صحراء العرب على اختلاف قبائلهم. لكن إنجازه كان استثنائياً وكان تعبيراً عن وضع نفوذ إنكلترا في داخل الخليج العربي وامتداده للتوسع باتجاه البحر الأحمر.

أما أهم المراجع، فهي: "سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦-١٢٦٥هـ/١٨١١-١٨٤٨م" للكاتب طارق عبد المعطي غنيم بيومي الذي يغطي فيه فترة تاريخية مهمة من تاريخ مصر، حيث شهدت في تلك الفترة قيام واليها محمد علي ببناء كيانها في العصر الحديث، وكانت سياسة محمد علي الخارجية والعسكرية استهدفت تأمين حدود مصر؛ لتكوين إمبراطورية مصرية. وقد كان ميدان البحر الأحمر أهم الميادين؛ لأن الدول الكبرى بدأت تتنافس للسيطرة عليه؛ لكونه أقصر الطرق إلى الشرق، وألقى هذا المرجع الضوء على طموحات واليها محمد علي باشا في تلك المنطقة، وأُفِدت منه في الفصلين الأول التمهيدي والفصل الثالث.

كما استخدمت كتاب "عدن والسياسية البريطانية في البحر الأحمر (١٨٣٩-١٩١٨)"، لمؤلفه فاروق عثمان أباظة الذي لديه عدد من المؤلفات التي استخدمت منها "الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ -١٩١٨". تأتي أهمية الدراسة بما تتناوله من سياسة إنكلترا في منطقة البحر

الأحمر بدءاً من احتلال عدن والدور الذي أدته شــركة الهند الشــرقية الإنكليزية بالتواصــل مع الدبلوماســيين الإنكليز ووزارة خارجية إنكلترا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى وكونه أي البحر الأحمر حلقة من حلقات التاريخ اليمني والعربي الحديث والمعاصر؛ فضـلاً عن كونها حلقة من حلقات دراســة النشــاط الاســتعماري الأوروبي بوجه عام، وإنكلترا بوجه خاص، وأفدتُ منها في فصول الدراسة.

٥- المصادر والمراجع الأجنبية:

ومن الكتب الأجنبية باللغة الإنكليزية التي أغنت الرسـالة كان كتاب:(An account of the British settlement of Aden in Arabia) لمؤلفـه: وزير الخـارجيـة (Hunter، Frederick Mercer)، فهو يتحدث عن ســـرد للمســـتوطنة الإنكليزية في عدن في الجزيرة العربية، وأسهم في إعطاء لمحة جغرافية عن عدن، وأفدتُ منه في الفصل الثالث.

فضـــلاً عن كتـابٍ رَفَدَ الـدراســـةَ عن الســـلطنـة العثمـانيـة بـاللغـة الإنكليزيـة بـعـنـوان:(HISTORY OF THE OTTOMAN EMPIRE AND MODERN TURKEY، Volume I Empire of the Gazis: The Rise and Decline of the Ottoman Empire، 1280-1808،) لمؤلفـه: (j، SHAW، STANFORD) وهو يهتم بتـاريخ الإمبراطوريـة العثمـانيـة وتركيـا الحديثـة والمجلـد الأول: إمبراطوريـة غـازي: الارتفـاع والانحدار الإمبراطورية العثمانية ١٢٨٠-١٨٠٨، لذا أفدتُ منه في التحدث عن البدايات الأولى للسلطنة العثمانية في الفصل الأول التمهيدي.

وكذلك كتبٌ بلغة الفرنســية، منها: كتاب بعنوان: (Expédition de Bonaparte en Égypte) للمؤلف (PARLOUIS ADOLPHE THIERS)، وتـأتي أهميـة الكتـاب كونـه يتحدث عن نابليون، وحملته على مصر، واستفدت منه في الفصل الثاني.

وهنالك كتاب باللغة الفارسية بعنوان: (تاريخ قرن هجدهم انقلاب كبير فرانسه وامبراطورى نابلئون) للمؤلف: (البر ماله، ايزاك زول): وهو يتحدث عن تاريخ القرن الثامن عشـــر، الثورة الفرنســية، والإمبراطورية النابليونية، وكان هذا الكتاب نافذة على تاريخ فرنســا، وأوضــاعها فترة القرن الثامن عشر، وأفدتُ منه في الفصل التمهيدي الأول.

٦- الرسائل والأطاريح:

أما فيما يتعلق بالرســائل والأطاريح، فقد ســهلت للباحثة التعرف إلى الكثير من الأحداث والتطورات السـياسـية التي أغنت الرسـالة بالمعلومات والتفاصـيل الوافية، ومنها: أطروحة رياض محمود الأسـطل التي كانت تحت عنوان: "الصـراع الإسـلامي البرتغالي وأثره في حركة التجارة

الدولية"، الصــادرة عن جامعة السـند في باكسـتان، أفدتُ منها في أثناء الحديث عن المصــالح البرتغالية في البحر الأحمر في الفصل الأول التمهيدي.

وكذلك رسالة ماجستير بعنوان: "التوسع المصري في الجزيرة العربية (١٨١١-١٨٤٠)"، للباحثة سـناء إبراهيم جاسـم التكريتي الصــادرة من كلية التربية في جامعة تكريت، والتي أفدتُ منها في الحديث عن توسع محمد على في اليمن.

٧- الدوريات:

العربية:

ارتكزت الدراســـة على عدد من الدوريات المهمة؛ لما تحمله من معلومات غنية وقيمة، منها: مجلة الدارة التي تصدر عن دارة الملك عبد العزيز بالرياض، ومجلة الفكر السياسي التي تصــدر عن اتحاد الكتاب العرب في دمشــق، ومجلة الوثيقة التي تصــدر عن مركز الوثائق التاريخية في البحرين، ومجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، مجلة سر من رأى، التي تصـدر عن كلية التربية جامعة سـامراء، مجلة المؤرخ العربي التي تصــدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب في بغداد...وغيرها

وأخيراً أضـع هذا الجهد المتواضـع بين يدي الأسـاتذة الأفاضـل؛ لإبداء ملاحظاتهم عليه، وتصحيح الرسالة وهفواتها، ومع خالص تمنياتي أن يكون هذا العمل في خدمة المعرفة التاريخية وإثرائها.

ولابد من توجيه كلمة شكر وعرفان إلى كل من وضـع بصمته وجهده في مساعدتي على إنجاز الرسالة، وأخص بالشكر كلاً من لجنة المناقشة؛ لما أعطوه من وقتهم، وجهدهم، وخبرتهم، وإلى دكتوري المشـرف عبد المنعم الأحمد؛ لسـعة صـدره، وما بذله من جهود كبيرة، وتوجيهات قيمة وثمينة؛ لتوجيهاته المستمرة والوقوف على صغيرة وكبيرة في البحث في البحث حتى أصبح بهذه الصورة.

الفصل الأول التمهيدي:

التنافس الدولي على البحر الأحمر قبيل عام ١٧٩٨

أولاً – التسمية:

ثانياً – الموقع والوصف الجغرافي:

١- البحر الأحمر وأهميته الاستراتيجية.

٢- الخلجان والمضائق.

٣- أهم جزره.

٤- المناخ

ثالثاً – الملامح التاريخية للبحر الأحمر:

١- السيطرة العثمانية على المناطق المطلة على البحر الأحمر.

٢- التنافس الدولي على البحر الأحمر:

آ-المصالح البرتغالية.

ب-المصالح الهولندية.

ج-المصالح البريطانية.

د-المصالح الفرنسية.

أولاً-التسمية:

تعددت تسـميات البحر الأحمر، فقد أطلق عليه الجغرافيون والباحثون أسـماء عدة تبعاً للمنطقة التي يمر بها أو تبعاً للأقوام التي تسكنه، وإما تبعاً للمواد والألوان التي يتكون منها:

أشارت بعض المصادر إلى أن المصريين القدماء، استخدموا كلمة الأخضر العظيم في تسمية البحر، وكانت أكثر التسميات المصرية شيوعاً، واكتسب اسمه (اللون الأخضر) من شيء أو علامة يكون المراد إليه، فمثلاً اختار المصري ساق البردي؛ لتصبح العلامة الهيروغليفية الدالة على اللون الأخضر، ثم اكتسبت هذه العلامة معاني أخرى، مثل طازج، وأصبحت فيما بعد، ترمز للنمو، والازدهار، والحياة الجديدة، والبعث[(١)].

كما ورد اسم البحر لدى الإغريق، والرومان باسم البحر الإريتيري[(٢)]تريكو ديسيميوم أرثريوم (Trichonesmium Erythneaum)أي البحر الأحمر، وسبب التسمية لانعكاس لون الطحالب الموجودة على سطحه[(٣)]، فقد شمل أيضاً شمالي المحيط الهندي وجنوبي شبه الجزيرة العربية؛ فضلاً عن الخليج الفارسي[(٤)]. بينما أطلق عليه ابن إياس بحر الحجاز[(٥)]، وسمّي – أيضاً – ببحر القلزم إشارة إلى مدينة القلزم[(٦)].

---

(١) ضحى محمود مصطفى، (الألوان في مصر القديمة ودلالاتها التاريخية)، مجلة المؤرخ المصري دراسات وبحوث تاريخية، يصدرها قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد٥، كانون الثاني، ١٩٩٠، ص١٢-٢١.

(٢) وليد محمد جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، دوحة، ط١، ١٩٨٦، ص١١.

(٣) عثمان صالح سبي، صراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص٨.

(٤) حاتم الطحاوي، (البحر الأحمر في المصادر البيزنطية القرن السادس الميلادي)، مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق، العدد٥٥، خريف٢٠١٠، ص٧٤.

(٥) محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥ج، حققه محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤، ج٤، ص١٠٩.

(٦) القلزم: مدينة من أعمال مصر على ساحل البحر، وبها يعرف البحر، وسمي القلزم؛ لأنه في مضائق بين الجبال، وهي مدينة ليس بها زرع ولا شجر ولا ماء، وماؤهم تحمل إليهم من آبار بعيدة، وهي تامة العمارة، ومنها تحمل حمولات مصر والشام إلى الحجاز واليمن، أبو القاسم محمد بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، منشورات= دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢، ص٥٣. محمد عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص٤٦٦.



ذكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، أن جنوب البحر يسمى بحر الحبشة وشماله يسمى بحر اليمن، ويشكل كلاهما بحر القلزم[١]، كما عرف ببحر إيلة عند مدينة إيلة، وسمي ببحر النعام، ومرة أخرى، ببحر عيذاب، نسبة إلى ميناء عيذاب[٢]، كما أن البحر سمي البحر الفرعوني، وببحر جدة عند ساحل مكة[٣]، وسماه ابن خرداذبة البحر الشرقي الكبير[٤]. وذهب المقدسي إلى تسميته بالبحر الفارسي؛ لأن معظم صناع السفن وملاحيها في تلك المنطقة من الفرس[٥]، كما سمي ببحر الصين؛ لأن السفن التجارية كانت تذهب إلى الصين محملة بالعاج، والبخور، والذهب؛ لكي تقايضها بالمواد التي تنتجها الصين، وأهمها الحرير[٦]. سمّاه بعض الجغرافيين بالبحر الأحمر اعتماداً على مكوناته الطبيعية، حيث غلب عليه اللون الأحمر [٧].

مما سبق يتضح، أن الآراء والتفسيرات حول تسمية البحر الأحمر متفقة إلى حد ما أن التسمية تكون تبعاً للمنطقة التي يمر منها، أو تبعاً للتكوينات الطبيعية التي يتكون منها البحر، ولكن إلى هذه الفترة نلاحظ أن السبب الحقيقي وراء تسميته بالبحر الأحمر مازال لغزاً، ويكتنفه الغموض.

ثانياً-الموقع والوصف الجغرافي:

أدى العامل الجغرافي دوراً مهماً في فهم السياق العام والخاص لكثير من الأحداث التاريخية؛ لأن الطبيعة وعناصرها، تدخلت في صنع الحدث التاريخي؛ فضلاً عن العنصر البشري، ومن هنا سيوضح البحث أهمية البحر الأحمر.

(١) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ٥ج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ج١، ص٢١.

(٢) محمد بن محمد القدسي ابن ظهيرة، فضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، وكامل المنهدس، دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩، ص١٠.

(٣) السيد عبد العزيز سالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة الشباب الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣، ص٧٣.

(٤) أبو القاسم عبيد الله بن عبد لله بن خرداذبة، المسالك والممالك، مطبعة ليدن، مطبعة بريل، بيروت، ١٨٨٩، ص٦١.

(٥) شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١، ص١٨.

(٦) ريتشارد هول، إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمة كامل يوسف حسين، مركز للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٩، ص٢٧.

(٧) جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر ....، ص١٢.



١-أهمية البحر الأحمر:

إنّ تصدع القشرة الأرضية شكل البحر الأحمر؛ مما أدى إلى تباعد شبه الجزيرة العربية عن إفريقية، وهذا التصدع امتد إلى وادي الأردن، والبحر الميت في الشمال منه، وإلى الوادي الإفريقي المتصدع الشرقي في الجنوب(١)، تكونت على امتداد هذا الأخدود الصدعي سلاسل جبال انكسارية(٢)، وتكونت من مجموعتين:

١-مجموعة سلاسل جبال البحر الأحمر في مصر(٣) والسودان: تمتد على الضفة الغربية للبحر الأحمر، من رأس خليج سويس شمالاً حتى هضبة الحبشة في الجنوب، يبلغ متوسط الارتفاع بين ٨٠٠ و ١٠٠٠ م، وأعلى قممها جبل شايب البنات، وجبل حماطة، وشكلت شبه جزيرة سيناء امتداداً لهذه الجبال.

٢-مجموعة سلاسل جبال الحجاز وعسير ومرتفعات اليمن: تمتد بشكل مواز لسلاسل جبال البحر الأحمر في مصر والسودان، من خليج العقبة حتى خليج عدن، يتراوح عرضها بين ١٢٠-٢٤٠كم (٤).

يقع البحر الأحمر في الزاوية الجنوبية الغربية من قارة آسيا، ويُعدّ من أبرز المساحات المائية الموجودة في العالم، لكونه قريباً من المنافذ الاقتصادية والموارد الحيوية؛ فضلاً عن موضعه على الطرق التجارة العالمية، واستخدامه للملاحة الدولية، حيث أصبح الممر التجاري لتموين العالم الأوروبي بكل ما يلزمه من منتجات: كالحديد، والأرز، والشاي من الصين؛ فضلاً عن منتجات الهند: كالشاي، والكتان، والتوابل الثمينة من جزر التوابل؛ فضلاً عن الصمغ واللبان من منطقة شبه الجزيرة العربية؛ مما شكل محطة للصراع والتنافس الدوليين عبر التاريخ،

---

(١) كامل يوسف حسين، (الحيد المرجاني في البحر الأحمر ثروة تحت الماء تنتظر كشف أسرارها) ، مجلة الفيصل، العبيكان للطباعة والنشر، الرياض، العدد١٣٢، جمادى الآخر ١٤٠٨-السنة الحادية عشرة -كانون الثاني، شباط، ١٩٨٨، ص٦٨.

(٢) آمال إبراهيم محمد، الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الدراسات والبحث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٩٣، ص٢٣.

(٣) يمتد إقليم مصر من العريش إلى برقة والصحراء الليبية غرباً، وإلى الشرق المناطق الواقعة بين النيل والبحر الأحمر والسودان والحبشة جنوباً. ابن ظهيرة، الفضائل الباهرة...، ص١٠-١١.

(٤) ناجي علوش، الوطن العربي الجغرافية الطبيعية والبشرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦، ص١٩.

حيث شكل همزة وصل بين القارات آسيا وإفريقية من جهة وأوروبا من جهة أخرى[١]. يحد البحر الأحمر من الشرق الجزيرة العربية وبلاد الشام، ومن الغرب مصر، والسودان وساحل الدناكل وساحل الصومال[٢].

تمتد سواحل البحر الأحمر على جانبيه بمسافة ٢١٠٠ كم، ويبلغ طوله من خليج العقبة حتى باب المندب ١٠٩٠ كم، بينما السهول الساحلية تتفاوت في اتساعها من منطقة لأخرى حيث تضيق عند شبه الجزيرة العربية، وتبلغ في المنطقة الوسطى حوالي ١٥ كم، و تتسع في الجنوب وتصبح حوالي ٦٠ كم[٣].

تكونت هذه السهول من الترسبات الرملية، والمائية القليلة التي تجمعت عند مصبات الأودية، وشكلت فيها الموانئ الرئيسة، مثل: رأس غارب، والقصير، وسفاجة، وحلايب، وسواكن[٤].

يتفرع البحر الأحمر في الشمال إلى ذراعين، الأول: خليج العقبة، والثاني: خليج السويس، حيث شكلا مثلث شبه جزيرة سيناء، ثم ينحدر باتجاه الجنوب، ويضيق عند باب المندب، وتقدر كمية المياه التي يبلغها البحر حوالي ٢١٥٠٠ كم مربع؛ لذا يُعدّ من البحار الداخلية العميقة[٥].

اكتسب البحر الأحمر أهمية اقتصادية وجمالية؛ لوجود جزر مختلفة الأحجام، بلغ عددها أكثر من ثلاثمائة جزيرة[٦]، تشكلت نتيجة نشاط البراكين في عصور جيولوجية مختلفة؛ فضلاً عن وجود ممرات مائية طبيعية جعلت منه ميزة مهمة للدفاع عن نقاط عديدة، والتحكم بالملاحة البحرية التي تعد رئة الحياة الاقتصادية، حيث عُرف عنه منذ القدم بصعوبة الملاحة فيه؛ لكثرة الشعاب المرجانية[٧].

كما تتضح أهمية البحر الأحمر من خلال دوره في التواصل الحضاري، والتجاري بين الدول المتشاطئة عليه مع الدول الأوروبية التي أرادت الحصول على الذهب، والأرقاء السود من

---

(١) طارق عبد العاطي غنيم بيومي، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩، ص١٩-٢١-٢٩-٣٠.

(٢) محمد، الصراع الدولي...، ص١٩-٢٠-٣٠.

(٣) علوش، الوطن العربي الجغرافية ....، ص٤٤.

(٤) صبري فارس الهيثمي، حسن أبو سمور، جغرافيا الوطن العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٩، ص٤٧.

(٥) جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر...، ص١٢-١٩.

(٦) سالم، البحر الأحمر في ....، ص٣.

(٧) هول، إمبراطوريات ....، ص٢٦-٢٧.

إفريقية، وأقمشة الموسلين والمطرزة من الهند، وعلى الحرير، والأطباق المزخرفة من الصين[١]؛ فضلاً عن ذلك فقد كان البحر الأحمر متنوعاً بالثروات كالمعادن، واللؤلؤ[٢]، واستخراج العنبر، من الحيتان للحصول على الروائح الطيبة، كما تميز البحر الأحمر كونه مصدراً رئيساً للمعيشة في صيد الأسماك، والأحياء البحرية ؛ فضلاً عن ذلك نلاحظ أن تساقط مياه الأمطار الموسمية الشتوية يساعد في عملية الزراعة على سواحله كسهول تهامة في اليمن، والحجاز في شبه الجزيرة العربية[٣] .

مما سبق نستخلص الأهمية الاستراتيجية لموقع البحر الأحمر، فقد تمكّن من تحقيق الترابط، والاتصال بين الشرق والغرب؛ وذلك بالاعتماد على موقعه الجغرافي، وتنوع نشاطه الاقتصادي؛ مما جعل الدول المتشاطئة عليه مسرحاً، وميداناً بارزاً في سير الأحداث عبر التاريخ.

٢-الخلجان والمضائق:

تميز البحر الأحمر بكثرة الشعب المرجانية الناتئة التي تعترض السفن في خلجانه، ومن أهم هذه الخلجان:

أ- **خليج العقبة وخليج السويس:** عرف عن هذين الخليجين أنهما من أكبر الخلجان، حيث يقعان في شمال البحر الأحمر، الأول(خليج العقبة)في جهة شرق شبه جزيرة سيناء، والأخير(خليج السويس) في غرب شبه جزيرة سيناء[٤] .

ب- **خليج عدن:** تكون خليج عدن نتيجة حركات أدت إلى ابتعاد وتزحزح كل من كتلة شبه الجزيرة العربية عن كتلة الصومال، فتشكلت حافة سبأ التي تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، وتأتي أهميته؛ كونه يقع في جنوب البحر الأحمر بالقرب من باب المندب، مما

---

(١) هول، إمبراطوريات ....، ص٣٥-٣٦.

(٢) اللؤلؤ: يُعد اللؤلؤ من حيوانات البحار، يعيش داخل صدفة في قاع البحر، والصدفتان تكونان مفتوحتين بمقدار بوصة ونصف تقريباً، فيدخل تيار الماء من فتحة تسمى الشهيق، ويخرج من فتحة أخرى تسمى فتحة الزفير. هذا التيار المائي يحمل الغذاء والأوكسجين للمحارة، وإذا دخلت حصاة، أو حبة رمل، أو إحدى العوالق البحرية إلى داخل المحارة، تقوم بالدفاع عن نفسها، بإفراز مادة لمحاصرة هذا الجسم الغريب، ويتصلب هذا السائل، ويشكل لؤلؤة كبيرة مخططة ولها أشكال وألوان عدة. محمد إسماعيل جاويش، من عجائب الخلق في عالم البحار، الدار الذهبية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥، ص٩٥-٩٦.

(٣) أحلام أحمد عيسى، (البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي)، مجلة الآداب المستنصرية، العدد٦٥، ٢٠١٤، ص٥.

(٤) بيومي، سياسة مصر....، ص٢١.

أكسبه موقع استراتيجي، وشكل قاعدة رئيسة لميناء عدن؛ فضلاً عن ذلك مرور السفن والملاحة البحرية الدولية، ويوجد فيه العديد من الأسماك، والحيوانات القشرية[١].

كما شهدت سواحل البحر الأحمر وجود عدد من المضائق أسهمت في تقصير المسافات بين الدول، وكانت مراكز لمرور التجارة العالمية. ومن أهم المضــائق التي تتحكم بمداخل البحر الأحمر ومخارجه:

أ- **مضـــيق باب المندب:** هو قناة مائية تربط بين البحر الأحمر والمحيط الهندي، في الزاوية الجنوبية الغربية لشـــبه الجزيرة العربية، حيث يطل عليه كل من اليمن في شـــبه الجزيرة العربية، والصومال في أفريقيا، وتكمن أهميته، بأنه يربط آسيا بإفريقية[٢]؛ فضلاً عن كونه يشكل المدخل الجنوبي الوحيد للبحر الأحمر، ولكن السـفن تضـطر إلى المرور من المضـيق الضـيق الذي بين جزيرة ميون والجانب العربي من البر، ويشـــكل عرضـــه أقل من ٣ كم لوجود نتوءات صخرية بركانية[٣] .

ب- **مضيق تيران:** يتحكم في مدخل خليج العقبة الذي يشكل الذراع الشمالية الشرقية للبحر الأحمر، وتقسـمه جزره كجزيرتي تيران وصـنافير [٤]إلى ممرات عدة، واحد منها صـالح للملاحة، أما الباقي غير صالحين للملاحة.

ج- **مضـيق جوبال:** يقع في مدخل خليج السـويس الذي يعد الذراع الشـمالية الغربية للبحر الأحمر، ويتراوح عمقه مابين ٣٠٠-٣٣٠ قدماً؛ أي ١٠٠-١١٠ م، بينما بلغ الاتســـاع في

---

(١) عبد الله محمد علي نجاد، الأهمية الاســـتراتيجية للجزر اليمنية في البحر الأحمر وخليج عدن (١٩٤٥-١٩٧٣)، دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، ٢٠٠٦، ص٣٩-٤٠.

(٢) محمد، الصراع الدولي...، ص٢١.

(٣) محمد حسين الصافي، العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر البحر الأحمر في القرن ٨هـ-١٤م، إشراف: عبد الغني محمود العاطي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه في قسم التاريخ، شعبة العصور الوسطى، جامعة صنعاء، ٢٠٠٨، ص٢١.

(٤) أثيرت على مدار الشـــهور القليلة من التاريخ المعاصـــر لجزر تيران وصـــنافير كثيراً من الجدل والأحاديث بشـــأن الاتفاقية التي أبرمت بين الحكومة المصرية والمملكة العربية السعودية الخاصة؛ بترسيم الحدود البحرية بين البلدين التي تضـــمنت جزيرتي تيران وصـــنافير عام ٢٠١٦، ثم وافق مجلس الوزراء المصـــري على الاتفاقية التي أقرت بتبعية الجزيرتين للمملكة العربية الســعودية، وأحالها إلى مجلس النواب في ٢٩ ديســمبر ٢٠١٦، الذي وافق عليها بدوره بعد تصويت أجري بالجلسة العامة في ١٤ يونيو ٢٠١٧، وصدق عليها الرئيس عبد الفتاح السيسي في ٢٤ يونيو ٢٠١٧. قضية تيران وصنافير، الموسوعة الحرة ،٢٠١٨/٣/٥، الرابط الآتي: https://ar.wikipedia.org/wiki/

وسطه ٣٢ كم، وعند مدخله يضيق إلى ٢٩ كم[١]، وتوجد فيه عدة جزر، أهمها: جزر أم كمران وشدوان، وهي جزر صخرية جرداء [٢].

٣-أهم جزره:

يوجد في البحر الأحمر العديد من الجزر مختلفة الأحجام، ولكن أغلبها صغيرة الحجم ومختلفة الأنواع منها بركاني[٣]، وآخر مرجاني[٤]، وتتمتع هذه الجزر بأهمية؛ لكونها تقع في مناطق استراتيجية عند مداخل البحر الأحمر، ومن أهم هذه الجزر التي تعد أحد الركائز الأساسية للبحر الأحمر:

أ- **جزيرة ميون (بريم):** توجد عند مدخل مضيق باب المندب، وبلغت مساحتها حوالي خمسة أميال مربعة، ويذكر أنها تبعد عن عدن حوالي ٩٦ ميلاً غرباً[٥]، هي جزر بركانية صغيرة لا يكاد يوجد فيها ماء ولا غذاء، سيطرت على الممر الشرقي والغربي لباب المندب؛ مما جعلها محط أطماع الدول الاستعمارية كإنكلترا[٦].

ب- **صنافير وتيران:** تقع هذه الجزر عند مدخل خليج العقبة، وتتميز تيران بأنها أكبر حجماً من صنافير الموجودة في الشرق منها وعلى بعد ميل، وتتألف تيران من مجموعة جزر رملية، تتخللها بعض المرتفعات الصخرية التي يبلغ أقصى ارتفاع لها ١٧١٩ قدماً، والساحل المواجه لسيناء أكثر وعورة من الطرف المقابل له، وكما أنه محاط بالشعب المرجانية[٧].

---

(١) صلاح الدين حافظ، صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، سلسلة عالم المعرفة ٤٩، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢، ص٧٩.

(٢) السيد عليوة، (الجوانب الاستراتيجية في صراعات البحر الأحمر)، مجلة السياسة الدولية، مصر، العدد ٥٩، في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠، ص٣٧. بيومي، سياسة مصر ....، ص٢١-٢٢.

(٣) الجزر البركانية(volcanic Islands): تشكلت نتيجة حدوث ثورات بركانية في وسط المحيطات، وتجمع المصهورات واللافا (الحمم البركانية) على شكل مخروطات أو جزر بركانية، وترجع هذه الجزر في تكويناتها الصخرية إلى الصخور النارية الباطنية الناتجة عن الاندفاعات البركانية من قاع البحار والمحيطات. الهادي مصطفى أبو لقمة، محمد علي الأعور، الجغرافيا البحرية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ط٢، ١٩٩٩، ص٨٣-٨٤.

(٤) الجزر المرجانية (coral Islands): تتكون هذه الجزر من هياكل عظمية صلبة لحيوان المرجان مختلطة بكتل صخرية رسوبية جيرية التكوين. وترجع نشأة هذه الجزر إلى تجميع الهياكل المرجانية واختلاطها بتكوينات معدنية وصخرية متنوعة، وتنتشر الجزر المرجانية غالباً في المناطق الملائمة لنمو الشعاب المرجانية. أبو لقمة، الأعور، الجغرافيا...، ص٨٤.

(٥) محمد، الصراع الدولي...، ص٢١.

(٦) جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر....، ص٢٩.

(٧) جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر....، ص٢٦-٢٧.

ج- **جزر شدوان وجوبال:** وجدت هذه الجزر في خليج السويس[١].

د- **مجموعة جزر حنيش:** تقع في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر تجاه مضـــيق باب المندب، وتشمل هذه المجموعة حنيش الكبرى تبعد ١٤٠ كم عن جزيرة ميون، وتمتد من الشمال إلى الجنوب الغربي، وتبعد عن الشواطئ اليمنية حوالي ٢٥ كم، وتوجد إلى الغرب منها مجموعة صغيرة من الجزر مايفوق عشرين جزيرة، وأعلى ارتفاع لها حوالي ١٣٠ قدماً عن سطح البحر، وتبعد حنيش الصغرى حوالي ٢٠ كم عن حنيش الكبرى، و ٤٠ كم عن السواحل اليمنية، ويوجد فيها مجموعة من جزر صغيرة وصل عددها إلى أكثر من خمسين جزيرة[٢].

هـ- **جزيرة دهلك:** تقع في مواجهة مجموعة جزر حنيش، ويبلغ طولها ١٠٠ ميل، وتبعد ٤٠ كم عن ميناء مصوع، و ٣٥ كم عن مدينة مصوع[٣].

و- **جزيرة زقر:** تبعد مسافة ٣٣ كم عن غرب رأس المتبنة في شمالي اليمن، وهي من الجزر الكبيرة، وتتميز بارتفاع قممها؛ مما يعطيها أهمية، وميزة خاصة في متابعة التحركات البحرية في البحر الأحمر[٤].

ز- **جزيرة كمران:** ذكر ياقوت الحموي أنها تقع بالقرب من مدينة زبيد باليمن، غير أن اعتراض بعض الباحثين على ذلك؛ كونها تبعد عن زبيد حوالي مئة ميل أو أكثر باتجاه ساحل صليف مابين ثغري الحديدة جنوباً واللحية شمالاً[٥].

ح- **جزائر فرسان:** تتألف من مجموعة جزر مقابل ساحل عسير، وأكبرها جزيرة فرسان الكبير، وهناك بعض الباحثين يرجعون تسميتها إلى اسم العشيرة العربية التي تسكنها وتتمتع هذه الجزر بموقع مهم؛ فضلاً عن غناها بالثروات كاللؤلؤ[٦].

٤-المناخ:

اتصف مناخ منطقة البحر الأحمر بالصفة القارية وقلة الأمطار فيه لأسباب عدّة؛ منها بسبب ضيقه؛ مما لا يجعله يقوم بعمليات تبخر واسعة، وإحاطة الجبال والصحاري

---

(١) عبد اللطيف بن محمد الحميد، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العلمية الأولى(١٣٣٢-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٤، ص١٤.

(٢) حمد سعيد الموعد، أمن الممرات المائية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩، ص١٨.

(٣) الموعد، أمن الممرات...، ص١٩.

(٤) محمد، الصراع الدولي...، ص٢٢.

(٥) إسماعيل بن علي الأكوع، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط٢، ١٩٨٨، ص٧٧.

(٦) جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر....، ص٢٧.

به من الشرق والغرب، وهبوب الرياح السائدة عليه من الاتجاهات الشمالية والتي تكون بشكل عام جافة؛ بسبب قدومها من اليابسة. والرطوبة عالية[١]، والملوحة تقل من الشمال إلى الجنوب، وتختلف حركة التيارات البحرية بين الصيف والشتاء، كما تتباين حركة المد والجزر على الرغم من ارتفاعها[٢].

أدت التضاريس دوراً مهماً في توزيع الأمطار، التي تتساقط معظمها على المنحدرات المواجهة لهبوب الرياح الرطبة، بينما تقل وتكاد تنعدم في المنحدرات والمناطق التي تقع على الجانب الآخر، ومن هنا نجد، أن السلاسل الجبلية من أهم الحواجز المناخية، ولاسيّما الجبال الموازية للساحل التي تهب رياحها من ناحية البحر في مواجهة الجبال كمرتفعات اليمن، والجبال الممتدة على جانبي البحر الأحمر[٣].

ثالثاً – الملامح التاريخية للبحر الأحمر:

إن الموقع الجغرافي المميز للبحر الأحمر جعله حلقة مهمة في سلسلة المواصلات بين الشرق والغرب، وطريقاً للملاحة بين الدول؛ فضلاً عن إلى عمليات التبادل التجارية التي كانت تجري فيه؛ مما ساعد على ازدهار الاقتصاد. ومع تطور فنون الملاحة والمواصلات اتجه الأوروبيون بأنظارهم إلى بلاد الشرق الأقصى كالهند والصين وغيرها، فأصبح البحر الأحمر طريقاً لتحميل البضائع وإيصالها إلى منطقة الشرق الأدنى، ومن ثم إلى أوروبا، وبذلك حصل سكان البلاد المطلة على البحر الأحمر، والدول الأوروبية التي قامت بنقل هذه البضائع وتوزيعها، على أموالٍ طائلة، وأصبحت الضرائب المفروضة على تجارة الشرق الأقصى مورداً مهماً من الموارد الدول المطلة على البحر، ورافق ذلك ازدهار في الفكر، والأدب، والعلوم.

ولكن مع الحركات الاكتشافية، تم اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح؛ مما سلب المنطقة ثرواتها، وأوقعها بضائقة كبيرة؛ نتيجة توقف التجارة العالمية في البحر الأحمر لفترة من الزمن[٤].

---

(١) عبد العزيز شرف، الجغرافية المناخية والنباتية مع تطبيق على مناخ إفريقية ومناخ العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٠، ص٤٤٣-٤٤٥. جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر...، ص٣١.

(٢) محمد، الصراع الدولي ...، ص٢٢.

(٣) شرف، الجغرافية...، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٤) سبي، الصراع في حوض...، ص٩-١٠.

١-السيطرة العثمانية على المناطق المطلة على البحر الأحمر:

شـهد العالم في أواخر القرن الثالث عشـر الميلادي مجموعة من المتغيرات، أبرزها ظهور القبيلة العثمانية التي كانت من الأتراك الغز، حيث شـكّلت دولة مترامية الأطراف ليس فقط على الأراضـــي البيزنطية التي أزالتها نهائياً؛ وإنما من جنوب شـــرق أوروبا، والأناضـــول، وهنغاريا؛ وصـولاً إلى العالم العربي. ولكي نفهم طبيعة سيطرتهم على المنطقة العربية يجب أن نعرف من هم العثمانيون؟ ومن أين أتوا؟ [١].

اتفقت معظم الآراء حول أصـــل العثمانيين، أن أرطغرل رئيس عشـــيرة قايي اتجه إلى الأناضـــول في الربع الأول من القرن الثالث عشـــر الميلادي، خوفاً من المغول في خوارزم، واستقر بالقرب من الأناضول [٢]. وتشير عدد من الروايات التاريخية، أن والد أرطغرل هو كندز بن آلب، وبعضـها يذكر أن اسـم والده سـليمان شـاه؛ وذلك من أجل ربط هذا الاسـم بالسـلطنة السلجوقية[٣].

هاجر سـليمان شـاه مع قبيلته، وأولاده أرطغرل، وسـنكرتيكين، وطوغدان ووندو؛ خوفاً من الغزو المغولي؛ بحثاً عن الكلأ والماء نحو أذربيجان، وفي طريق العودة إلى بلدهم الأصـــلي، غرق ســـليمان في نهر الفرات في أثناء اجتيازه عام ١٢٣١، بينما أولاده افترقوا، حيث عاد البقية إلى أواسط آسيا.

شـــاهد أرطغرل جيشـــين يتقاتلان عند دخوله إلى الأناضـــول، وبفطرته البدوية وقف إلى جانب الضعيف؛ مما جعله في موقف المنتصر، وتبين أن هذا الجيش كان بقيادة السلطان علاء الدين السـلجوقي في حربه ضـد المغول[٤]، فمنحه السـلطان السـلجوقي علاء الدين قطعة أرض

---

(1)Stanford J Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: Empire of the Gazis: The Rise and Decline of the Ottoman Empire 1280-1808, 2Volume, University of California, Los Angeles,2002, Volume1,p1.

(٢) مؤلف مجهول، نبذة في ذكر ملوك آل عثمان، مخطوط، مكتبة الأسد، ((دمشـق))، رقم ٧٨٥٦، ص٦. عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣، ص٨.

(٣) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ٢مج، ترجمة: عدنان محمود سـلمان، مراجعة وتنقيح: د. محمود الأنصـاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، ١٩٨٨، مج١، ص٨٤.

(٤) علي حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٩٤، ص١٢-١٣.

له[١] في إقليم إسكي شهر، وطومانيج على حدود من الدولة البيزنطية[٢]، ويعزو سبب ذلك؛ لحماية السلطنة السلجوقية من الغارات البيزنطية أو ليتخلص من جميله. وصُبِغت الإمارة العثمانية بالطابع القبلي والعسكري، وتوسعت على حساب المناطق المجاورة عندما تجد الظروف ملائمة لذلك [٣].

توفي أرطغرل، فخلفه على سدة العرش ابنه عثمان (١٢٨١-١٣٢٦)؛ تكريماً لجهود أبيه في مساعدة السلطان السلجوقي، حيث استطاع التوسع على حساب الأراضي البيزنطية، واستقل بإقطاعها.

أجمعت معظم المصادر أن عثمان مؤسس الإمبراطورية العثمانية، وسميت السلطنة العثمانية باسمه، واستلم من بعده ابنه أورخان (١٣٢٦-١٣٥٩)، وبدءاً من عام١٣٢٦ أصبحت بورصة أول عاصمة للعثمانيين[٤]، واهتم بالعلم والعلماء من خلال إصداره قراراً يقضي بإنشاء جامعة إسلامية؛ فضلاً عن تكريس جهوده في تطوير الجيش، وبمساعدة أخيه علاء الدين، سك أول عملة فضية عام ١٣٢٧ وكانت شبيهة بالنقد البيزنطي. وسميت بالآقجة[٥] بمعنى القطعة البيضاء[٦]. وبعد وفاته بدأت السلطنة العثمانية تتوسع في آسيا وأوروبا على حد سواء عندما استلم ابنه مراد الأول (١٣٥٩-١٣٨٩) الذي سيطر على أدرنة، واتخذها عاصمة له لموقعها

---

(١) روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية،٢ج، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة – باريس، ١٩٩٤، ج١، ص١٧-١٩.

(٢) إبراهيم بك حليم، تاريخ الدولة العثمانية التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص٣١.

(٣) نيقولاي، إيفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤، ترجمة: يوسف عطا الله، مراجعة وتقديم: د. مسعود ضاهر، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٨، ص١١.

(4) Colin Imber, The Ottoman Empire 1300–1650 The Structure of Power, Palgrave Macmillan, New York, 2002, p.9

(٥) الآقجة: تعني لغةً الضارب أو الضاربة إلى البياض، وترجع أصولها إلى المغول، بمعنى النقد الأبيض، وهي تتكون من الفضة وسُكّت في عهد أورخان، وتدل على الدراهم أو النقود بشكل عام بين الأهالي، وكانت النقود تحمل على وجهها الأول كلمة الشهادة، وفي الوجه الثاني صورة الأمير. سهيل صابان، معجم المصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠، ص٢٠-٢١. إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في تاريخ العربي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٩٩٦، ص٨٦.

(٦) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨، ص٤١٢.

الاستراتيجي مما يتيح الوصول إلى بلغاريا[١]الوسطى والشرقية، وتراقيا الغربية؛ مما يشكل خطراً وشيكاً على الأراضي الواقعة إلى غرب أدرنة، وبذلك حقق انتصارات كبيرة على تحالف الدول البلقانية[٢] ضده، فاستطاع الامتداد على حساب الممتلكات البيزنطية في أوروبا من دون القسطنطينية؛ فضلاً عن بلغاريا وأجزاء من صربيا، والبوسنة، وهنغاريا، وضمها إلى ممتلكاته[٣].

تولى السلطان بيازيد الأول عام (١٣٨٩-١٤٠٢)، وحاز على لقب يلدرم بمعنى الصاعقة[٤]؛ لشجاعته في القتال وسرعته، وفي عام ١٣٩٠ سقطت مدينة آلاشهر[٥]، وبعد ثلاث سنوات تمت السيطرة على البلغار ثم اتجه بايزيد إلى آسيا لدعم مركزه، حيث سيطر على قونية، وقسطموني، ولكنّ نهايته على يد المغول في معركة أنقرة ١٤٠٢م مع تيمور لنك أدت إلى خسارته، وأسره حيث توفي في الأسر عام١٤٠٣، وتم دفنه في جامع بورصة[٦].

ويمكن القول: إن رقعة السلطنة العثمانية، أصبحت تزداد بشكل كبير في أوروبا بعد قيام السلطان السابع محمد الثاني (١٤٥١-١٤٨١) بفتح القسطنطينية [٧] عاصمة الدولة البيزنطية،

---

(١) بلغاريا: تُعد بلغاريا في القديم جزءاً من الإمبراطورية الرومانية وبعد أن حصل تقسيم في الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية انضمت إلى الحكم البيزنطي، ونشأت بعض الممالك البلغارية المستقلة في شبه جزيرة البلقان سيطر عليها الأتراك وحكموها لمدة ٥٠٠ عام، بعد أن استولوا على بلدان البلقان إثر موقعتي كوسوفو ١٣٨٩ ونيوكدبول ١٣٩٦عبد الوهاب كيالي، الموسوعة السياسية، ٧ج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ج١، ص٥٥٦-٥٥٧.

(٢) البلقان: تقع في جنوب شرق أوروبا، وتتألف من دول وكيانات عدة وهي بلغاريا ويوغسلافيا واليونان وألبانيا والقسم الأوروبي من تركيا ويعرف عنها أنها مسرح لعدد من الحروب؛ فضلاً عن الهجرات والنزاعات الحادة في خصوص الحدود والأقليات القومية. كيالي، الموسوعة ...، ج١، ص٥٦١.

(٣) محمود علي عامر، تاريخ الإمبراطورية العثمانية دراسة تاريخية واجتماعية، منشورات دار الصفدي، ط١، ٢٠٠٤، ص٢٣.

Imber, op.cit, p11-13.

(٤) نزار قازان، سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الإنكشارية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص٢٩.

(٥) آلاشهر: هي مدينة كانت تسمى باسم (فيلادلفيا) أي مدينة الأخوة والمحبة، وتقع في غرب الأناضول إلى الشرق من مدينة إزمير محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: د.إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٨١، ص١٣٧.

(٦) جمال فالح الكيلاني، زياد حمد الصميدعي، تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث، المنظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم، فاس، ط١، ٢٠١٣، ص١٥-١٧.

(٧) القسطنطينية: تقع عند التقاء قارتي آسيا وأوروبا، وتتحكم بالبحر الأسود والبحر المتوسط، يحيط بها القرن الذهبي الذي يشبه قرن الوعل (الخليج)ومضيقي البوسفور والدردنيل؛ مما يجعلها ذات موقع استراتيجي مهم؛ فضلاً عن كونها

عام ١٤٥٣؛ لذا أطلق على هذا السلطان لقب (الفاتح)، واتخذها عاصمة للسلطنة العثمانية بعد أن أعاد تسميتها إسلامبول أو إستانبول، كما سيطر على طرابيزون، وقرمان، وشبه جزيرة القرم[١].

وفي عهد السلطان بايزيد الثاني(١٤٨١-١٥١٢) توقفت التوسعات العثمانية؛ بسبب الأخطار التي واجهتها من قبل المماليك، من جهة والصراعات الداخلية بين السلطان بايزيد وأخيه جم من جهة أخرى، كما حصلت تمردات من قبل بعض القبائل التركمانية في منطقة الأناضول؛ فضلاً عن اضطرابات داخلية حرضت عليها الانكشارية التي تمردت عليه؛ لأنها تريد من ابنه سليم الأول أن يكون سلطاناً بدلاً عنه فدس السم له [٢]، تولى من بعده ابنه السلطان العثماني سليم الأول(١٥١٢-١٥٢٠) الذي لقب بالياوز أي القاطع؛ لكثرة سفكه للدماء، وسوء طباعه وحدتها، حتى أنه قام بإعدام سبعة من وزرائه[٣].

ومن أهم الأحداث التي جرت في عهده نقل الحروب من الساحة الأوروبية إلى المشرق العربي لعدة اعتبارات، منها:

أ- رغبة السلطان العثماني سليم الأول متابعة ما بدأه أسلافه في تشكيل امبراطورية إسلامية في المشرق والمغرب من أجل الزعامة، والحصول على موارد، وثروات الشرق.

عاصمة العالم الأرثوذكسي، وفيها الكنيسة الشرقية. تيسير جبارة، تاريخ الدولة العثمانية(١٢٨٠-١٩٢٤م)، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ٢٠١٥، ص٩٠. حسون، تاريخ...، ص٣١.

(١) أحمد زكريا الشلق، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة ١٥١٦-١٩١٦، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص٢٢.

(٢) أحمد آق كوندوز، سعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة ٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، إستانبول، ٢٠٠٨، ص١٩٣-١٩٤.عامر، تاريخ الإمبراطورية...، ص١٤٠.

(٣) قازان، سلاطين بني عثمان...، ص٤٨.

ب- إنهاء الخطر الصفوي[١] الذي امتد إلى المنطقة العربية والأناضول، حيث أصبحت المناطق الحدودية تدين بالمذهب الجعفري، وهذا يؤثر على السلطنة العثمانية، ويهدد كيانها، كونها تدين بالمذهب الحنفي أحد مذاهب السنة[٢].

ج- الوقوف بوجه البرتغاليين الذين هددوا الأماكن المقدسة، وسيطروا على تجارة الشرق [٣].

ومن هنا نجد أن السلطان سليم الأول اتخذ قراره بضرب الدولة الصفوية، ولاسيّما بعد قيام الشاه الصفوي إسماعيل بن حيدر بإيواء المعارضين للسلطان العثماني سليم الأول، حيث تقابل الطرفان في معركة جالديران عام ١٥١٤ قرب مدينة تبريز، ومن أهم نتائج المعركة:

١-بروز أهمية دور السلاح الجديد المستخدم من قبل العثمانيين ضد الصفويين.

٢-تصدع المكانة الدينية التي يتمتع بها الشاه الصفوي، والسيطرة على المناطق التي كانت تابعة للدولة الصفوية بعد انتصار العثمانيين عليهم.

٣-القضاء على المعارضة التركمانية التي أقضّت مضجع العثمانيين في منطقة ديار بكر ومرعش؛ مما جعلها تحرز مكاسب اقتصادية واستراتيجية.

٤- إعادة بناء الجيش الصفوي على أسس حديثة، وتدريبه على الأسلحة النارية في عهد الخليفة الشاه إسماعيل بن حيدر الصفوي.

على الرغم من انتصار السلطان سليم الأول على الدولة الصفوية، لكنه لم يتوغل داخل الحدود الصفوية؛ بسبب صعوبة تضاريس الهضبة الفارسية، والخوف من تمرد الانكشارية؛ فضلاً عن قيام الشاه الصفوي اتباع سياسة الأرض المحروقة؛ فضلاً عن خوف السلطان سليم من وقوع الجيش العثماني بين فكي كماشة الجيش الصفوي من الأمام والجيش المملوكي من

---

(١) الصفويون: هم سلالة نشأت في أردبيل وينسبون إلى الشيخ صفي الدين الأردبيلي (١٢٥٢-١٣٣٤) وكان من المتصوفة والزاهدين، فقد أسس طريقته الصوفية في أردبيل، وبعد أن ساعده حاكم فارس وشرقي الأناضول أوزون حسن التركماني، طوروا غطاء الرأس حتى تميز ب١٢لفة تمجيداً للأئمة الاثني عشرية، وكان هذا الشعار الذي يميز أتباعهم الذين سموا بالقزلباش أي الرأس الأحمر؛ نسبة إلى العمامة التي يرتديها أتباع الطريقة الصفوية، وعندما شعر حاكم فارس أوزون حسن التركماني بخطرهم حاول كبح جماحهم في المنطقة، فهرب ابن إسماعيل الصفوي إلى فارس وجلب معه مساندة من قبائل قزلباش، وتمكن من القضاء على الأسرة الحاكمة، وأسس الدولة الصفوية وجعل المذهب الشيعي مذهباً رسمياً في البلاد . زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، دار المسيرة للنشر والطباعة، عمان، ط١، ٢٠١٠، ص١٣.

(٢) نجم، تاريخ الدولة ...، ص١٤٠-١٤١. ياغي، الدولة العثمانية ...، ص٢٦-٢٨.

(٣) نجم، تاريخ الدولة...، ص١٤٥. ياغي، الدولة العثمانية...، ص٢٨.

الخلف، فما كان من السلطان العثماني إلا احتلال الموصل، ومن ثم متابعة مخططه في القضاء على السلطنة المملوكية(١).

والسؤال المطروح: ما الأسباب التي دفعت السلطان العثماني سليم الأول إلى محاربة المماليك؟

أ- رغبة السلطان العثماني سليم الأول في السيطرة على طرق التجارة بين الشرق والغرب التي كانت تحت سيطرة المماليك من أجل الوصول إلى الهند، والتحكم بالطرق التجارية، ومصادر الخام المهمة للمماليك كأخشاب السفن، والعمل على إضعاف طاقة مصر، والدليل على ذلك، أنه بعد السيطرة العثمانية على مصر، أصبحت تصدر البضائع بواسطة الطريق البحري إلى إستانبول، ومن أهم البضائع المرسلة من مصر: الرز، والقمح، والشعير، والتوابل، والسكر إلى السلطنة العثمانية(٢).

ب- النزاع بين السلطنة المملوكية والعثمانية على الحدود، حيث وجدت إمارات تركمانية(٣) في المناطق الحدودية تتأرجح بولائها بين السلطان العثماني، والمملوكي فقرر السلطان العثماني سليم الأول أن ينهي الأمر بالسيطرة على تلك المناطق(٤).

---

(١) عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون (١٥١٦-١٩١٦) ، مكتبة أطلس، دمشق، ط١، ١٩٧٤، ص٥٦-٥٨. محمود علي عامر، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، منشورات جامعة دمشق، ١٩٨٤-١٩٨٥، ص١٦-١٧.

(٢) سهيل طقوش، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، بيروت، ط٣، ٢٠١٣، ص١٦٣.خليل إينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد أرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص١٩٩.

(٣) الإمارات التركمانية: هي جماعات من الأرمن، والكرج، والتركمان، والأكراد شكلوا قبائل في شمال السلطنة المملوكية في أعالي بلاد الشام والفرات وشرقي آسيا الصغرى، ومن أشهر هذه الإمارات إمارة ذي القدر التي ترجع بنسبها إلى كسرى أنشروان الفارسي، ومؤسسها زين الدين قراجة بن ذي القدر (١٣٣٩-١٣٧٨)، ورمضان والقرمان، والآق قونيلو (الخروف الأبيض)، والقرا قونيلو (الخروف الأسود). محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص٤٤٥-٤٤٦.

(٤) السيد محمد الدقن، السلطان طومان باي والمقاومة المصرية للغزو العثماني، جامعة الأزهر، القاهرة، ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ص١٢. عبد الكريم رافق، المشرق العربي في العهد العثماني، منشورات جامعة دمشق، ط٨، ٢٠٠٢-٢٠٠٣، ص٤٤.

ج- اتهام السلطان العثماني للمماليك بعدم وقوفهم إلى جانبه في حربه مع الصفويين، ووقوفهم موقف المتفرج والتعاون مع الصفويين ضده عندما قام المماليك بعرقلة وصول الإمدادات والمؤن إلى السلطان العثماني في أثناء حربه مع الصفويين[١].

قام السلطان العثماني سليم الأول بوضع الذرائع والأسباب لمحاربة المماليك، وذلك عندما أمر المفتي علي الجمالي بالإفتاء بمحاربة المماليك؛ كونهم يكتبون آيات قرآنية على النقود[٢] لكنها ليست سوى مسوغات لمحاربة المماليك على مبدأ الغاية تسوّغ الوسيلة.

إذاً، التقى الطرفان في معركة مرج دابق بالقرب من حلب عام ١٥١٦، وانتهت بمقتل السلطان قانصوه الغوري، وإنزال الهزيمة بالجيش المملوكي[٣]، وهناك عوامل عدة أكسبت العثمانيين الحرب، منها:

أ- الخيانة التي قام بها خاير بك وأحمد بك.

ب- استخدام العثمانيين الأسلحة النارية.

ج- وقوف الأهالي موقف المتفرج، وعدم مساندة المماليك في حربهم؛ لما تعرضوا له من ظروف قاسية على أيامهم[٤].

دخل السلطان العثماني القاهرة على الرغم من المقاومة التي أبداها المماليك، وأُعتقِل السلطان طومان باي وشُنِق بباب زويلة عام ١٥١٧، ثم استلم السلطان العثماني سليم الأول مفاتيح الحرمين الشريفين، وأخذ الآثار النبوية الشريفة، كالبيرق، والسيف، والبردة، واتخذ لقب خليفة بالخفاء[٥].

يمكننا القول: إن السياسة الفاشلة التي اتبعتها السلطنة المملوكية، أنهت حكمهم في المنطقة ولاسيّما على الدول المطلة على البحر الأحمر، حيث إن شريف الحجاز يحيى بن بركات قدم الولاء للسلطان سليم الأول، وأصبحت الولاية تابعة للسلطنة العثمانية، ووقع على عاتقه مهمة أثقلت كاهله، هي تواجد قواته على البحر الأحمر؛ لإنقاذه من التوغل البرتغالي، حيث أصبحت هذه من واجبات السلطنة العثمانية [٦].

---

(١) محمد عبد اللطيف هريدي، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٧، ص٤١-٤٢.

(٢) عامر، تاريخ الامبراطورية...، ص٢٦٣.

(٣) ياغي، الدولة العثمانية...، ص ٣٠.

(٤) رافق، العرب والعثمانيون، ص٦١. عامر، تاريخ العرب...، ص١٧. ياغي، الدولة العثمانية...، ص٢٩-٣٠.

(٥) المحامي، تاريخ الدولة العلية...، ص١٩٢-١٩٤.

(٦) ياغي، الدولة العثمانية...، ص٣١.

اعترف قائد الجيش المملوكي في اليمن (إسكندر الجركسي) بالسيادة العثمانية، وأرسل هدية للسلطان العثماني اعترافاً منه للسلطنة العثمانية، فجعله السلطان سليم أول حاكماً عثمانياً في اليمن، وهكذا امتد النفوذ العثماني إلى جنوب البحر الأحمر[١].

ومع ارتقاء السلطان سليمان القانوني(١٥٢٠-١٥٦٦) سدة الحكم استطاع السيطرة على العراق عام ١٥٣٤، وقد ركز السلطان العثماني جهوده على البصرة كونها تحتل مركزاً دفاعياً عن شبه الجزيرة العربية لحماية الأماكن المقدسة من البرتغاليين، ثم تابع نحو القطيف، واستولى عليها عام ١٥٥٠، بعدها مدينة الإحساء عام ١٥٥٢ التي أصبحت فيما بعد قاعدة بحرية في تتبع توجهات البرتغاليين في البحر الأحمر[٢].

كما توجه السلطان العثماني سليمان القانوني بأنظاره نحو اليمن للمحافظة على الطريق الواصل إلى الهند من أطماع البرتغاليين في تجارة الشرق[٣]، فأرسل السلطان سليمان القانوني عام ١٥٣٨ حملة بقيادة سليمان باشا الخادم يترواح عددها مابين ٨٠ إلى ٩٠ سفينة، يقال إنها صُنِعت في مصر، وانطلقت من ميناء السويس، واستطاعت الاستيلاء على عدن[٤]، وعلى جزيرة كمران؛ مما سيسهل على السفن التجارية اليمنية والهندية -فضلاً عن العمانية- نقل التوابل بشكل أفضل، ودلت الوثائق -على سبيل المثال- على وجود إدارة جمركية في جزيرة كمران قامت بعملها من خلال تحصيل الرسوم الجمركية عن البضائع المستوردة من الهند[٥].

ثم انتقلت سياسة العثمانيين من عام ١٥٥٤ إلى اتخاذ اليمن قاعدة عسكرية للدفاع عن البحر الأحمر، وجعله بحيرة إسلامية يحرم على السفن غير المسلمة الإبحار فيه.

وأمر السلطان العثماني سليمان القانوني القائد أزدمر باشا أن يكون على رأس جيش للسيطرة على الحبشة[٦]؛ لأهمية موقعها وغناها بالثروات، فانطلق من إستانبول إلى مصر، ومن

---

(١) عبد الحميد البطريق، من تاريخ اليمن الحديث(١٥١٧-١٨٤٠)، مركز الدراسات والبحث اليمني، صنعاء، ١٩٦٩، ص٢٢.

(٢) عامر، تاريخ العرب...، ص٢٢-٢٣.

(٣) البطريق، من تاريخ اليمن ....، ص٢٣.

(٤) باغي، الدولة العثمانية...، ص٣٣-٣٤، ٧٢-٧٣-٧٤.

(٥) أرشيف دار الوثائق القومية في القاهرة، محافظ الدشت، سجل ١٥٥، ص٧٠٢، بتاريخ ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م.

(٦) الحبشة: تقع الحبشة في الشمال الشرقي من القارة الإفريقية المطلة على جنوب البحر الأحمر، وتبعد عن خط الاستواء نحو الشمال أربعمائة كيلومتراً مربعاً، يحدها من الغرب والشمال الغربي السودان، ومن الجنوب كينيا، ومن الشرق والجنوب الشرقي الصومال، ومن جهة الشمال الشرقي والشرق البحر الأحمر، وكانت تعرف منذ القديم عند إسترابون وهيرودوتس ببلاد كوش، وفي اللغة العربية الحبشة، أي المختلطة، أو ضائعة الأصل. عبد اللطيف الخطيب،

ثم بدأت عملياته الحربية في النوبة السفلى، ووضع بعض الحاميات العثمانية في المنطقة، وبعد ذلك أكمل طريقه للسيطرة على مينائي مصوع وسواكن؛ مستغلاً النزاعات بين الحكام المحليين فأصبح أزدمر باشا[١] حاكماً عثمانياً عليها بعد نجاحه في مهمته، ولكن لم يتوغل في القارة الافريقية. وهكذا نجد أنه اقتصر وجوده على السواحل الشرقية لإفريقية[٢].

أخيراً، يرى البحث أهمية السيطرة على دول البحر الأحمر؛ لأن ذلك أكسب السلطنة العثمانية بعداً استراتيجياً، واقتصادياً، ودينياً؛ كونها تحمي الممتلكات والأماكن المقدسة من البرتغاليين الذين أرادوا السيطرة على إمارات الخليج والبحر الأحمر.

٢-التنافس الدولي على البحر الأحمر:

قبل الحديث عن التنافس الأوروبي على البحر الأحمر، لابدّ لنا من الوقوف قليلاً عند التجارة الهندية الأوروبية، ومصدر الثروة في العالم، ألا وهي الهند حيث إن هذه التجارة يعود أصولها في الزمن إلى أيام الإسكندر المقدوني الذي أدرك الكنز الذي حصل عليه من تجارة التوابل، ووضع مشروعاً لطريق تجاري بحري وبري ماراً بالخليج العربي، فوادي الرافدين، فبلاد الشام أو تركيا، ليصل إلى موانئ أوروبا، وبوفاة الإسكندر، أصبح بطليموس ملكاً على مصر الذي أنشأ مشروعاً آخر من أجل الحصول على تجارة الهند، وإيصالها إلى أوروبا؛ وذلك بجعل الطريق البحري يبدأ من الهند، فالمحيط الهندي ثم البحر الأحمر، كما اهتم بمدينة الإسكندرية، وجعلها مركزاً لتجارة التوابل وتوزيعها إلى أوروبا، وسميت باب التوابل، وعلى الرغم من المخاطر التي تعرضت لها السفن التي كانت تحمل تجارة الهند والشرق الأوسط إلى مصر فأوروبا بلغت حوالي ١٢٠ سفينة، ورغم أن السفرة الواحدة تستغرق حوالي عامين، كانت كفيلة بجعل التاجر الذي يقوم بهذه الصفقة رجلاً غنياً؛ لذلك فقد أصبحت مصر المحتكر الأول للتجارة الهندية، أما

(الحبشة)، مجلة دعوة الحق، العدد٣ السنة السابعة، وزارة عموم الأوقاف – المملكة المغربية، كانون الأول،١٩٦٣، ص٦٥-٦٦.

(١) أزدمر باشا: كان أزدمر باشا مملوكاً شركسيَّ الأصل، حكم اليمن فترة ١٥٤٩-١٥٥٤ وأمره السلطان العثماني سليمان القانوني أن يتجه إلى الحبشة، فأخذ الطريق من مصر إلى سواكن، وسيطر عليها وبنى قلاعاً فيها، وأصبحت البكلربكية له، وأكمل طريقه إلى الحبشة، وسيطر على مناطق عدة هناك، وبقي فيها إلى أن توفى ودفن فيها، ويذكر أن ابنه عثمان باشا بنى قبة على قبره، وتولى الحكم من بعده بمرتبة بكلربكي الحبشة. قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي المكي، البرق اليماني في الفتح العثماني (تاريخ اليمن في القرن التاسع عشر مع توسع أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر)، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ط١، ١٩٦٧، ص١٠٥-١٠٦، ١١٧-١١٨-١١٩-١٢٠. رافق، العرب...، ص٧٢-٧٣.

(٢) رافق، المشرق العربي...، ص٥٥-٥٦.

المحتكر الثاني فهي الدول التي تقع على ساحل الخليج العربي ووادي الرافدين، ثم سواحل بلاد الشام، واستمرت منذ زمن الإسكندر المقدوني إلى عهد الاستكشافات البرتغالية[١].

ومن الجدير بالملاحظة، أن البحر الأحمر له دوراً بارزاً في عملية التبادل التجاري وحركتها حيث إن الدول المتشاطئة عليه ولاسيمّا مصر، واليمن أثرت على الحركة التجارة العالمية بموانئها، وتفوق العرب بالملاحة وبناء السفن، وعلى الرغم من ندرة الأخشاب ببلادهم، فكانوا المحتكرين للتجارة[٢]؛ مما دفع الدول الأوروبية للقيام بإنهاء الوجود العربي في المنطقة. وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال، ما الحدث الذي أحدث انعطافاً تاريخياً في تاريخ منطقة المشرق العربي؟

ولكن الحدث الذي قلب موازين القوى في تاريخ أوروبا ومنطقة المشرق العربي، وأعطى متغيرات مهمة، هو وصول فاسكو دوجاما إلى منطقة كاليكوت[٣]في ٢٧ أيار من عام ١٤٩٨.

وهكذا نرى أن البحر الأحمر شكّل مركزاً لتجارة رائجة، حقق من خلاله التجار أرباحاً طائلة؛ كونه حلقة وصل بين أهم الطرق، وطريقاً يصل الغرب بالهند والشرق الأقصى، حيث تنتقل تجارة الحرير، والتوابل، والبخور من الهند والشرق الأقصى إلى الدول الغربية، مما مهد للصراع والتنافس بين الدول الأوروبية.

أ- المصالح البرتغالية:

استطاعت البرتغال الوصول إلى دور الريادة في مجال حركة الكشوفات الجغرافية، وبدأت نشاطَها في إنشاء عدد من المحطات التجارية على السواحل الغربية لإفريقية منذ مطلع القرن الخامس عشر؛ نتيجة عدة عوامل، من أهمها:

✱ العوامل الاقتصادية:

عاشت أوروبا أزمة اقتصادية في القرن الرابع عشر؛ ويتجلى ذلك بالطاعون الأسود الذي اجتاح أوروبا بين عامي ١٣٤٨-١٣٤٩، وتسبب في موت ما يقارب نصف سكان أوربا خلال

---

(١) فالح حنظل، العرب والبرتغال في التاريخ ٣٩هـ إلى ١١٣٤هـ ٧١١م إلى ١٧٢٠م، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٧، ص٩٠.

(٢) شوقي عبد القوي عثمان، (تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ٤١-٩٠٤هـ / ٦٦١-١٤٩٨م)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد١٥١، تموز، ١٩٩٠، ص٤١-٤٣.

(٣) كاليكوت: يعد ميناء كاليكوت من أشهر موانئ الهند، ويقع على ساحل ملبار الموجود في الجنوب الغربي للهند، ويأتي إليه كل من تجار الصين، وجاوة ، وسرنديب، واليمن، وفارس، والحبشة، وغيرهم، وتتميز بوجود الفلفل والتوابل، وكثرة الحركة التجارية فيها. عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ...، ص١٣٣.

ثلاث سنوات، كما اتسعت ممالك شبه جزيرة إيبيريا على حساب حروب إخراج العرب المسلمين، والحاجة لليد العاملة، وبعد عام ١٤٥٠بلغ عدد سكان البرتغال بعد هذا الطاعون مليون نسمة.

حدث اضطراب في التوازن الاقتصادي؛ نتيجة الأزمة النقدية في القرن الرابع عشر، وهذا مادفع الدول الأوروبية بشكل عام، والبرتغال بشكل خاص، الوصول إلى مناجم الذهب للوقوف أمام هذه الأزمات[١].وبدأت المتطلبات المتزايدة على السلع الشرقية للدول الأوروبية مع بداية عصر النهضة[٢]، فسعت تلك الدول إلى استكشاف طرق بحرية جديدة للوصول إلى مصدر الثروة في العالم أي الهند[٣].

✱ العوامل الدينية:

أثّر العامل التبشيري بشكل كبير في الكشوف الجغرافية [٤] وعندما خرجت شبه جزيرة إيبيريا من أيدي العرب المسلمين عام ١٤٩٢، توجهت كل من البرتغال وإسبانيا إلى هدف أساسي لهما، وهو ضرب المعاقل الإسلامية بالتحالف مع ملك الحبشة، وملوك آسيا، حيث استطاع البلاط البرتغالي الاستفادة من العامل الديني بمباركة البابا للوصول إلى أهدافه ومشاريعه الاستعمارية [٥].

---

(١) محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في فترة مابين ١٥٠٧-١٥٢٥، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠٠، ص٢٢.

(٢) عيسى علي إبراهيم، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار الجامعة المعرفية، مصر، ٢٠٠٠، ص ٩٦.

(٣) السلمان، الغزو البرتغالي...، ص٢٣-٢٤.

(٤)رياض محمود الأسطل، الصراع الإسلامي البرتغالي وأثره في حركة التجارة الدولية، إشراف: د.أبو الفتح محمد صغير الدين، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه قسم الحضارة الإسلامية ومقارنة الأديان، جامعة السند، باكستان، ١٩٩١، ص١٢٥.

(٥) إبراهيم، الفكر الجغرافي...، ص١٢٧.

من المعروف، أن هنري الملاح[١] كان رئيساً لهيئة اليسوعيين (الجزويت)[٢] ، وركز على تنفيذ خططه في كسب أراضٍ جديدة تدين بالمسيحية؛ لذا عمل على إرسال بعثات تبشيرية مع الحملات الاستكشافية إلى شواطئ إفريقية الغربية على نحو أربعين عاماً، ومن المناطق المكتشفة في المحيط الأطلسي جزيرة ماديرا (Madeiras) عام ١٤٢٠، وجزر كاناري، وجزر أزور (Azores)...الخ[٣]

ولابدّ من القول: إن المدن الإيطالية المسيحية، ومنها البندقية على الرغم من أنها تدين بالدين المسيحي، لكنها وقفت إلى جانب القوى الإسلامية في مصر لمواجهة البرتغال؛ بعد إدراكها لنواياهم في السيطرة على الطرق التجارية، وضرب مصالحهم في المنطقة[٤].

وهناك عوامل أخرى منها عوامل نفسية تهدف إلى حب العظمة [٥]. وعوامل تتعلق بالقارة الأوروبية نفسها بعد التقدم في صناعة السفن، واستخدام البوصلة في الملاحة البحرية[٦].

كانت البداية في عملية الاستكشاف بطيئة، ولكن ما لبثت هذه الكشوفات أن سارت بخطى سريعة ومتوالية إلى أن أثمرت هذه الكشوف، عندما وصل المكتشف البرتغالي دياز عام

---

(١) الأمير هنري: (dom henrique)عام ١٣٩٤ وهو ابن الملك البرتغالي (دون جوان الأول)، وأمه الأميرة البريطانية فيليبا، وكان ملك إنكلترا هنري الرابع خاله، وكان له أخوان هما (دون دورات) و(دون بيدرو). أما على صعيد نشاطات الأمير هنري فإنه عام ١٤٢٠ لم يستطع أن يصل لأكثر من منطقة رأس نون (cape non) وفي عام ١٤٣٤تم له اكتشاف رأس بوجادور (cape bojador)، وفي عام ١٤٤١ أرسل رسالة إلى البابا يخبره باكتشافاته، يطلب منه أن تكون الأراضي المكتشفة كافة مستعمرات لملك البرتغال مؤكداً له أن الرسالة الإلهية التي يحملها تفرض عليه أن يدخل هذه الشعوب بدين المسيحية، وأن هذه الغاية أي التبشير هي المقصد. انظر: حنظل، العرب...، ص٩١-٩٢.

(٢) هيئة اليسوعيين الجزويت: أسسها إجناتيوس لويولا(lgnatius loyola)(١٤٩١-١٥٥٦)، وأُشترط لدخول هذه الجمعية مَن تَميَّزَ بأخلاقه الرفيعة، وتخلى عن مظاهر الدنيا وملذاتها، والتدرب على الآلام والقسوة، وفق المبادئ الموضوعة في كتابه التدريبات الروحية، وأنظمة هذه الهيئة صارمة جداً حيث على الإنسان الذي ينتمي إليها أن يخضع خضوعاً كاملاً لرئيسه دون اعتراض، وعدّ الرئيس معصوماً عن الخطأ، وهذه الصفة تتميز بها الكنيسة المقدسة، وأن يحلف يمين الطاعة للبابا دون تردد. عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥، ص١١٥-١١٦.

(٣) فرغلي علي تسن هريدي، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر الكشوف-الاستعمار – الاستقلال، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ط١، ٢٠٠٨، ص٤٦.

(٤) الأسطل، الصراع الإسلامي ....، ص١٢٩.

(٥) شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء، الرياض، ط٢، ٢٠٠٢، ص٥٦.

(٦) هريدي، تاريخ أفريقيا...، ص٤٧.

١٤٨٧إلى رأس الرجاء الصـــــالح، وهي البعثة التي اتجهت نحو الجنوب الافريقي، وهناك بعثة ثانية على رأســــها اثنين من الرحالة، يجيدان اللغة العربية، وهما: جون بيدرو دا كوفيلهام (j.pedro covilham) وألفونسوا دي بايفا(alfonso de pyva) إلى الشرق[١]

كما أرســلت البرتغال حملة أخرى بقيادة فاســكو داجاما (Vasco. da Gama)[٢] عام ١٤٩٧ إلى الســاحل الغربي لإفريقية، ومن أهم نتائجها: الاســتفادة من رحلة بارتولوميودياز (Bartholommew Dias) والدوران حول رأس الرجاء الصالح، والقيام بعملية التبادل التجاري مع سكان موزانبيق، والوصـول إلى السـاحل الهندي بالقرب من كاليكوت، ولكن على الرغم من الخسائر البشرية والمادية التي تكبدوها، إلا أنهم حصلوا على ثروة طائلة لا تقدر بثمن [٣].

وهكذا نلاحظ أن سيادة العرب المسلمين تعرضت لخطر كبير من البرتغاليين بعد نجاحهم في كشوفاتهم الجغرافية، والدوران حول رأس الرجاء الصالح، فقد تحول طريق تجارة الشرق الذي كان من الخليج العربي والبحر الأحمر إلى رأس الرجاء الصـــــالح، فكان لابدّ من مواجهة هذا الخطر الداهم على المنطقة.

أرســل هؤلاء البرتغاليون حملة عســكرية مجهزة بكامل المعدات الحربية بقيادة فاســكو دا جاما عام ١٥٠٢ إلى المحيط الهندي؛ للوقوف في وجه العرب، وفي أثناء سير فاسكو دا جاما إلى المياه الهندية سيطر على السفن العربية التي كانت موجودة في ماليندي[٤].

ثم اتجهت حملة برتغالية عام ١٥٠٣ بقيادة ألفونســــو دي ألبوكيرك[٥] (Alfonso de Albuqureque) وأخيه فرانســسكو، وأنطوان دي ســالدنها(Antoine de Saldanha) إلى

---

(١) السلمان، الغزو البرتغالي...، ص٣٥-٣٦.

(٢) فاسكو دا غاما vasco da gama ابن (إستافودي غاما) الذي كان يشغل منصب مدير حسابات القصور الملكية . حنظل، العرب...، ص١١١.

(٣) سـعد زغلول عبد ربه، (البرتغاليون والبحر الأحمر)، مجلة الدارة، سـنة ٦، عدد٢، المملكة العربية السـعودية، ربيع الأول كانون الثاني، ١٩٨١، ص١١٠.

(٤) ماليندي: تقع جنوب مقديشــو (تنزانيا)حالياً، ويذكر أن الدين الرســمي فيها الإســلام، ومســاكنها مبنية من الحجر والكلس الأبيض ذات الطوابق المتعددة، واشــتهرت مدينة ماليندي بتجارة واسـعة في مجال الأقمشــة، والذهب، والعاج، وكانت على علاقة تجارية مع مملكة كمباي في الهند المشـهورة بالمنسـوجات، وبعض الحبوب كالأرز، والقمح، والدخن حيث يبادلونها تجار مالندي بالذهب، والعاج، والشـــمع، كما يبادلون تجار مصــــر أيضــــاً. عثمان، تجارة المحيط الهندي...، ص١١٨.

(٥) ألفونســو دي ألبوكيرك: قائد بحري وســياســي برتغالي، ولد في مدينة الإســكندرية بالقرب من العاصــمة لشــبونة عـام١٤٥٣ ، وكـان أبوه جونزالو دي ألبوكيرك لورد فيلاً فيردي الـذي كـان يعمـل في البلاط الملكي، مكنتـه حنكتـه العسـكرية وأسـلوب قيادته من غزو منطقة المحيط الهندي وإخضـاعها تحت راية الإمبراطورية البرتغالية، وقد منحه ملك

المياه الهندية؛ من أجل تأديب زعيم كاليكوت زامورين الذي أشـــعل النار في حامية برتغالية، ونجح ألبوكيرك في إجبار زامورين من إقامة قلعة برتغالية في بلاده، ودفع ضريبة عينية، ومنعه من تصـــدير منتجات بلاده إلى البحر الأحمر؛ فضـــلاً عن ذلك عمل ألبوكيرك على دراســـة أوضـــاع المنطقة من أجل تمكين النفوذ البرتغالي، وترك أخاه وأنطوان في المياه الهندية، ثم عاد إلى بلاده، وقدم تقريراً للملك البرتغالي عن الدراسة التي أجراها[١].

إذاً من خلال هذه الحملات نلاحظ أن الملك البرتغالي، أراد أن يحقق مشـــروعه بجعل السيادة البحرية للبرتغال، والقضـاء على الوجود العربي وتجارته، ومن هنا أحس العرب بخطورة الموقف، فأرسل السلطان المملوكي قانصوه الغوري حملة عسكرية بحرية بقيادة حسين الكردي ١٥٠٥انطلقت الحملة من ميناء السـويس باتجاه مدينة جدة، وبنى فيها سـوراً وأبراجاً؛ خوفاً من الهجوم عليها من قبل البرتغاليين، ثم اتجهت الحملة إلى سـواكن في السـودان، حيث اسـتولى عليها قائد الحملة المصرية، وأقام فيها بعض الاستحكامات، ثم أكملت الحملة طريقها إلى بعض الموانئ اليمنية كجيزان، وكمران، والمخا التي تعد من الثغور المهمة للبحر الأحمر، ومن بعد ذلك سارت إلى ميناء عدن فزودت بالمؤن، ثم اتجهت إلى الهند.

وفي الهند اسـتطاع قائد الحملة حسـين الكردي تحقيق انتصـارات جزئية على البرتغاليين في منطقة ديو[٢] البحرية عام ١٥٠٨، فشـــعر البرتغاليون بالتهديد المباشـــر الذي ســـيضـــرب مصالحهم، ولاسيّما أنهم تفاجؤوا بهذه الحملة المصرية، ووصولها إلى المحيط الهندي، وتعاونت بعض الممالك الهندية مع الحملة المصرية ضد البرتغاليين، فسارع البرتغاليون في تجميع قواهم ضـــد التحالف العربي -الهندي، واســـتطاعوا الانتصـــار على هذا التحالف في عام ١٥٠٩، وتدمير معظم سـفن الحملة، وبذلك رسـخت أقدامهم في المحيط الهندي وحصـلوا على مصـادر التوابل وتجارتها [٣].

البرتغال مانويل الأول لقب نائب الملك، ودوق غوا قُبيل وفاته، ولقب بالكبير والعظيم وقيصر الشرق وأسد البحار وتوفي على إثر صـــدمـة عـام ١٥١٥. ألفونســـودي البوكيرك، الموســـوعـة الحرة ،٢٠١٦/١١/٢٥، الرابط الآتي: https://ar.wikipedia.org/wiki

(١) أحمد عبيد بطي، الصراع البرتغالي في القرن السادس عشر، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ١٩٩١، ص٧٧-٧٨.

(٢) ميناء ديو: يقع على الســاحل الغربي للهند عند مدخل خور، ويتميز بأن معظم الســكان يعملون بالتجارة حيث إنها الركيزة الأساسية لاقتصاد هذا الميناء وتصله البضائع من مختلف المناطق وشجع حاكمه التجارة بتوزيع الهدايا والهبات على التجار. عثمان، المحيط الهندي...، ص١٣٢.

(٣) الحمدي طارق نافع، (القوى البحرية العربية ودورها في مواجهة البرتغاليين في البحر الأحمر والمحيط الهندي في بداية القرن العاشر الهجري١٦م)، مجلة الدارة، سنة ١٠، عدد٤، المملكة العربية السعودية، رجب١٤٠٥، آذار ١٩٨٥، ص١٤٤-١٤٥.

وفي عام ١٥١٠بدأت المضـــايقات البرتغالية للموانئ اليمنية، فاســـتنجد ســـلطان اليمن بالسـلطان المملوكي قانصـوه الغوري، فأجابه بأنه يحضّـر حملة بالتحالف مع العثمانيين، حيث إن السلطان العثماني بايزيد الثاني أرسل السلاح والمعونة على رأس ١٨ سفينة؛ لأن البرتغاليين يريدون الوصـــول إلى الأماكن المقدســـة (مكة والمدينة) والقيام بتخريبهما، ولكن الكارثة التي أصـابت هذه السفن أن فرسان القديس يوحنا قاموا بالتعرض لها، فلم ينجُ منها سوى ست سفن خالية من المؤن التي بعثها العثمانيون؛ فضـلاً عن ذلك قدمت الممالك الهندية الإسـلامية أيضـاً المعونة المادية وحمولة ٣سفن من التوابل من أجل تحصين الأماكن المقدسة وعدن، وبذلك فشل البرتغاليون في الاستيلاء على عدن التي كانت لهم بمنزلة قاعدة عسكرية؛ لضرب القوى العربية الإسلامية مستقبلاً؛ وذلك لتحصيناتها وموقعها الطبيعي [(١)].

وفي عام١٥١٣ طلب الملك البرتغالي من حاكم الممتلكات البرتغالية ألفونســـو ألبوكيرك القيام بحملة على الخليج العربي والبحر الأحمر؛ للسـيطرة على ثغوره كمدينة عدن، ولكنه فشـل في تحقيق أهداف هذه الحملة فعاد خائباً إلى الهند، ولكنه ترك لواء في المنطقة، اســـتطاع تخريب مدينة عدن والوصول إلى ميناء المخا، وفيما بعد استطاع احتلال سوقطرة وهرمز [(٢)].

وبالتالي يمكن القول: إن البرتغاليين حققوا مكاسـب كبيرة من خلال سـياسـتهم الرامية إلى احتلال مراكز معينـة على طريق البحر الأحمر، والخليج العربي؛ لتعزيز حـامياتهم في الهند، والاسـتحواذ على خيراته، في الوقت الذي كان يدب الضـعف في جسـم القوى الإسـلامية، وعلى رأسـها السـلطنة المملوكية، لكن القوى الإسـلامية الصـاعدة الممثلة بالدولة العثمانية اسـتطاعت القضـاء على السلطنة المملوكية، وحلت محلها في مواجهة البرتغاليين وإرسال الحملات البحرية ضدهم.

وهنا بدأت حربها ضـــد البرتغاليين، فقامت بتشـــكيل قاعدة حربية لها في ميناء الســـويس لمواجهتهم في البحر الأحمر، والمحيط الهنـدي؛ لأن قوتهـا البحريـة كـانـت متركزة في البحر الأبيض المتوسط، وأما في البحر الأحمر ظلت معتمدة على سفن المماليك التي سيطرت عليها بعد القضاء عليهم في مصر.

---

(١) عبد ربه، البرتغاليون والبحر...، ص١١٢-١١٣.

(٢) قدري قلعجي، الخليج العربي بحر الأساطير، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٢، ص٣٦٦.

شعر البرتغاليون بخطر السلطنة العثمانية على مصالحهم، وأرادوا تقويض خطرها وتحجيم نفوذها، فأرسل الحاكم البرتغالي في مدينة جوا[١] الهندية عام ١٥١٧ حملة إلى جدة بقيادة لوبوا سواريز مكونة من أربعين سفينة وألفين من الجنود البرتغاليين؛ لمواجهة السلطنة العثمانية. فاستعد القائد العثماني سليمان الرومي عندما علم بنوايا البرتغاليين لصد هذه الحملة من خلال ضربهم بالمدافع؛ مما أجبرهم على التراجع والانسحاب إلى كمران، ولكنه تتبعهم واستطاع أسر سفينة من هذه الحملة البرتغالية مع بحارتها، حيث أرسلهم سليمان مقيدين إلى إستانبول، وبذلك فشلت الحملة في تحقيق أهدافها فعادت بقية الحملة مهزومة إلى هرمز [٢].

وأرسل حاكم جوا البرتغالي أكثر من حملة؛ لضرب الوجود العثماني والسيطرة على موانئه المهمة على البحر الأحمر، وترقب ردود فعل السلطنة العثمانية من أجل استغلال الفرصة المناسبة للانقضاض عليها [٣].

لكن انشغال السلطنة العثمانية في حروبها مع الدول الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط والدولة الصفوية، جعلها لم تجهز حملة كبيرة ضد البرتغاليين في المحيط الهندي إلا في عام ١٥٣٨، حيث تعددت الروايات حول عدد السفن، فمنها من يقول حوالي ٨٠ سفينة، وأخرى تذكر أنها حوالي ٩٠ سفينة من مختلف الأنواع، وعدد الجنود أقل من عشرين ألف جندي[٤] برئاسة سليمان باشا الخادم بيلربي مصر (أمير الأمراء) وتوجه إلى عدن وسيطر عليها، واتجه بعد ذلك نحو مدينة ديو البحرية الموجودة على الساحل الغربي للهند، ولكن تواطئ الملك محمود المغولي مع البرتغاليين أفشل تحالفه مع العثمانيين؛ فاضطر الأسطول العثماني أن يعود أدراجه، فاتجه إلى اليمن وعُمان ووضعهما سليمان باشا الخادم تحت حكمه المباشر [٥].

---

(١) جوا: ميناء يقع على الساحل الغربي للهند، كان على علاقة مع شرق المحيط الهندي وغربه، وسكانه من مختلف الأجناس؛ كالهنود، والعرب، والفرس، والصينيين ...وغيرهم، ويذكر أن سفن مكة، وجدة، وزيلع، وعدن، هرمز كانت تصل إليه، ولكن لا يسمح للأجنبي الدخول إليه قبل أن يجرى تفتيش دقيق له. عثمان، المحيط الهندي...، ص١٣٢.

(٢) بطي، الصراع البرتغالي ....، ص١٥٣.

(٣) بطي، الصراع البرتغالي...، ص١٥٦.

(٤) مجموعة باحثين، الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية (مجموعة أبحاث)، ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية (١٠-١٢ ربيع الآخر ١٤٠٢هـ/ ١٩-٢١تشرين الثاني١٩٨٨)، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠١، ص٨١-٨٢.

(٥) محمود السيد الدغيم، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية، ندوة اتحاد المؤرخين العرب (٢٢-٢٤جمادى الأولى١٤١٤هـ-٦-٨ تشرين الثاني ١٩٩٣)، الحضارة الإسلامية وعالم البحار (بحوث ودراسات)، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٩٩٤، ص٣٩٥.

وتأسست ولاية اليمن، وعين عليها مصطفى النشار. وفيما بعد أرسلت السلطنة العثمانية حملات تأديبية إلى شبه الجزيرة العربية ما بين عامي(١٥٤٧-١٥٥١) لدعم سلطتهم على أراضي اليمن ماعدا بعض المناطق الجبلية التي استعصت عليهم، ولكن سادها بعض الهدوء النسبي [(١)].

ومن هذه الحملات التأديبية التي أرسلتها السلطنة العثمانية كانت حملة القبطان(القبودان) بيري ريس[(٢)] عام ١٥٥١ إلى اليمن، ويقال إن عدد السفن بلغ حوالي ثلاثين سفينة من مختلف الأنواع، واستطاع القبودان بيري ريس السيطرة على عدن، ووصل إلى الخليج العربي حيث أخذ مسقط وجزيرة دراخت عند مدخله، وفي عام ١٥٥٢ عين قائداً للأساطيل المصرية، واتجه إلى هرمز، وهناك أصاب الحملة عاصفة قوية دمَّرت معظم السفن وسيَّرتها من شدة الرياح إلى سواحل الهند، وبذلك أصبحت السلطنة العثمانية تسيّر حملات إلى ساحل الهند لمقاتلة البرتغاليين[(٣)]؛ فضلاً عن محاولتها لربط المناطق المتشاطئة على البحر الأحمر بحكمها، من خلال تنفيذ بعض السياسات، منها: تحصين الموانئ التي تعدّ من المواقع الاستراتيجية كجدة وعدن، حتى أنهم قاموا جعلوا جدة باشوية، وأسندوا لها بعض الموانئ الموجودة على سواحل البحر، الأحمر الافريقي، وشكلوا ولاية الحبش من مينائي مصوع وسواكن، واستفادوا من خبرات السكان المحليين في الحكم، وجعلوا الصومال تابعة لوالي اليمن في معظم أوقات حكمه مع مساندة من الحكام المحليين [(٤)].

بدأ الضعف والاضمحلال يسري في جسد الاستعمار البرتغالي لصالح النفوذ الأوروبي، وذلك لأسباب عدة، منها:

---

(١) إيفانوف، الفتح العثماني ....، ص١٤١.

(٢) بيري ريس: يعد بيري (محيي الدين) الريس أشهر قبودانات العثمانيين، وكان يجوب البحار منذ صغره مع كمال الريس الذي أخذه في أسفاره في البحر الأبيض المتوسط؛ مما أكسبه خبرة ومهارة في ركوب البحر، وقيادة المعارك البحرية، وأصبح قبوداناً للبحرية المصرية تقريباً عام١٥٥٢ وللوقوف بوجه البرتغاليين أمره السلطان العثماني أن يقود حملة نحو عدن عام١٥٤٩، وأخرى باتجاه الخليج العربي ١٥٥٢ ، ونتيجة خسارته في أسطوله أمر السلطان العثماني أن يتم إعدامه في القاهرة، وتولية مراد الريس مكانه. مجموعة باحثين، الصلات التاريخية...، ص١٠٧-١٠٨-١٠٩.

(٣) الدغيم، أضواء على البحرية ....، ص٣٩٦. بطي، الصراع البرتغالي...، ص١٩٤-١٩٥.

(٤) بيومي، سياسة مصر...، ص٣١.

✱ حصول انتكاسات وأزمات داخلية ضمن الإمبراطورية البرتغالية في النصف الثاني من القرن السادس عشر؛ مما أدى لإضعافها أمام القوى المنافسة لها في المنطقة.[١]

✱ السياسات الفاشلة المتبعة من قبل البرتغاليين في مناطق سيطرتهم، منها: القسوة والاضطهاد في معاملتهم للسكان المحليين، واحتكارهم لتجارة التوابل والسلع [٢].

✱ حركة المقاومة في المناطق التي سيطر عليها البرتغاليون، ولاسيما في الخليج العربي حيث مدّ الأهالي أيديهم لمساندة العثمانيين في حربهم ضد البرتغال في بعض المناطق المهمة على البحر الحمر والخليج العربي[٣].

✱ اتحد العرشان البرتغالي والإسباني في عام ١٥٨٠ عن طريق سيطرة ملك إسبانيا فيليب الثاني الذي احتل البرتغال؛ مما أدى إلى تدهور القوة البرتغالية في الشرق؛ بسبب سيطرة الإسبان على السياسة الخارجية للبرتغال، ونفور البرتغاليين من الحكم الإسباني الذي أولى اهتمامه للحروب الإسبانية وألزم البرتغاليين دفع الرسوم والضرائب الباهظة لتمويل هذه الحروب على حساب السيطرة البرتغالية في الهند والخليج العربي؛ فضلاً عن ظهور قوى منافسة للبرتغاليين في ميدان التنافس، مثل: هولندا، وإنكلترا، وفرنسا، حيث وجدوا مستعمرات البرتغاليين فرصة ذهبية للتوسع والحصول على تجارة الهند وطرقها [٤].

ولكن في نهاية المطاف نجد أن الوجود البرتغالي في المنطقة حقق مكاسب كبيرة من خلال سيطرته على الطرق التي أدت إلى الهند، ولكن هناك بعض الدول الاستعمارية استغلت ضعف البرتغاليين، وأرادت أن تحل محلهم في السيطرة والحصول على المستعمرات.

---

(١) نتاليا نيكولايفنا تومانوفيتش، الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة سمير نجم الدين سطاس، تقديم ومراجعة: قسم الدراسات والنشر والشؤون الثقافية بالمركز، مركز الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ٢٠٠٦، ص١٠٦.

(٢) محمد حسن العيدروس، سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي(١٦٢٢-١٦٥٠)، دار المتنبي للطباعة والنشر، أبو ظبي، ١٩٩٧، ص٢٢. فوزية الجيب، تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين ١٥٢٠-١٦٠٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣، ص٢٣٧-٢٣٨.

(٣) نوال الصيرفي، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٩٨٣، ص١٨٧-١٨٩

(٤) مفيد الزيدي، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ٢ج، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٢، ج٢، ص٤١٣. الصيرفي، النفوذ البرتغالي...، ص١٨٧.

ب-المصالح الهولندية:

جاء تراجع الدور البرتغالي وزيادة أهمية التجارة مع الشــرق دعوة موجهة للدول الأوروبية للعودة إلى منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي. في البداية بدأت تلك الدول اهتمامها عما يدور ويجري من أحداث؛ لتقتنص الفرص للحلول محل البرتغاليين بدءاً من الهولنديين الذين قاموا بكسر الاحتكار عام ١٥٩٥، ومن ثم جاءت إنكترا في عام١٦٠٣[١].

وهنا حدث منعطف تاريخي كبير في تلك الفترة تمثل باســتقلال هولندا عن الســيطرة الإسـبانية عام ١٥٨٠، حيث إنها شـرعت تحقق وضـعاً اقتصـادياً مسـتقلاً لها بعيداً عن تحكم البرتغال والاسـبان من خلال تحكمها بأسـعار التجارة الشـرقية في أوروبا، بعد أفول نجمهم في المنطقة[٢].

اتبع الهولنديون سياسة تمثلت بإرسال بعثات تجارية، و تأسيس الشركات التجارية، حيث أسسوا أول شركة للإبحار مع الشرق هي فانفير (Vanver) التي أرسلت أول رحلة لها بقيادة هوتمان (Houtman) في عام ١٥٩٥، ووصلت الرحلة إلى سواحل الهند، وحققت انتصـاراً بعقدها أول اتفاق هولندي مع ملك فيتنام، مُنحت فيه جزر أرخبيل الهند الشرقية للتجارة الهولندية [٣]. كما أنهم شكلوا أساطيل بحرية للوقوف بوجه البرتغاليين عن طريق الاستيلاء على عدد من مستعمراتهم في الهند ما بين عامي(١٥٩٨-١٦٠١)[٤].

تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية (East India company TheDutch) بشكل رسمي نتيجة الأرباح التي حصلت عليها الشركة، واتحادها مع بعض الشركات الأخرى لتصبح أداة الاســتعمار الهولندي فيما وراء البحار. وفي الوقت نفســه، سُـمح لها أن تمارس التجارة مع الشرق؛ فضلاً عن قيامها بعقد الاتفاقيات، والمعاهدات، وتشكيل مراكز، وقواعد تجارية.

---

(١) يوسف فضل حسن، (الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامن عشر)، مجلة الدارة، سنة ٨، عدد٣، المملكة العربية السعودية، (ربيع الثاني ١٤٠٣، يناير، ١٩٨٣)، ص١٢٣.

(2) Robin Bidwell, The two Yemen, Longman Group and Westview Press, 1983, p 19.

(٣) يذكر بيدرو تخيرا في أســفاره عن تفاصــيل حملات الهولنديين للشــرق. للمزيد انظر، تاريخ الخليج العربي البحر الأحمر في أسفار بيدروا تخيرا ، ترجمة عيسى أمين ، مؤسسة الأيام، البحرين ، ١٩٩٦ ، ص ٤٦-٥١ .

(٤) محمد نصر مهنا، دليل الخليج العربي دراسة في العلاقات الدولية والإقليمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د.ت، ص٩٤.

اتفقت الروايات حول الرأسمال الذي أسهمت به المؤسسات الهولندية لإنشاء شركة الهند الشرقية بأنه بلغ حوالي ٦،٥ مليون فلورن(١)، كما يذكر أنها تضم ٧٣ مديراً من مديري الشركات الكبيرة في هولندا، ويضاف إليها هيئة مكونة من ١٧ شخصاً تعينهم الغرف التجارية، ولكن غرفة أمستردام تعين ٨ منهم؛ لكونها المستثمر الأكبر فيها، حيث تحملت نصف نفقات الشركة (٢).

يبين الجدول الآتي مقدار رأس المال الذي أسهمت به كل هيئة من المؤسسات الهولندية لتأسيس الشركة وبالكليدر الهولندي (٣):

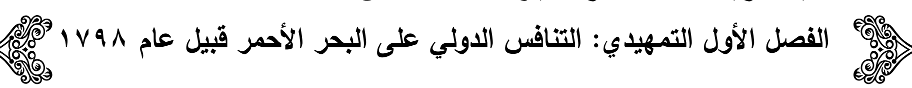
ت	الهيئة	مقدار المساهمة
١	غرفة تجارة أمستردام	٣،٦٧٤،١٥،٠
٢	غرفة تجارة زيلاند	١،٣٠٠،٤٠٥،٤
٣	غرفة تجارة دلفت	٤٦٩،٤٠٠،٠
٤	غرفة تجارة روتردام	١٧٣،٠٠٠،٠
٥	غرفة تجارة هورن	٢٦٦،٨٦٨،٠
٦	غرفة تجارة إينخويزن	٥٤٠،٠٠٠،٠٢
٧	حصة برلمان الدولة	٢٥،٠٠٠،٠
المجموع الكلي		٦،٤٢٩،٥٨٨،٤

وإن أقدم ذكر عن علاقة شركة الهند الشرقية المتحدة بشبه الجزيرة العربية كان عام١٦٠٣في ملخص مجلس الأمة، كما ورد عن فك النزاع بين الشركة، وتجار مكة. ومع

(١) قام الملك الإنكليزي إدوارد الثالث بإصدار عملة الفلوررين(FLORIN) عام ١٣٤٤والمعروفة أيضاً باسم الفهد المزدوج في عام ١٣٤٤بهدف استخدامها على مستوى أوروبا وكانت تساوي ستة شلنات وتحمل صورة الملك، وهو جالس على العرش وعلى جانبيه رأسا فهد. أغلى العملات التاريخية النادرة على مستوى العالم، أخبار ٢٤، ٢٠١٦/١٢/١ الرابط الآتي:http://akhbaar24.argaam.com/article/galleryimages/23327

(٢) شاكر محمود، موسوعة تاريخ الخليج، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣، ص١٨٢. ب.ج سلوت، عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية ١٦٠٢-١٧٨٤، ترجمة: عايدة خوري، مراجعة: د. محمد مرسي عبد الله، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٣، ص٧٧-٧٨.

(٣) عادل محمد حسين، (الصراع البرتغالي -الهولندي في المحيط الهندي)، مجلة سر من رأى، سنة ٢، عدد٣، المجلد٣، كلية التربية جامعة سامراء، أيلول، ٢٠٠٦، ص٨٤.



مرور الزمن تشكلت مراكز تجارية لشركة الهند الشرقية الهولندية في مناطق الخليج، والبحر الأحمر، وأصبحت من شركة تجارية إلى دولة شبه مستقلة في آسيا [١].

وتحدّث أحد الباحثين عن الدور الفعلي للشركة فإنها: " **بدأت الشركة تمارس صلاحيتها وحقوقها، وكان لها الحق في إبداء رأيها في الحرب والسلم، وتعيين حكام ومجالس يكون لها سلطة القضاء المدني، وللشركة الحق في وضع خزائن في الوكالات التجارية التابعة للشركة، ولم يمضِ وقت طويل حتى أصبح للشركة جيش مؤلف من عشرة آلاف إلى اثني عشر ألف رجل، فضلاً عن قوات بحرية من ٤٠ -٦٠ سفينة، وضعت تحت تصرفها. لقد كانت الشركة موضع ثقة الحكومة الهولندية، وعقدت عليها آمالاً واسعة، كانت تدر على هولندا أرباحاً طائلة سنوياً من خلال البضائع التي ترسلها، والتي تقدر قيمتها السنوية بأكثر من (١٢٠٠٠٠٠) مليون فلورن، ولا تقل أرباحها عن ٣٠%؛ الأمر الذي أدى إلى ارتفاع الشركة من (٣٠٠٠٠) ألف فلورن إلى (١٨٠٠٠٠) ألف فلورن في منتصف القرن السابع عشر**"[٢].

وعليه يمكن القول: إن الشركة الهولندية لها دوراً كبيراً في السيطرة على مساحات كبيرة من الأراضي الآسيوية؛ من أجل إقامة مصالحها التجارية، وازدياد النفوذ الهولندي في المنطقة.

حيث إنهم تحالفوا مع إنكلترا، واشتركوا في الحرب ضد البرتغاليين [٣]، كما إنهم لم يقفوا عند احتكار السلع؛ بل سيطروا على ميناء بندر عباس، وحصلوا على مركز مهم في فارس، حتى يقال: إنهم استطاعوا تخفيض الأسعار في التوابل كما يريدون، عندما تظاهروا بإلقاء التوابل في البحر؛ مما اضطر الفرس أن يوافقوا على السعر الذي فرضه هؤلاء الهولنديون [٤].

إن نجاح التحالف الهولندي الإنكليزي ضد الوجود البرتغالي في منطقة المحيط الهندي وسواحله؛ اضطرها لفقدان معظم مستعمراتها، ولم يبق له سوى القليل على الساحلين الإفريقي، والهندي في منتصف القرن السابع عشر [٥].

اهتم الوجود الهولندي بمنطقة البحر الأحمر من خلال التركيز على بعض الموانئ الموجودة فيه؛ لذا شكلوا بعثة بقيادة فان دن بروكه الذي يعدّ من أهم شخصيات الشركة

---

(١) مجموعة مؤلفين، هولندا والعالم العربي منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين، العلوم – اللغة – التجارة – الثقافة والفن، تعريب: أسعد جابر، ظهرت هذه النشرة إلى النور بالتعاون مع وزارة الخارجية في لاهاي ، هولندا، ١٩٨٥، ص٣٠.

(٢) شاكر، موسوعة ...، ص١٨٣.

(٣) سلوت، عرب الخليج ...، ص٧٦-٧٧.

(٤) مهنا، دليل الخليج ...، ص٩٥.

(٥) حسن، الصراع حول البحر الأحمر...، ص١٢٣.

الهولندية؛ لمعرفة ظروف المنطقة واستكشافها، ومدى استجابة السلطات المحلية المعينة وتعاونها من قبل السلطنة العثمانية في مجال التجارة عام ١٦١٤.

وقفت السلطنة العثمانية بحزم أمام الهولنديين في ميناء عدن ومخا ومنعتهم من الدخول إلى الموانئ اليمنية؛ لأنها لم تحبذ وجودهم في المنطقة [١]، بينما استطاع الهولنديون أن يكون لهم بميناء شحر موطئ قدم فيها، لكن الوضع لم يعجبهم لعدم تحقيقهم الأرباح التي طمحوا لها.

لم تيأس هولندا من المحاولات المتكررة مع القوى الحاكمة في اليمن للحصول على موطئ قدم لها في ميناء مخا؛ لأهميته الاستراتيجية، إلى أن عملت على إقامة مركزاً لها، وحققت تجارة منتظمة فيه، واهتمت أيضاً في تجارة القهوة. ويذكر الباحث الهولندي سلوت أن الشركة أصابها إفلاس، وهذا الأمر دفعها إلى إلغاء مركزها هناك بقوله: "**كانت تكاليف الإبقاء على مركزهم التجاري الهولندي في المخا باهظة جداً ...وحاول الهولنديون الإبقاء على مركزهم في اليمن، ولكنهم اضطروا عام ١٧٣٩إلى إلغائه نهائياً، ومع ذلك استمر إرسال السفن إلى المخا من وقت لآخر وذلك على مدى عشرين عاماً أخرى كلما كان السوق ملائماً**"[٢].

وهكذا يرى البحث أن هولندا عملت على تشكيل مراكز لها في مناطق عدة، ويعود ذلك إلى الأرباح الهائلة التي حصلت عليها في الهند من جراء عملها بالتجارة، ولكن أنهت وجودها كل من الدول الأوروبية المتمثلة بإنكلترا وفرنسا.

ج-المصالح الإنكليزية:

لا يمكن دراسة توسع إنكلترا في منطقة الشرق دون الاطّلاع على التطورات والدوافع التي أدت لذلك، ولأن جوهر هذه الدوافع وأصلها قائم على الدوافع الاقتصادية، ولاسيّما بعد قيام مجموعة من المغامرين البريطانيين الوصول إلى الهند، ومشاهدة الثروات الهائلة، والسلع النفيسة، حيث إنهم عادوا إلى أوطانهم وتحدثوا عن الشرق بشكل عام، والهند بشكل خاص، وما شاهدوه من بذخ وإمكانات اقتصادية كبيرة، ومن أبرز مظاهره كان عند المرأة الهندية التي تثقل أذنيها، وصدرها ومعصميها بالأقراط، والخزام، والأطواق، والأساور، وكل تلك الزينة والحلي من الذهب الخالص، والجواهر، واللآلئ.[٣] ومن أهم هؤلاء المغامرين جيمس لانكستر الذي عمل على تجهيز حملة بحرية للوصول إلى الهند وسومطرة؛ والهدف منها كان جلب التوابل، والحرير،

---

(١) مجموعة مؤلفين، هولندا والعالم العربي...، ص٣٠.

(٢) مجموعة مؤلفين، هولندا والعالم العربي ...، ص٣١.

(٣) قلعجي، الخليج العربي...، ص٣٧٨.

والأقطان بالرغم من الاحتكار الأجنبي، وتم إنشـــاء قاعدة على الحافة الشـــمالية الغربية لجاوا، وبيّن أهمية إنشاء شركة الهند الشرقية (١).

ركزت كل من هولندا ومن ثم إنكلترا، كما ســـنرى في وجودها بمنطقة البحار الشـــرقية والخليج العربي على سياســة تعتمد أسـلوب تأسـيس شـركات تجارية خاصــة، أو مشـتركة مع السـلطات الحكومية في الوطن الأم؛ لتسـتطيع كسـب قلب الأهالي والسـكان في المنطقة؛ لأن ســياســة البرتغال التي اعتمدت كانت على احتلال البلدان، أو الجزر بالقوة، ومن ثم الاهتمام بالمصالح التجارية؛ لذا أصابها الفشل الذريع، وتسلل كل من هولندا وإنكلترا إلى منطقة الخليج، والبلدان الواقعة شـرقي إفريقية، رغم أنهم أمنوا لسـفنهم التجارية المقار، والوكالات التي بفضـل الحماية العسكرية، بذلك أصبحوا مستعمرين ومحتلين لتلك المناطق من خلال القوة العسكرية (٢).

ولقد شكل الموقع الجغرافي لإنكلترا في القارة الأوروبية ضرورة الاهتمام بالسيادة البحرية، وتحقيق التوازن الدولي في المنطقة؛ لتحقيق مصالحها الحيوية التي ترنوا إليها (٣).

أسست الشركة الهندية الشرقية الإنكليزية(The English East Indian Company) عندما صـــدر قرار ملكي في ٣١ كانون الأول من عام ١٦٠٠ من ملكة إنكلترا إليزابيث(٤)

---

(١) جلال يحيى، التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصـــر، ٤ج، المكتب الجامعي الحديث، الإســـكندرية، د.ت، ج٤، ص٢٩١. فريد، كزارا، التوابل والتاريخ الكوني، ترجمة: ايزميرالدا حميدان، هيئة أبو ظبي لثقافة والتراث (كلمة)، ٢٠١٠، ص١١٤.

(٢) أحمد جلال التدمري، (قراءات أرشيفية في الوثائق الهولندية المكتشفة حديثاً وفي الصراع الدولي في الخليج العربي)، مجلة المؤرخ العربي، تصـدر عن الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، العدد٣٤-السنة الثالثة عشرة ١٩٨٧، ص١٩.

(٣) فاروق عثمان أباظة، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة المصـرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص٦٤.

(٤)الملكة اليزابيث : ولدت ملكة إنكلترا وإيرلندا اليزابيث عام ١٥٣٣ ، أباها هنري الثامن، وأمها الزوجة الثانية لهنري الثامن "آن بولين" التي تم إعدامها، وكانت عمر إليزابيث آنذاك عن عمر يناهز ســنتين وثلاثة أشـــهر، وتوفي والدها هنري الثامن عام ١٥٤٧، لقد استطاعت أن تحقق الاستقرار لبلادها، وطبعها بالطابع البروتستانتي، والنصـر على الأسطول الإسباني، ومنحت الشركة الهند الشرقية مرسوماً يحق لها أن تقوم بالتجارة، توفيت بعد إصابتها باكتئاب شديد، وتعددت الآراء في عام وفاتها منهم، من يقول إنها توفيت عام١٦٠٢وآخرون عام ١٦٠٣. البطريق، نوار، التاريخ الأوروبي ...، ص١٩٠. إليزابيـث الأولى ملكـة إنجلترا، الموســوعـة الحرة، ٢٨/ ١١/ ٢٠١٦ الرابط الآتي: https://ar.wikipedia.org/wiki

بتأسيس الشركة، ومنحها امتياز التجارة في الهند والشرق[1]، وبدأت الشركة مهامها في مد النفوذ البريطاني في الهند وما يجاورها من ناحية، وبلاد فارس، والخليج العربي من ناحية ثانية، وتأمين الطرق للوصول إليها، وهنا بدأت الاهتمامات إنكلترا باتجاه مداخل البحر الأحمر، حيث سمح لها بإقامة مشاريع تجارية مع بلاد اليمن، والاستفادة بنصيب من تجارة البلاد العربية وخاصة البن.

أرادت إنكلترا أن يكون لها موطئ قدم في منطقة البحر الأحمر؛ لذا حاولت التخلص من الوجود البرتغالي والهولندي فسعت إلى إنشاء علاقات تجارية في المنطقة من خلال إرسال البعثات إلى اليمن، فكانت أولى هذه البعثات عام ١٦٠٧، حيث أرسلت شركة الهند الشرقية الكابتن وليم كينج (W.Keng) إلى مدينة عدن، بهدف تأسيس وكالة تجارية، لكن هذه المحاولة كان نصيبها الفشل؛ بسبب إصرار العثمانيين على حماية الثغور الجنوبية من أي تدخل أوروبي[2].

وفي عام ١٦٠٩تابعت نشاطاتها في إرسال بعثة أخرى بقيادة الكابتن ألكسندر شارلي(Alexander Sharly) ، فتم استقبالها بحفاوة من قبل جعفر باشا (١٦٠٧-١٦١٦)، ولكن قام العثمانيون بمصادرة حمولة سفينتهم، وطرده من المنطقة، وبذلك فشلت هذه البعثة من التدخل في المنطقة[3] ، وفي العام التالي تم إرسال بعثة تجارية بقيادة سير هنري ميدلتون (Henry middeleton) الذي اتجه إلى عدن، ومن ثم إلى المخا، ولكن جوبهت هذه البعثة من قبل الأتراك، وتعرضت لاعتداء، حيث قتل ثمانية من رجال ميدلتون، وتم اعتقاله، ولكن أطلق سراحه على ألا يعود مرة أخرى إلى المنطقة [4].

---

(١) أرنولد تالبوت ويلسون، الخليج العربي، ترجمة عبد القادر اليوسف، الفجر للطباعة والنشر، الكويت، د.ت، ص٩٤-٩٦. مصطفى عبد القادر، النجار، (شركة الهند الشرقية. ملامحها وأبرز سماتها في الخليج العربي ١٦٠٠-١٨٥٨)، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد ١٥، السنة الرابعة، الكويت، تموز، ١٩٧٨، ص١٠١-١٠٩.

(٢) فاروق عثمان، أباظة، الحكم العثماني في اليمن، ١٨٧٢ -١٩١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ص٢٦.

(٣) وذكر الباحث البريطاني كور Kour في كتابه أن أول حملة أدت إلى الاتصال بين اليمن وإنكلترا هذه الحملة Z. H Kour, The History of Aden 1839-1872,(London, 1981), P. 4. البطريق، من تاريخ اليمن ...، ص٣٦-٣٧.

(٤) محمد محمود الصياد، (الرحالة الأجانب في الجزيرة العربية قبل القرن التاسع عشر)، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٤، (بغداد، ١٩٨٠)، ص٥٤ أباظة، عدن والسياسة...، ص٦٥-٦٧. هند فخري سعيد، (التنافس البريطاني -الفرنسي على السواحل الجنوبية (اليمن) (١٧٦٢-١٨٠٢))، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، جامعة الموصل، العدد٣، المجلد ١٠، ٢٠١١، ص٣٠٣-٣٠٤. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، فصول من تاريخ مصر الاقتصادي

في عام ١٦١٢ أرسلت بعثة تجارية أخرى بقيادة جون ساريز (john saris) فتكونت من ثلاثة سفن[١]، وطلب الحاكم العثماني أزدمر (وهو من أصل يوناني) أن ينسى ما بدر من الحاكم العثماني السابق رجب أغا لقيامه بأذية السير ميدلتون، وقد أصدر الوالي العثماني بأن يسمح للتجار الأجانب بحرية التجارة على السواحل اليمنية مع السفن الهندية، كما سمح أيضاً بشراء كل ما يريدونه من ميناء مخا [٢].

استعادت إنكلترا نشاطها في المنطقة، ولاسيّما بعد التساهل الذي قدمه العثمانيون مع التجار الأجانب. في عام ١٦١٨ أرسلت إنكلترا بعثة جديدة بقيادة القبطان شلنج (Captain Shiling) على ظهر سفينة تدعى آن رويال (Anne Royal) لإقامة وكالة تابعة لشركة الهند الشرقية البريطانية في تلك الفترة، كان حاكم المخا رجب آغا الذي أساء للسير ميدلتون، ولكن هذه الفترة قدم اعتذاره للكابتن شلنج، وبرر فعلته بأن الوالي العثماني في صنعاء هو الذي أصدر التعليمات، وما هو سوى عبد مأمور لتنفيذ هذه التعليمات، وسمح لإنكلترا بإقامة أول وكالة تجارية لهم في المخا في عام ١٦١٨، وممارسة التجارة بحرية تامة، وتحديد ضرائب التصدير والاستيراد ٣% فقط [٣].

وجد بعض الباحثين أن السياسة التي اتبعتها السلطنة العثمانية عندما سمحت للشركات الأوروبية الدخول إلى منطقة البحر الأحمر؛ كان بسبب خشيتهم من دخول هذه الشركات إلى موانئ لا تسيطر عليها السلطنة العثمانية[٤]. ولكن لا اتفق مع هذا الرأي؛ لأن السلطنة العثمانية كانت المسيطرة على موانئ البحر الأحمر.

استلم الأئمة الزيديون الحكم مع خروج العثمانيين من اليمن عام ١٦٣٥، وامتدت سيطرتهم حتى حضرموت، ومن زاوية أخرى، أصاب التجارة بعض التدهور في اليمن؛ بسبب

والاجتماعي في العصر العثماني، تاريخ المصريين ٣٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠، ص١٢٨-١٢٩. البطريق، من تاريخ...، ص٣٧.

(١) جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٥. عبد الرحيم، فصول من تاريخ...، ص١٢٩.

(٢) سعيد، التنافس البريطاني -الفرنسي...، ص٣٠٤.

(٣) أباظة، عدن والسياسة...، ص٦٧-٦٨. سعيد، التنافس البريطاني -الفرنسي ...، ص٣٠٤-٣٠٥ Kour. Op. Cit, P. 5

(٤) حسن صالح شهاب، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨١، ص٢١٩.

الصراعات الأوروبية على المنطقة؛ فضلاً عن عدم تمكن الدولة القاسمية من ملء فراغ السلطنة العثمانية، بسبب الانقسامات الداخلية والفوضى السياسية [١].

عقدت إنكلترا معاهدة تجارية مع علي بك الكبير ١٧٧٢؛ لتثبيت نفوذها في المنطقة، وذلك بالسماح للشركة الهند الشرقية المرور عبر طريق مصر البحر الأحمر الذي تم إغلاقه بوجه الدول الأوربية بأوامر من السلطنة العثمانية بذريعة حماية الأماكن المقدسة، وتحصيل الضرائب الجمركية من البضائع المارة بأراضي السلطنة وولاياتها[٢].

أثرت الصراعات السياسية في الأوضاع الاقتصادية لإيالة مصر؛ مما جعلها بحالة عدم استقرار، وخصوصاً بعد الصراع الذي حصل بين علي بك ومحمد بك أبو الذهب[٣]، وانتهى بتسلم محمد أبو الذهب الحكم.

أرسلت الشركة الهندية الشرقية الإنكليزية التاجر الأسكتلندي جيمس بروس (J.Brous) للتفاوض مع محمد بك للحصول على اتفاق، فتم له ذلك بعقد معاهدة تجارية ١٧٧٣، وتتضمن هذه المعاهدة تسهيل حركة التجارة بين مصر والهند مع منحها تخفيضاً ضريبياً للجمارك المحصلة من البضائع المباعة في الموانئ المصرية[٤].

عقد الحاكم العام للهند(وارن هستنكز W. Histenks) (١٧٧٤-١٧٨٥) اتفاقية جديدة مع محمد أبي الذهب عام ١٧٧٥تضمنت تخفيض قيمة الضرائب على البضائع الآتية من

---

(١) خليل أحمد إبراهيم، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٣، ص٢١٥. البطريق، من تاريخ...، ص٤٣.

(٢) نادية محمود مصطفى، العصر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ص١٢٣-١٢٤.

(٣) محمد أبو الذهب: (ت ١٧٧٧) أحد مماليك علي بك الكبير الذي أصبح أميراً للحج عام١٧٦٣، واحتل مكاناً مرموقاً في وقت قصير، وفتح الحجاز والشام، خرج مع بعض القواد على سيده، وأيده السلطان العثماني، وأمده بالسلاح والمال، فانتصر على علي بك رغم مساندة ظاهر العمر حاكم فلسطين، وأعاد مصر إلى أحضان السلطة العثمانية، أقره السلطان العثماني على ولاية مصر ١٧٧٣، وبقي في ولايته عامين، قاد الجيش لمحاربة الشيخ ظاهر العمر بالشام واستولى على غزة، ويافا، وعكا ومات بها، ونقل جثمانه إلى القاهرة ودفن في المسجد المواجه للأزهر، وبعد وفاته اشترك كل من مراد بك وإبراهيم بك في حكم ولاية مصر، وكلاهما من مماليك أبي الذهب. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة،٧مج، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩، مج٦، ص٥٩.

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، النشاط التجاري في البحر الأحمر في العصر العثماني ١٥١٧-١٧٨٩، مجلة الدارة، دارة الملك عبد العزيز، السعودية س٦، ع٢ ربيع الأول ١٤٠١كانون الثاني، ١٩٨١، ص٩٩. حسن، الصراع الدولي ...، ص١٢٦.

البنغال ومدراس[١] بنسبة ٦ ونصف%، وقيمة الضرائب الآتية من سورات وبمباي إلى ٨%؛ فضلاً عن السماح للإنكليز بشراء المنتجات وتصديرها من مصر من دون ضريبة، وتأمين الحماية للمتاجر التي تنقل من الطور والقاهرة من أجل تصديرها للخارج. ولكن هناك مَن تضرر نتيجة هذه الاتفاقية، وفي المقدمة الحجاز حيث إن شريف مكة رفض هذه الاتفاقية؛ لأنها ستفقده ما يجنيه من الضرائب التي يفرضها على البضائع المبيعة؛ فضلاً عن اعتراض تجار القسطنطينية؛ لكونهم يريدون مرور تجارتهم عن طريق وادي الفرات، كما شكلت هذه الاتفاقية خطراً كبيراً على نفوذ السلطنة العثمانية في مصر؛ لأن السماح للشركات الأجنبية من التجارة عن طريق البحر الأحمر سيجعل من بكوات المماليك أغنياء، وسيتمردون على السلطنة العثمانية في المستقبل وهذا ما حصل [٢].

أسفرت هذه الأسباب مجتمعة عن إصدار السلطنة العثمانية فرماناً عام ١٧٧٥و ١٧٧٩ينص على تحريم التجارة في البحر الأحمر، ولكن هذه الاتفاقية أصبحت لا قيمة لها بعد وفاة أبي الذهب بشكل مفاجئ، وعدم احترام الاتفاقية من قبل خلفائه مراد بك وإبراهيم بك[٣]، وزيادة على ذلك أرادت إنكلترا الطريق البري في مصر؛ لإرسال الرسائل البريدية بشكل أسرع إلى الهند، وليس بغرض التجارة [٤].

بدأت فرنسا تفكر جدياً بمشاريع استعمارية بعد قيام الثورة الفرنسية ١٧٨٩، الغرض منها طرد إنكلترا من البحر الأحمر، والسيطرة على مراكزها فيه، وضرب مصالحها في الهند، وحاول قنصل إنكلترا في مصر جورج بولدوين (George Baldwin) تحذير حكومته من مخططات

---

(١) مدراس: وهي مدينة في الهند أسست عام ١٦٦١ من قبل شركة الهند الشرقية الإنكليزية. تشيناي، ويكبيديا، الموسوعة الحرة،٢٠١٧/٧/٢٥، الرابط الآتي:https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢)عمر عبد العزيز عمر، تاريخ المشرق العربي (١٥١٦-١٩٢٢)، النهضة العربية للطباعة، بيروت، د.ت، ص٢٢٧.

(٣)إبراهيم بك :(ت١٨١٥-١٨١٦) واحد من كبار المماليك في مصر، كان رقيقاً اشتراه محمد أبو الذهب، ثم اعتقه وزوجته وأخته، ثم أصبح واحداً من بكوات مصر، ثم دفتردار عام ١٧٧٣، ثم شيخاً للبلد، ولما توفى أبو الذهب في عكا، ورث إبراهيم ثروته ونفوذه، اقتسم إبراهيم نفوذ مصر مع مراد بك أحد أمراء أبي الذهب، فصار إبراهيم شيخاً للبلد اهتم بالشؤون الإدارية، ومراد بك اهتم بشؤون الجيش، إلى أن جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر، هرب إبراهيم بعد هزيمة المماليك في معركة إمبابة إلى بلاد الشام، ثم عاد إلى مصر مع جيش عثماني، ودخل القاهرة ١٨٠٠، وفترة وجود محمد علي وكل إليه منصب شيخ البلد، وفي أثناء مذبحة المماليك لم يكن موجوداً، ولكنه أصبح من أشد المعارضين لمحمد علي، ورفض الصلح معه، ثم هرب إلى دنقلة مع أتباعه، حيث توفي هناك، ولكن زوجته أحضرت جثمانه إلى القاهرة. مجموعة مؤلفين، الموسوعة...، مج١، ص٦-٧.

(٤) عمر، تاريخ المشرق ....، ص٢٢٨.

فرنسا للسيطرة على مصر، ولكن من دون جدوى على الرغم من الصيحات التي أصبحت تتعالى بشأن مشاريع فرنسا ضد إنكلترا إلى أن غادر مصر ١٧٩٦[١].

انتقل الصراع بين قوى الغرب؛ المتمثلة بفرنسا وإنكلترا إلى مصر، عندما شعروا بأهميتها ودورها عندما فشلت فرنسا بضرب إنكلترا في نهر المانش في أثناء صراعاتهم في القارة الأوروبية، قررت أذية إنكلترا من خلال قطع الطريق الواصل إلى مستعمراتها في الشرق الأقصى، وجهت فرنسا مخططاتها الاستعمارية بالحملة التي أرسلتها إلى مصر بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨، فأحدثت بذلك نقلة نوعية في الصراعات والتوازنات الدولية [٢].

وهكذا نجد أن إنكلترا قامت بتشكيل شركتها التجارية من أجل أن تحقق أرباحاً هائلة ومكاسب كبيرة، واستطاعت بعد إرسال بعثات تجارية أن تحقق نجاحاً في الوصول إلى المداخل الجنوبية لليمن، ولاسيّما بعد وقوفها أمام الوجود البرتغالي والهولندي، وانحصرت منافستها مع فرنسا، ومن ثم انتقلت تلك المنافسة مع فرنسا إلى مصر.

د-المصالح الفرنسية:

تأخرت فرنسا في الوصول إلى ميدان التنافس التجاري، وإنشاء مراكز لها في بحار الشرق[٣]؛ لانشغالها بحروب سواء مع جيرانها كالحروب الإيطالية أو حروب الإصلاح الديني.

حيث قررت إرسال مجموعة من المغامرين بقيادة فرانسوا دي لافال(De leval) من ميناء سانت مالو إلى الشرق عبر رأس الرجاء الصالح، ولكن انتهت بارتطام السفينة بصخور ناتئة من جزر المالديف[٤]، وعندما أدركت فشلها في الوصول إلى رأس الرجاء الصالح توجهت بكامل إمكاناتها نحو البحر الأحمر، ولاسيّما مصر.

---

(١) عمر، تاريخ المشرق ....، ص٢٣٠-٢٣١.

(٢) حسن الضيقة، دولة محمد علي والغرب الاستحواذ والاستقلال، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢، ص١٠٥.

(٣) محمد عمر الحبشي، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ عام ١٩٣٧حتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨، ص٨.

(٤) جزر المالديف: يذكر أن مالديف اصطلاح مشتق من كلمتين "محل" أي مكان و"ديفا" بمعنى الجزيرة، وفي كتب التراث تكتب "محل ديب"، وأن أهل الجزيرة يكتبونها موصولة، ونقلها الأجانب إلى(Maldives) تقع على الساحل الجنوبي الغربي للهند، تبعد عن جزيرة سيلان بمسافة ٦٤٠ كم، ويزيد عددها على ألفي جزيرة واحتلها البرتغاليون ١٥٥٣، وانتهت سيطرتهم عليها ١٥٧٣، ومع الوجود الهولندي أصبحت هذه الجزر تدفع الضريبة لهولندا بعد عقد اتفاقية مع سلطانها، وبعد ضعف الهولنديين وقعت تحت يد المالبار، ثم اغتنمت إنكلترا الفرصة عام ١٨٨٧، وعقدوا

اتبعت فرنسا الأساليب نفسها التي استخدمها كل من هولندا وإنكلترا، وذلك بإنشاء شركات تجارية، وعن طريقها تُنشِئ محطاتٍ ومراكز تجارية مع الشرق، حيث كانت البدايات مع رحلة انطلقت إلى الشرق عام ١٦١٩، ومن ثم أنشأت شركة الهند الشرقية ١٦٦٤، وإعلان مرسوم يسمح لهم بالاتجاه نحو المناطق الجديدة، وإبرام اتفاق مع السلطنة العثمانية التي تعطيهم الحق بالتجارة (١).

ومن الجدير بالذكر أن كولبير(٢) كان المشرف العام على تأسيس الشركة الهندية الشرقية، وعمل جهده على مساندتها، وتحقيق أهدافها ، وعلى مشاركة الجميع فيها من دون أن تكون مقتصرة على تجار الموانئ، بدءاً من الملكية الفرنسية انتهاءً بالشعب الفرنسي، كما أرسل تعميماً نشره على البلديات، وإلى أثرياء البلد يخاطبهم فيه قائلاً: "**أيها السادة عليكم أن تشتركوا في فخر هذا العمل وفوائده ولِيُسْهِمْ في الشركة كل واحد منكم بقدر استطاعته، وأنا شخصياً مطمئن من الأرباح التي سوف تعود إليكم من هذه المشاركة، ولطمئنتكم مستعد أن أحلف لكم**"(٣).

بدأت فرنسا ترسل رحلاتها إلى البحر الأحمر عام ١٧٠٣، واتجهت إلى كل من السودان ومصر والحبشة، وسرعان ما بدأت المخاوف تثير السلطنة العثمانية من هذه الرحلات لاعتقادها أن هذه الرحلات والبعثات الغاية منها؛ تعليم تلك الدول صناعة الأسلحة والبارود، ووردت أنباء عن رغبة فرنسا بتغيير مسار نهر النيل، فعملت السلطنة العثمانية على إصدار الأوامر بوجوب مغادرة هذه الأراضي بأقصى سرعة ممكنة (٤).

معاهدة مع سلطان هذه الجزر لتصبح خاضعة لسيطرة إنكلترا، وحصلت هذه الجزر على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية. محمود شاكر، جزر المالديف، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩، ص١١-١٤-١٦-١٩ – ٣٨-٣٩.

(١) جاد طه، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩، ص٣٠. يحيى، جلال، معالم التاريخ الحديث، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٧٦، ص١٥٠.

(٢) كولبير: خبير اقتصادي فرنسي الذي عمل في فترة الملك لويس الرابع عشر جعل فرنسا تتحول إلى الاستعمار لما وراء البحار عن طريق إنشاء شركة الهند الشرقية الفرنسية، وزيادة عدد السفن في عهده من عشرين سفينة في عام ١٦٦١ إلى مائة وأربعين سفينة، وطموحاته في الاستيلاء على مصر من خلال حفر قناة سويس، ولكن فساد النظام المالي والإسراف والتبذير الذي قام به الملك لويس الرابع عشر على مظاهر الأبهة وحروبه لم يتمكّن كولبير من إنقاذ الخزينة المالية من الانهيار التدريجي الذي تتعرض له. البطريق، نوار، التاريخ الأوروبي...، ص١٦٤-١٦٥.

(٣) البر ماله إيزاك زول، تاريخ قرن هجدهم انقلاب كبير فرانسه وامبراطورى نابلئون، ترجمه رشيد ياسمى، چاپ وصحافى چاپخانه سسبهر، تهران، ١٣٦٢، ص٢٠٠-٢٠١.

(٤) جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر...، ص٣٦.

أرسلت فرنسا بعثة تجارية بقيادة دي ميرفل (De Merveille) إلى عدن ١٧٠٨، ومن ثم اتجهت إلى ميناء المخا ١٧٠٩، واستطاعت الحصول على اتفاق تجاري مع حاكم المخا فترة التراجع العثماني وزيادة الحكم المحلي في عهد الأسرة القاسمية الزيدية، ومن أهم بنود هذه الاتفاقية:

✱ إقامة فرنسا وكالة تجارية لها في ميناء المخا.

✱ السماح لفرنسا أن ترفع العلم الفرنسي على وكالتها، ولكن يجب على التجار الفرنسيين أن يعودوا أدراجهم ليلاً إلى سفنهم.

✱ أن تدفع فرنسا ضريبة جمركية على البضائع التي تبيعها نسبة ٣% [١].

بفضل هذه الاتفاقية عادت السفن الفرنسية بقيادة دي لالاند (De LaLand) إلى ميناء عدن عام ١٧١١ من أجل التجارة في البحر الأحمر [٢].

وبالتالي يمكن القول: إن فرنسا أدركت ضرورة الاقتراب من الدول المطلة على دول البحر الأحمر بعيداً عن السلطنة العثمانية عن طريق إقامة علاقات دبلوماسية واتفاقيات تجارية بشكل مباشر مع السلطات المحلية؛ مما جعل السلطنة العثمانية تصدر أوامرها بمنع الدول الأوروبية من دخول مياه البحر الأحمر بشكل عام خوفاً على الطرق البرية التي تمر عبر بلاد الشام والعراق؛ لأن ذلك سيؤدي إلى تراجع دورها وتقوية السلطات المحلية وتمردها على السلطنة.

ولكن الإمام اليمني الناصر محمد بن أحمد (١٦٨٦-١٧١٨) رفض الرضوخ إلى أوامر السلطنة العثمانية؛ لأن ذلك يضعه بعزلة، لكن توترت العلاقات مع فرنسا وانتهت بقصف ميناء المخا في عهد الإمام اليمني المنصور الحسين بن قاسم عام ١٧٣٨من قبل سفن الشركة الفرنسية؛ مما اضطر الحاكم اليمني أن يوقع اتفاقاً مع فرنسا جعلت الضريبة الجمركية على البضائع المباعة تتناقص عما كانت عليه [٣].

وهكذا وطدت الدول الأوروبية وجودها في جنوب البحر الأحمر، وبدأت الاتجاه نحو شماله مع منتصف القرن الثامن عشر، ولكن سرعان ما أصبحت هذه المواجهة بين فرنسا وإنكلترا فقط بعد القضاء على نفوذ الدول الأوروبية الأخرى كالبرتغال وهولندا في المنطقة[٤].

---

(١) عبد الرحيم، فصول من تاريخ مصر...، ص١٣١.

(٢) عبد الرحيم، النشاط التجاري ...، ص٩٧.

(٣) عبد الرحيم، النشاط التجاري...، ص٩٧-٩٨.

(٤) محمد، الصراع الدولي...، ص٤٣.

حاولت فرنسا أن تغير مسار سياستها مع السلطنة العثمانية، عندما أثارتها السياسة الروسية ومساعيها بمد نفوذها إلى البحر الأسود والحصول على مضيقي البوسفور والدردنيل، فشعرت بخطر يهدد وضعها بالشرق، كما اضطرت إلى التحالف مع السلطنة العثمانية؛ بسبب حرب الوراثة النمساوية (War of the Austrian Succession) [1] (١٧٤٠-١٧٤٨) للوقوف بوجه النمسا؛ واعدة السلطنة العثمانية أنها ستعيد لها المجر بوقوفها معها.

استطاعت فرنسا بدهائها السياسي أن تجدد الامتيازات التجارية والدينية التي حصلت عليها من السلطنة العثمانية بأن تكون حامية المسيحيين الشرقيين، والأماكن المقدسة المسيحية، وأصبحت الكنائس الكاثوليكية تحت رعاية فرنسا؛ فضلاً عن ذلك حماية الكاثوليك في الأماكن المقدسة بموجب معاهدة ١٧٤٠[2].

مع الوقت نلاحظ أن هذه الامتيازات الأجنبية شكلت مسماراً يدق في نعش السلطنة العثمانية؛ لأنها جعلتها ضعيفة ومقيدة في ممارسة صلاحياتها كسلطنة على أراضي ولاياتها، كما ترتب على هذا ازدياد نفوذ الأقليات وولائهم للدول التي تحميهم [3].

ومن الجدير ذكره أن العلاقات الفرنسية العثمانية شهدت انعطافاً قاد إلى الفتور والقطيعة في عهد الملك الفرنسي لويس الخامس عشر [4]؛ لأنه لم يقف مع السلطنة العثمانية بوجه مطامع القيصرة الروسية.

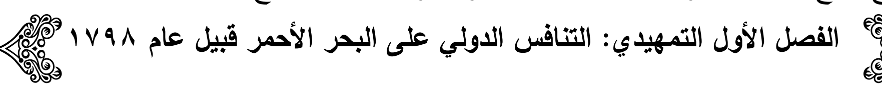
---

(١) حرب الوراثة النمساوية(War of the Austrian Succession) (١٧٤٠-١٧٤٨): هي حرب اندلعت بسبب وفاة الامبراطور شارل السادس الذي ترك من بعده أملاك الهبسبورغ الواسعة، والتاج الامبراطوري لابنته ماريا تريزا في الوقت الذي لا يسمح به أن ترث المرأة أملاك الإمبراطورية، ولكنها ورثته في وجود معارضة من قبل أمراء طامعين في الحكم، وبدأت الحرب عندما قام ملك بروسيا فريدريك بمعارضة حكم ماريا تريزا، وأمر الجيش البروسي بالهجوم على سيليزيا عام ١٧٤٠، ولكن انتهت بصلح إكس لاشابل ١٧٤٨. زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ٢ج، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ج١، ص٢٩٠-٢٩٦.

(٢) مجموعة مؤلفين، تاريخ الحضارات العام (القرن الثامن عشر)، إشراف: موريس كروزيه، ترجمة: أسعد داغر، فريد م داغر، مجلدات٧، منشورات عويدات، بيروت -باريس،١٩٨٧، مج ٥، ص٢٢٦. مصطفى، العصر العثماني ...، ص١٢٣.

(٣) قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣، ص٢٧.

(٤) لويس الخامس عشر: ولد الملك الفرنسي لويس الخامس عشر عام ١٧١٠، وتولى العرش رغم صغر سنه في الخامسة من عمره عام ١٧١٥، بعد وفاة الملك الفرنسي لويس الرابع عشر، وفي عهده تزايد الوضع الاقتصادي سوءاً، فأثار نقمة شعبه عليه، ووضع فرنسا في حرب السبع سنوات؛ مما جعلها تفقد كندا والهند، سمير، شيخاني، صانعو التاريخ، ٢ج، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١، ج١، ص٢٤-٢٣.



ومع قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٩٨، بدأت مشاريع فرنسية استعمارية تلوح بالأفق تهدف إلى احتلال مصـــر لإحيــاء طريق التجـارة الـذي يمرُّ بين البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط[١].

وعلى الرغم من اعتراف السـلطان العثماني بالجمهورية الفرنسـية عام ١٧٩٤، فقد أرادت حكومة الإدارة أن تضـرب إنكلترا، وتضـع حدّاً لنفوذها في مناطق الهند، خصـوصـاً بعد فقدان معظم مسـتعمراتها في الهند، فأرسـلت حملة إلى مصـر عام ١٧٩٨بقيادة نابليون بونابرت؛ من أجل استعادة أمجاد فرنسا، وتشكيل إمبراطورية مترامية الأطراف [٢].

مما سـبق يمكن القول: إن الإمبراطورية الفرنسـية تبلورت ملامحها التوسـعية فترة لويس الرابع عشـر، وشـكلت شـركات لها للتوسـع في منطقة الهند؛ مما أدى إلى خلق تنافس تجاري استعماري بينها وبين إنكلترا، فتحولت كل سياستها للوقوف بوجه إنكلترا، وفي هذه الحالة ما كان منها سـوى ضـرب مصـالح إنكلترا عن طريق احتلال مصـر من خلال توجيه الحملة الفرنسـية على مصر بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨.

---

(١) طقوش، تاريخ العثمانيين ...، ص٣٠٧.

(٢) جرادات، الأهمية الاستراتيجية للبحر...، ص١٢٣-١٢٤. حسون، تاريخ الدولة ...، ص١٥٠.

الفصل الثاني:

الصراع الدولي على البحر الأحمر بين عامي ١٧٩٨-١٨٢٠

أولاً-تداعيات وجود الغرب في البحر الأحمر ما بين (١٧٩٨-١٨٠١):

١- أسباب الحملة الفرنسية على مصر.

٢- دخول الحملة الفرنسية إلى مصر، وتوجهها إلى بلاد الشام.

٣- عودة نابليون إلى فرنسا.

٤- الإجراءات التي اتخذتها إنكلترا لصد الوجود الفرنسي في البحر الأحمر.

٥- انسحاب الحملة الفرنسية من مصر.

٦- نتائج الحملة، وأثرها في البحر الأحمر.

ثانياً-التدخل الأوروبي في أراضي السلطنة العثمانية، وتأثير ذلك في منطقة البحر الأحمر ما بين(١٨٠٢-١٨٢٠):

١- وصول محمد علي إلى الحكم في مصر(١٨٠٢-١٨٠٥).

٢- محاولة إنكلترا السيطرة على مصر بإرسالها حملة فريزر١٨٠٧.

٣- أثر الحرب الروسية العثمانية على البحر الأحمر (١٨٠٦-١٨١٢).

٤- تكليف محمد علي بالقضاء على الحركة الوهابية.

٥- أزمة الخليج العربي، والتدخل المصري في الإحساء بأمر من السلطنة العثمانية، وأثره في البحر الأحمر.

ثالثاً-النشاط المصري على الساحل الغربي للبحر الأحمر:

١- حملة محمد علي على السودان ١٨٢٠، ونتائجها على المنطقة.

أولاً-تداعيات وجود الغرب في البحر الأحمر ما بين (١٧٩٨ – ١٨٠١):

من خلال دراستنا للفصل التمهيدي، تبين لنا أن جذور الصراع بين الدول الأوروبية على منطقة البحر الأحمر، تمتد منذ الكشوف الجغرافية، وقيام البرتغال باكتشاف رأس الرجاء الصالح، واحتكار طرق الملاحة إلى الشرق الأقصى، ومن ثم تبعها كل من هولندا، ومن بعدها إنكلترا وفرنسا للتنافس على منطقة البحر الأحمر، والوصول إلى الهند عن طريق الشركات التجارية، ولكن استطاعت إنكلترا احتلال مركز القيادة والصدارة بعد إزاحة فرنسا من أمامها.

وهنا قررت فرنسا أن تعيد أمجادها القديمة للوصول إلى السيادة العالمية، وذلك بالسيطرة على مصر والوصول إلى البحر الأحمر، حيث أقدمت على إرسال حملة فرنسية إليها في تموز ١٧٩٨، ولكن علينا أن ندرك معطيات هذه المرحلة، والظروف التي أدت إلى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر؟

١-أسباب الحملة الفرنسية على مصر:

أ- الثورة الفرنسية ١٧٨٩ومواقف الدول الأوروبية منها:

شكلت الثورة[١] الفرنسية انعطافاً خطيراً في المحركات السياسة الدولية، حين أوجدت مفاهيم جديدة، منها (الحرية ، العدالة، المساواة)، وأحدثت انقلاباً كبيراً على جميع الصعد الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: ما طبيعة العلاقة بين الثورة الفرنسية والحملة الفرنسية على مصر؟

يمكن القول: إن خوف ملوك أوروبا على عروشهم، اضطرهم إلى تشكيل تحالف ضد فرنسا للقضاء على الثورة، ومنع انتشار مبادئها خارج حدودها، وإعادة الملكية الفرنسية، ولكن فرنسا استطاعت أن تقف بوجه هذا التحالف، ماعدا إنكلترا التي فشلت في هزيمتها في عقر دارها للأسباب الآتية:

١-موقعها الجغرافي المنعزل عن القارة الأوروبية.

---

(١) الثورة: هي عبارة عن تغيير جوهري في أوضاع المجتمع، لا تتبع فيه طرق دستورية، والثورة يقوم بها الشعب في وجه الحكومة، مما يعرقل ممارستها لسيادتها. بينما الانقلاب يقوم به رجال الدولة. جورج صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ٢ج، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢، ج١، ص٣٨١.

٢-تفوق إنكلترا في قوتها البحرية، وفشلهم في ضربها عن طريق بحر المانش؛ لذا قال نابليون بونابرت عام ١٧٩٧:" **يجب علينا سحق إنكلترا وإلا سحقتنا، وللقضاء عليها، يجب توجيه كل قواتنا نحو البحر، فإذا نجحنا أصبحت أوروبا تحت أقدامنا**"[١].

وإزاء ذلك، بدأت فرنسا تفكر في ضرب إنكلترا بمكان آخر عن طريق احتلال مصر، والسيطرة على طريق التجارة الذي يؤدي إلى الهند، والسيطرة على طريق البحر الأحمر [٢].

إن فكرة الاستيلاء على مصر لم تكن وليدة العصر الحديث، وإنما وجدت لذلك منذ أيام الحروب الصليبية، حيث تم إرسال حملة إلى مصر في العصور الوسطى.

في عهد الملك لويس الرابع عشر، ظهر المفكر لابينز (leibinz)عرض عليه أفكاره[٣]، وذلك بإرسال جيش للسيطرة على مصر، بقوله: "**هذا هو أضخم مشروع يمكن تصوره، والأكثر سهولة في تنفيذه، إن مصر من بين جميع بقاع العالم هي الأفضل موقعاً؛ من أجل السيطرة على الدنيا وعلى البحار، والحال أنها خالية من أي دفاع، ولاتنتظر سوى وصول جيش تحرير كي تنهض ...كانت مصر منبعاً للعلوم، وعريناً لمعجزات الطبيعة ... فلماذا يجب على المسيحيين فقدان هذه الأرض المقدسة التي تربط آسيا بإفريقية، وتتوسط كحاجز بين البحرين الأحمر والمتوسط، وتعدّ مستودعاً لغلال الشرق، ومخزناً لكنوز أوروبا... نجاح هذا المشروع سيؤمن امتلاك الهند وتجارة آسيا والسيطرة على الكون**"[٤].

ولكن هذا المشروع لم ينفذ، واكتفى بشن الحرب على دول أوروبا. ثم طُرِح مشروع السيطرة على مصر مرة أخرى من قبل المسؤولين والمفكرين في فترة لويس السادس عشر، ومن أحد هذه المشاريع مشروع البارون دي توت[٥] الذي كان في القسطنطينية عام١٧٧٦،عمل

---

(١) هربرت فشر، نابليون، ترجمة، محمد نوفل، مصطفى زيادة، المطبعة الرحمانية، مصر، ط١، ١٩٢٧، ص٦٢.

(٢) مسعد يوسف يوسف، عظماء من العالم نابليون بونابرت، المركز العربي الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٨٨، ص٢٥-٢٦.

(3) PARLOUIS ADOLPHE THIERS, EXPÉDITION DE BONAPARTE EN EGYPTE, HENRY HOLT AND COMPANY F, W. CHRISTERN, BOSTON,1894, p5.

(٤) روبير سوليه، مصر ولع فرنسي، ترجمة لطيف، فرج، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩، ص٢٥.

(٥) البارون دي توت (de tott): أصله من المجر كان نبيلاً عمل في خدمة فرنسا، وعين مفتشاً لموانئ البحر الأبيض المتوسط وبعد عودته إلى أوروبا، قام بنشر مذكراته فيها سبعون صفحة تتعلق بمصر، حيث وصف الاضطرابات التي شاهدها في أثناء تجوله في المدن المصرية عام ١٧٧٧، ونتيجة هذه الاضطرابات التي كانت سائدة، اضطر أن يأخذ من كتابات الرحالة السابقين؛ لكونه لم يستطع أن يزور كل المدن المصرية. إلهام محمد علي ذهني، مصر في كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين في القرن الثامن عشر، سلسلة تاريخ المصريين٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص٦٨-٦٩.

معاوناً لسفير فرنسا، ومدرباً عسكرياً في الجيش العثماني، فقد أشار في مذكرته التي رفعها إلى السلطة الفرنسية إلى أن الاستيلاء على مصر لن يكون إلا "**احتلالاً سلمياً لبلد أعزل**" وأن الشعب المصري سوف ينظر إلى فرنسا كونها محرّرة له من سلطة المماليك(١)، ولقد وضع الحجج والمسوغات للسيطرة على مصر، منها: تعرض الفرنسيين المقيمين في مصر للكثير من المضايقات واضطهاد من جانب بكوات المماليك، ولكنه غض النظر عن المشروع؛ بسبب الحرب مع إنكلترا؛ مما أجبرهم على عدم تشتيت الجيش، وزجه بجبهة جديدة (٢).

ومن الجدير بالذكر أن الحملة الفرنسية كانت تسير على خطى ثابتة، في الوقت الذي تتآكل فيه السلطنة العثمانية؛ نتيجة هزيمتها أمام الجيشين النمساوي والروسي، وتوقيعها معاهدة سلام عام ١٧٩٢. بعد أن نجحت الثورة الفرنسية، وأعلنت الجمهورية في فرنسا، حاولت فرنسا كسب صداقة السلطنة العثمانية بعد اعترافها بها، وتم تبادل السفراء فيما بينهما ١٧٩٤، وتوقيع اتفاق مشترك عام ١٧٩٦، على الرغم من اعتراض كبار رجال الدولة وشيخ الإسلام في السلطنة العثمانية ولكن بدأت نوايا فرنسا الاستعمارية تظهر بالتوسع تجاه حدود السلطنة العثمانية، فأثارت مخاوف السلطنة العثمانية، التي لم تصدق التحذيرات التي أرسلتها لها كل من إنكلترا وروسيا، لبراعة كل من نابليون ووزيره تاليران في تلفيق الأكاذيب، والتنكر للمشروع الذي أراد أن يقوم به نابليون في السيطرة على مصر(٣).

وعليه، فإن مشروع نابليون بونابرت أدخل مصر في قائمة الصراع الدولي؛ لأن البحر الأحمر أصبح محط أطماعه، ومن ثمة إحكام السيطرة على مصر من قبل نابليون؛ من أجل إعاقة مرور تجارة إنكلترا عن طريق البحر الأحمر للوصول إلى الهند، حتى أن وزير الخارجية تاليران، وافق على ما اقترحه نابليون بونابرت في أثناء حربه في ايطاليا، عن طريق خطاب أرسله لوزير الخارجية، فقال له:" **إذا قضى علينا الصلح مع إنكلترا بالتنازل عن رأس الرجاء الصالح، فلا بد من، أن نعتاض عنها بالديار المصرية التي لم تقع أبداً في حيازة دولة أوروبية .... لأن مصر ليست تابعة الآن للدولة العثمانية، وأرجو من مواطني الوزير عمل تحريات اللازمة؛ للوقوف على ما يحدثه احتلالنا على حكومة جلالة سلطان تركيا، وأن جيشاً كجيشنا الذي يستولي عنده جميع الأديان يتساوى لديه المسلمون والأقباط والوثنيون على**

(١) سعيد عبد الحكيم زيد، نصارى العرب وأقباط مصر قراءة تاريخية ورؤية تحليلية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨، ص١٠٧-١٠٨

(٢) سوليه، ولع...، ص٢٦.

(٣) عزت أفندي، الدارندلي، في ضوء مخطوط عثماني ضيانامة للدارندلي، ترجمة: جمال سعيد عبد الغني، سلسلة تاريخ المصريين ١٣٤، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٨-٢٠.

السواء ...الخ"[١]. في ٢٣سبتمبر ١٧٩٧ أجابه تاليران:" **إنه موافق على فكرة الحملة على مصر التي يعوض احتلالها على فرنسا خسارة جزر الآنتيل، وتفتح طريق التجارة للهند...**"[٢].

ومما سبق يمكن القول: إن احتلال مصر من قبل فرنسا، سيجعلها المستفيد الأكبر بإلحاق الأضرار الجسيمة في إنكلترا؛ لإغلاق منافذ البحر الأحمر في وجهها؛ مما يعيق وصولها إلى الهند.

ب – وضع مصر قبيل مجيء الحملة الفرنسية:

تأتي أهمية دراسة أحوال مصر قبيل مجيء الحملة؛ لإدراك أسباب القيام بالحملة الفرنسية على مصر، وتطور مجرياتها، وأثر ذلك في البحر الأحمر.

عندما قامت السلطنة العثمانية بالسيطرة على مصر، أوجدت طريقة فاعلة في إحكام سيطرتها عليها بتوزيع عناصر الحكم؛ خوفاً من التمرد والانقلاب، فالباشا ومعاونوه يمثلون السلطان العثماني، ويحكمون الولاية ويشرفون على إدارتها، والديوان يعاون الباشا في الحكم، وله حق عزله والاتصال رأساً بالباب العالي، والحامية العثمانية تشترك في الحكم والإدارة أيضاً إلى جانب مهمتها الحربية، ثم هناك إلى جانب هذه الهيئات الثلاث هيئة أمراء المماليك من رجال العسكرية، يشتركون في الحكم والإدارة وفي الدفاع عن حدود البلاد، وقد كان في مقدور السلطان القضاء على قوات المماليك، ولكن لم يفعل ذلك؛ لأنهم الأكثر صلة مع أهالي البلد، وبهم يحقق التوازن في حكم إيالة مصر [٣].

وكان هذا النظام معمولاً به طوال فترة السيطرة العثمانية على الحكم، ولكن مع بداية ضعف السلطنة العثمانية، ظهرت مساوئ هذا النظام، لأسباب عدة منها: عدم مقدرة الولاة العثمانيين من ممارسة مهماتهم؛ نتيجة ازدياد نفوذ الأمراء المماليك الذين عملوا على عزلهم حسب مطامعهم، وثورات العساكر، والصراعات المرهقة بين البيوتات المملوكية، فأصبح دورهم مجرد مراقب مالي، وأوامرهم تصدر بشكل صوري [٤].

في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ظهر انفراد المماليك بالحكم، ومنها ظهرت حركات تمرد كحركة علي بك الكبير(١٧٦٠-١٧٧٣) الذي انتهز فرصة ضعف السلطنة

---

(١) أحمد حافظ عوض، نابليون بونابرت في مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢، ص٧٨-٧٩.

(٢) عوض، نابليون ...، ص٧٩.

(٣) يوسف نعيسة، تاريخ العرب الحديث والمعاصر (مصر والسودان)، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص٥٠-٥٣. محمد رفعت، تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة، المطبعة الأميرية، بولاق، ١٩٣٤، ص٢-٤.

(٤) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الريف المصري في القرن الثامن عشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦، ص٧٠.

العثمانية وحربها مع روسـيا، وقام بعزل الوالي، وامتنع عن دفع الجزية، وسـك النقود باسـمه، وسيطر على الحجاز، ولكن عندما أرسل حملة لغزو الشام بقيادة قائده أبي الذهب، الذي اخضع مدينة دمشق تواطأ مع السلطان العثماني ضده، وسيطر على مصر [١].

كما شـهدت هذه المرحلة صـراعات بين المماليك أدت إلى تدهور الاقتصـاد، ولاسيما في عهد مراد بك، وإبراهيم بك إلى أن جاءت الحملة الفرنسية خلال فترة حكمهم [٢].

اتسـمت ولاية مصـر غناها بالثروة الزراعية، رغم ذلك عانى الريف المصـري من الولاة، وانتاب الوضـع الداخلي الضـعف والتدهور في الاقتصـاد؛ بسـبب فساد جند السباهية الذين كان جلّ اهتمامهم الحصـول على الثروة، فأرهقوا كاهل الفلاح بطلباتهم سـواء بالمال، أو بهتك الأعراض [٣]، والذي زاد سوءَ وضع الفلاحين المجاعاتُ والأوبئةُ؛ بسبب إهمال السلطة لمشاريع الري، كحفر الترع، وإقامة القناطر وإنشاء السدود؛ لاستخدام المياه في الوقت المطلوب [٤].

كما عانت التجارة من تسلط الأمراء المماليك، وسوء الإدارة في الحكم، فأصـبحت مصـر في حال يرثى لها، مما جعلها محط أطماع الدول الاستعمارية [٥]، ولاسيما إنكلترا التي أرادت أن يكون لها طريق مصر إلى الهند سارياً، ونجحت في مساعيها من دون أي عمل حربي [٦]. وأما فرنسـا رغبت في أن تقطع طريق الهند على إنكلترا، وأن تعوض المسـتعمرات التي فقدتها، وأن تتخلص من القائد نابليون بونابرت بعمل حربي خارجي.

ففي عام ١٧٩٨بدأ نابليون بونابرت حركاته التوسعية باتجاه المنطقة، وعمره آنذاك ثلاثون عاماً، في الوقت التي كانت مصـر بأسـوأ أحوالها من الناحية العسـكرية والأمنية، حيث بلغت سـفنها البحرية في تلك الفترة في منطقة السـويس ثمانية وعشـرين مركباً، وبدت الأسـلحة بالية ومعطوبة في أكثرها [٧].

---

(١)عبد الكريم رافق، دراسـات في تاريخ العرب الحديث بلاد الشـام ومصـر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت(١٥١٦-١٧٩٨)، جامعة دمشـق، ط٢، ١٩٦٨، ص٤٠١-٤٠٩. محمود، شـاكر، التاريخ الإسـلامي العهد العثماني، ٢٢مج، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٠، مج٨، ص٤٦٧.

(٢) رافق، دراسات في تاريخ...، ص٤١٠.

(٣) عبد الرحيم، الريف المصري...، ص٧٦. رفعت، تاريخ مصر ...، ص٧-٨.

(٤) أمين مصـطفى عفيفي عبد الله، تاريخ مصـر الاقتصـادي والمالي في العصـر الحديث، مكتبة الأنجلو المصـرية، القاهرة، ط١، ١٩٥١، ص ١٩.

(٥) عمر السكندري، سليم حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، راجعه: أ.ج، سفيدج، سلسلة صفحات من تاريخ مصر ٦، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦، ص٨٦.

(٦) شاكر، التاريخ الإسلامي...، مج٨، ص٤٦٨.

(٧) سهير حلمي، أسرة محمد علي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٣، ص٤١.

نفذ نابليون بونابرت حملته على ولاية مصـــــر عام ١٧٩٨، حيث عدّت أكبر ولايات السلطنة العثمانية في إفريقية، وأفضلها. بعد ذلك أصدرت حكومة الإدارة الفرنسية تعليماتها:" **إن المماليك هم حلفاء إنكلترا ومن هنا إهاناتهم للفرنســيين، ولابدّ من فتح طريق جديد إلى الهند لأن الإنكليز احتلوا مستعمرة الكاب الهولندية، وخيار مصر يفرض نفسه. إن بونابرت: سوف يطرد الإنكليز من جميع الممتلكات الشرقية التي يمكنه الوصول إليها، وسوف يقضي بشكل خاص على جميع وكالاتهم التجارية على البحر الأحمر ... وســوف يحتل خليج الســويس، ويتخذ جميع التدابير الضرورية؛ لضمان تمتع الجمهورية الفرنسية بالملكية الحرة، والقاصرة عليها للبحر الأحمر...**" [١].

٢-دخول الحملة الفرنسية، وتوجهها إلى بلاد الشام:

الإعداد للحملة:

اتخذت فرنسا قراراً بتشكيل جيش الشرق بقيادة نابليون بونابرت، وإرساله إلى مصر في ١٧٩٨/٤/١٢ حيث بلغ عدد المشاركين ما بين الثلاثين والأربعين ألف مقاتل، واصطحب معه مجموعة من القادة، والضباط، والبحارة، والعلماء، والمهندسين، والجغرافيين.

أبحر الأسطول الفرنسي من ميناء طولون[٢] باتجاه مدينة مالطة١٩ /١٧٩٨/٥، ووصل الأسطول إلى مالطة في١٧٩٨/٦/٩، واحتلها نابليون بعد مقاومة ضعيفة في ١٧٩٨/٦/١٢، وترك فيها حامية عسكرية[٣].

حظيت حملة نابليون بالسرية التامة، إلا أن أسطول إنكلترا بقيادة نيلسون راقب وجهة الحملة الفرنسية في البحر المتوسط، وفي ١٧٩٨/٦/٢٦أرسل نيلسون رسالة يخبر إنكلترا أن وجهة الجيش الأسطول الفرنسي لم تكن صقلية؛ وإنما وجهته إلى أحد موانئ مصر للسيطرة عليها؛ من أجل إرسال حملة عسكرية إلى الهند للسيطرة عليها [٤].

---

(١) هنري لورنس وآخرون، الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥، ص ٣٩.

(٢) طولون: مدينة شهيرة جنوب فرنسا على البحر المتوسط فيها مرسى للسفن الحربية، وفي عام ١٧٩٣ سلمت إلى الإنكليز ثم استردها الفرنسيون بعد ذلك. المحامي، تاريخ الدولة ....، ص٢٣٨.

(٣) الدارندلي، الحملة الفرنسية...، ص٢١.

THIERS, EXPÉDITION…, Op, p15-18.

(٤) جلال، يحيى، مصر الحديثة (١٥١٧-١٨٠٥)، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت، ص٣٣٣-٣٣٤.

Ibid. p13.

كتب نابليون وهو على بارجة أورويان منشوراً للشعب المصري في ٦/٢٧/ ١٧٩٨، ووزع في مصر قبل وصول الحملة إلى الشواطئ المصرية والهدف من ذلك؛ توطيد سلطة فرنسا في مصـــر من خلال مجاملة الدولة العثمانية بقدر المســتطاع، واجتذاب المصــريين إلى صــفه، ليشـعرهم أنه جاء لمحاربة المماليك الغرباء عن البلاد، والذين يسـتنزفون ثروة مصـر، ويظلمون أهلها، ولإنشاء حكومة أهلية يكون الحكم فيها للمصريين[١].

نزلت الحملة الفرنسية في الإسكندرية[٢] أوائل الشـهر السـابع، وتم الاسـتيلاء عليها، رغم المقاومة التي أبداها السـيد محمد كريم[٣]، وبعدها زحفت الحملة الفرنســية نحو القاهرة[٤]، وفي الطريق التقت بقوات مراد بك في شـبراخيت، حيث انهزم مراد بك، وفر إلى القاهرة للدفاع عنها، ونجح الفرنســـيون في الســـيطرة على إمبابة[٥]، ثم فر المماليك من القاهرة، فاتجه مراد بك إلى الصـــعيد، بينما فر إبراهيم بك بعد ذلك إلى بلاد الشـــام[٦]، وفي نهاية المطاف تمكّن الجيش الفرنسي من الاستيلاء على الإسكندرية والقاهرة.

شرع نابليون بتنظيم السلطة، والقيام بالإصلاح على النمط الفرنسي؛ لتسهيل الطريق أمام الفرنسيين، وفي ذلك الوقت، وصلت أنباء إلى مسامع نابليون عن كارثة أبي قير البحرية[٧] التي

---

(١) جوزيف مواريه، مذكرات ضـابط في الحملة الفرنسـية على مصـر، ترجمة كاميليا صـبحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٣١-٣٣.

(٢) الإسكندرية: مدينة مطلة على البحر المتوسط بناها الاسكندر المقدوني ٣٣١ ق.م، وتتميز بمنارتها العالية، فقد بلغ ارتفاعها ٤٠٠ قدم، وفيها قبر الاســـكندر، ومكتبة من أعظم المكتبات. أمين واصـــف بك، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق: أحمد ذكي باشا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩١٦، ص٩١.

(٣) الدارندلي، الحملة الفرنسـية...، ص١٣٣-١٣٥، مؤلف مجهول، الأيام الأولى للحملة الفرنسـية على مصـر رسـائل لقادتها، ترجمة وتعليق: يوسف شرارة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١، ص٤٤-٥٠

(٤) القاهرة: أسـست على يد جوهر الصـقلي عام ٩٦٩م شـمال مدينة الفسـطاط، التي أنشئت على يد عمر بن العاص، وأصبحت القاهرة بفضل جامع الأزهر ملتقى العلماء والطلاب لطلب العلم من جميع الأصقاع، ومرت مدينة القاهرة بعدد من الحقب التاريخية المهمة. واصف بك، معجم الخريطة ....، ص٨٩.

(٥) إمبابة: هي قرية صـغيرة مصـرية من أعمال الجيزة جرت فيها معركة بين الجيش الفرنسـي والمماليك، وانتهت بهزيمة المماليك، وبمقتل سـوى عشـرة من الفرنسـين وجرح ثلاثين شـخصـاً منهم .السـكندري، حسـن، تاريخ مصـر من الفتح العثماني...، ص٩٧-٩٨.

(٦) محمد سعيد العشماوي، مصر والحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٩، ص٤٥.

(٧) أبو قير: ضـاحية تبعد ٢٥كم شـرق الإسـكندرية، عرفت بالعصـر اليوناني باسـم كانوبوس، نسـبة إلى بطل إغريقي أسطوري كان قائداً بحرياً للبطل الإغريقي ميلاوس، أما اسمها الحالي مشتق من قديس مصري اسمه أبا كيروس، وفيها حصلت معركة "أبو قير" الشهيرة، فقد تحطم الأسطول الفرنسي، وكانت سبباً في القضاء على أحلام نابليون في السيطرة على الشرق. مجموعة مؤلفين، الموسوعة ....، مج ١، ص٦٩.

حلّت بالأسطول الفرنسي، حيث أصدر أمير البحر نيلسون[١] أمراً لأسطوله، بالاشتباك مع الأسطول الفرنسي، وانتهت هذه المعركة بهزيمة الأسطول الفرنسي وتدميره، بالرغم من التفوق العددي والاستحكامات الحصينة عند خليج أبي قير، ووفاة قائد الأسطول الفرنسي إثر جراحه، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على قوة البحرية لإنكلترا، ومحاولتها منع فرنسا بأي طريقة من النجاح في حملتها للسيطرة على مصر، فقد استطاع نيلسون قطع اتصال الحملة الفرنسية مع الوطن الأم فرنسا؛ مما أثار انزعاج نابليون[٢]، حيث قال في مذكراته:" **لقد كان لخذلاننا في واقعة أبي قير تأثير كبير في شؤون مصر بل في شؤون العالم كله، فإن لو قدرت النجاة للأسطول الفرنسي، ولم يدركه ما أصابه ما لقيت الحملة على الشام عقبة في طريقها؛ بل لتوافرت الوسائل لنقل مدافع الحصار إلى ما وراء الصحراء، ولا وقفت الجيوش الفرنسية عند أسوار عكا** "[٣].

فلنتساءل إذاً، هل شعر سكان القاهرة باستياء كبير من ممارسات نابليون في مصر، أم أنهم رضخوا له؟

إن الإجابة على السؤال، يتطلب الاطلاع على أعمال نابليون التي زادت عن حدها، من خلال التدخل بحريتهم الشخصية، حيث قام بهدم الآثار، والمساجد، وهدم أبواب الحارة؛ بذريعة تحصين القاهرة، وفرض ضرائب باهظة على السكان، وانتهك أعراض النساء، فضلاً عن، الإساءة لعلماء المسلمين؛ لكونهم رفضوا وضع الشارات ذات الألوان الثلاثة، وقتله لبعض أعيان مصر[٤].

وبهذا الصدد قال الجبرتي في كتابه عجائب الآثار في التراجم والأخبار:" **واجتمعوا بالديوان ومعهم مالخصوه واستأصلوه في الجملة، فأما أمر المحاكم والقضايا، فالأولى إبقاؤها على ترتيبها، ونظامها، وعرفوهم عن كيفية ذلك...إلا أنهم قالوا:" يحتاج إلى ضبط المحاصيل**

---

(١) نيلسون: ولد عام ١٧٥٨، عمل في البحرية عندما كان عمره ١٣عاماً، ثم عين وكيلاً للأميرال عام ١٧٩٧، وفي عام ١٧٩٨استطاع حرق السفن الفرنسية في معركة أبي قير البحرية في مصر، وفي عام ١٨٠٥ قام بهزيمة السفن الفرنسية والإسبانية بالقرب من رأس الطرف الأغر بترافلجار، ولكنه توفي على إثر هذه المعركة، ونقل جثته إلى لوندرة، حيث دفنت جثته في كنيسة وستمنستر؛ تكريماً لأعماله العظيمة، فقد كانت هذه الكنيسة تدفن ملوك رجال إنكلترا وعظمائها. المحامي، تاريخ الدولة ...، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، ٢٠١٢، ص٢٦٠.

(٢) لويس جرجس، (١٧٩٨في التاريخ المصري)، مجلة الهلال، مصر عدد الأول، كانون الثاني، ١٩٩٨، ص١٢١.

(٣) صلاح أحمد هريدي علي، دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر (١٥١٧-١٨٨٢)، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٧، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٤) انظر نص الوثيقة بالرجوع إلى مجموعة مؤلفين، مصر في الوثائق العثمانية، ترجمة: غالب ياوز، دائرة الأرشيف العثماني، إستانبول، ٢٠١٢، ص٣٧٨-٣٧٩. السكندري، حسن، تاريخ مصر...، ص٩٩-١٠٠.

وتقريرها على أمر لايتعداه القضـــاة ولا نوابهم" ...وأما حجج العقارات، فإنه أمر شـــاق طويل الذيل، فالمناسب والأولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادئ الرأي، ليسـهل تحصيلها، ويحسن الســـكوت، ويكون المحصـــول أعلى، وأدنى، وأوســـط، وبينوا القدر المناســـب بتفصـــيل الأماكن...نودي بنشر الثياب، والأمتعة خمسة عشر يوماً، وقيدوا المشايخ الأخطاط، والحارات والقلقات، بالفحص والتفتيش..."[١].

أدت تلك التصــرفات جميعها إلى نقمة العلماء، وعدم تهدئة الســكان؛ مما زاد الطين بلة قيام الفرنسيين بقتل محمد كريم حاكم الإسكندرية[٢]، وانهزام الأسطول الفرنسـي في معركة أبي قير البحرية، هذه الأمور مجتمعة أســـفرت عن انتفاض ســـكان القاهرة على الفرنســـيين في ١٢أكتوبر، حيث قتل الثوار عدد كبير من الجنود الفرنســـيون، وحصـــنوا الأحياء بالمتاريس، ودافعوا بكل شــجاعة، ولكن نابليون لم يقف مكتوف الأيدي، حيث نصــب مدافعه التي أجبرتهم على إخماد الثورة، ولاســـيّما بعد أن طلب الأعيان والعلماء من نابليون وقف إطلاق النار، فأوقفها بعد أن وبخهم بشــدة على موقفهم، ثم دخل الجنود الفرنســيين في مدينة القاهرة؛ لإعادة الأمن والنظام، ودخلت مجموعة من هؤلاء الجنود على جامع الأزهر بخيولهم، وعاثوا فســاداً فيه وجعلوه اصطبلاً لخيولهم، فاتجه وفدٌ إلى نابليون من العلماء المسلمين؛ لإخراج هؤلاء الجنود من جامع الأزهر، ولقوا آذاناً صـــاغية من نابليون بعد أن حذرهم وهددّهم، وبذلك عادت الحياة إلى طبيعتها[٣].

عندما علم نابليون أن السلطان العثماني جهزّ جيشاً لمحاربته من جراء إصداره فرماناً إلى الحكام كافة يدعوهم للجهاد ضـــد الغزو الفرنســـي[٤]، والتعاون مع ألد أعدائهم الإنكليز، قرر نابليون ملاقاته. الســؤال المطروح: هل هذا هو الســبب الحقيقي الذي دفع نابليون إلى تســيير حملة إلى بلاد الشام؟ أو أن لديه غايات أخرى من وراء حملته على بلاد الشام؟

يمكن القول: إن التقارب الذي حصل بين عدوها اللدود روسيا وإنكلترا جراء حملة نابليون على مصر؛ أدى إلى خوف نابليون من قيام الدولة العثمانية من إرسال جيش إلى مصر سيؤدي

---

(١) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار،٤ج، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨، ج٣، ص٣٩.

(٢) جرجس، ١٧٩٨...، ص١٢٣.

(٣) الدارندلي، الحملة الفرنسية...، ص١٧٢-١٧٤. رفعت، تاريخ مصر...، ص٣٩-٤٤.

(٤) انظر نص الوثيقة بالرجوع إلى عبد العزيز نوار، وثائق تاريخ العرب الحديث النهضـــة العربية الحديثة (حركة علي بك الكبير-التنافس الاستعماري - الحملة الفرنسية على مصر-صعود الدولة السعودية الأولى)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص١٢٩-١٣١.

إلى هزيمته أمام المصريين، وسيسفر عن انكسار شوكته؛ فضلاً عن أهمية بلاد الشام بالنسبة لنابليون؛ كونه سيقطع الإمداد عن قواعد إنكلترا الموجودة في البحر المتوسط[١].

بدأت السلطنة العثمانية بتسيير جيشين، الأول اتجه إلى العريش[٢] من جهة الشام، أما الثاني سيّر نحو جزيرة رودس، وسيقدم أسطول إنكلترا بنقله إلى السواحل المصرية، لكن ما يؤخذ على الجيش الأول، أنه وصل قبل أن يتم نقل الجيش الثاني، ونتيجة ذلك؛ كان رد نابليون سريعاً، حيث إنه علم بمسير هذين الجيشين، وقرر ملاقاتهما خارج الديار المصرية، وبعد ١١ يوماً من المسير وصل إلى العريش، واستولى عليها بضراوة كبيرة[٣] ، ثم انتقل إلى مدينة غزة[٤] وحاصرها فاستطاع السيطرة عليها[٥] ، وبعد ذلك اتجه إلى يافا[٦]، وحاصرها عام ١٧٩٩.وبعد فترة وجيزة من الحصار، لم يعد أهلها يقدرون على تحمّل الحصار، فطلبوا الأمان من نابليون، ولكن غدر بهم حيث قتلهم جميعاً رمياً بالرصاص[٧].

وهنا يثير التساؤل: لماذا قام نابليون بهذا الفعل الشنيع بقتل جميع أهل مدينة يافا بعد طلب الأمان منه؟

هناك احتمالات عدة للإجابة عن ذلك: أنه أراد أن يتخلص من إطعامهم، أو خوفاً منهم كي لا يغدروا به، ولكن مهما كانت الأسباب التي دفعته للقيام بهذا العمل الشائن، إلا أنه عدّ ذلك وصمة عار على جبين نابليون في تاريخه العسكري [٨]. بعد نجاحه في السيطرة على يافا،

---

(١) ج . كريستوفر هيرولد، بونابرت في مصر، ترجمة: فؤاد أندراوس، مراجعة: محمد أحمد أنيس، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ص٢٨١.

(٢) العريش: مدينة ساحلية على البحر المتوسط شمال سيناء في مصر، العريش، ويكبيديا الموسوعة الحرة، ٢٠١٧/٣/١٨، الرابط الآتي:https://ar.wikipedia.org/wiki .

(٣) المعلم نقولا الترك، ذكر تملك جمهور الفرنساوية الأقطار المصرية والبلاد الشامية، أو الحملة الفرنسية على مصر والشام، تحقيق وتقديم: الدكتور ياسين سويد، الفارابي، ١٩٩٠، ص ٦٦-٦٧-٦٨. السكندري، حسن، تاريخ مصر...، ص١٠٣. هيرولد، بونابرت في...، ص٢٨٣.

(٤) غزة: مدينة على ساحل البحر المتوسط، وهي من المدن الشهيرة بالشام على مقربة من حدود مصر، واسمها بالمصري القديم جازاتو، وفيها ولد الإمام الشافعي. واصف بك، معجم الخريطة ...، ١٩١٦، ص٨٥.

(٥) الدارندلي، بونابرت في...، ص٢٠٠-٢٠١.

(٦) يافا: تُعدّ مدينة يافا من الموانئ المهمة، تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، كانت تسمى عند قدماء المصريين يابو، وعند العبرانيين جوبي (joppe). واصف بك، معجم الخريطة ...، ص١٢٣.

(٧) الدارندلي، بونابرت في...، ص٢٠١-٢٠٢.

(٨) إسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار عن دول البحار، ٢ج، المطبعة الأميرية، ببولاق، ط١، ١٣١٢هـ، ج١، ص٦٥٠.

أســرع إلى عكا، وحاصــرها لمدة ٦٤يوماً[١]، وهنا وقف أحمد باشــا الجزار[٢] بوجهه بمســاعدة أســطول إنكلترا بقيادة ســدني ســميث[٣]، وبعد فشــل نابليون من اقتحام أســوار عكا عاد إلى مصر[٤].

ولكن استطاع بشكل نسبي، إفشال مخطط العثمانيين بحشد القوات ضده، وتواصل مع أمراء الحجاز والشـــام عن طريق ذكائه المعهود؛ من أجل إعاقة مرور إنكلترا وتجارتها من تلك المناطق، وقام بجهود حثيثة للوصـــول إلى الهند، وإفشـــال الإجراءات التي اتخذتها إنكلترا بحق أمراء تلك المناطق، حيث أرسل نابليون عام ١٧٩٩رسالة إلى سلطان عمان سلطان بن أحمد يغريه بعلاقات تجارية؛ فضلاً عن اتصاله مع شريف غالب أمير الحجاز[٥]، ونجح نابليون في الاتصـال مع تيبو صـاحب ميسور المسلم الذي تزعم الثورة ضد إنكلترا في الهند، حيث ألحقه نابليون بمفاوضـــات معه بما أنه على خلاف مع إنكلترا، كما وعده بمســاعدته إن تطلب الأمر

---

(١) لطف الله بن أحمد جحاف، نصــوص مختارة من المخطوطة اليمنية (درر الحور العين بســيرة) "الإمام علي ورجال دولته الميامين" ١١٨٩-١٢٢٤هـ / ١٧٧٥-١٨٠٩م، نشر وتحقيق: د.سيد مصطفى سالم، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، ط٢، ١٩٨٩، ص١٣٧-١٣٨.

(٢) أحمد باشا الجزار(١٧٣٤) ولد في بلاد البوسنة ضمن أسرة مسيحية، ثم اتجه إلى القسطنطينية هارباً، حيث اعتنق الدين الإسـلامي، واشـتغل بالبحرية العثمانية، ثم اتجه في العمل لدى علي باشـا حكيم أوغلي في مصـر كحلاق، وبعد عزل علي باشـا، عاد إلى إسـتانبول، أما الجزار ظل في القاهرة، وعمل في بيت أحد أمراء المماليك أحمد الكاشـف، ثم اتجه إلى العمل في خدمة كاشـف البحرية عبد الله بيك الذي قتله عرب البحيرة، فأخذ أحمد باشـا الجزار بثأره من هؤلاء العرب ، و لقب بالجزار؛ لكثرة مجازره في حق هؤلاء العرب، ثم اسـتخدمه علي بك الكبير في التخلص من معارضـيه، حيث منحه سـنجقية ولقب بك، واسـتطاع فيما بعد أن يكون والياً على ولاية دمشـق ١٧٨٥ ، ومنذ هزيمة نابليون أمام عكا عام ١٧٩٩ وحتى وفاته ١٨٠٤ أصبحت كل ديار بلاد الشام (دمشق ولبنان وفلسطين) تحت سلطانه، وعمل على إنهاء منافسيه .أحمد حيدر الشـهابي، قصـة أحمد باشـا الجزار بين مصـر والشـام مع نابليون بونابرت، إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨،ص١١-١٢-١٣-١٥-١٨.

(٣) ســدني ســميث: ولد عام١٧٦٤، عمل في الحربية، ثم أمره الأدميرال بحرق ســفن الأســطول الفرنســي في طولون فأحرقها، حيث قبض عليه، وســـجن في التامبل الموجود في مدينة باريس لمدة عامين، وهرب فيما بعد ثم عمل على المشاركة في الدفاع عن مدينة عكا، وتم تعيينه أميرالاً ١٨٢١، وثم اعتزل حياته العسكرية، وأمضى حياته في الأعمال الخيرية، توفي عام١٨٤٠. المحامي، تاريخ الدولة...، ص٢٦٢.

(٤) طالب عبد الغني جار الله، (حصـار نابليون لعكا دراسـة تاريخية)، مجلة جامعة كركوك للدراسـات الإنسـانية، المجلد ١٠- العدد١-٢٠١٥، ص١٣٥-١٣٦.

(٥) انظر الوثيقــة رقم٣،١١٠ بتــاريخ٢٥ /١٧٩٨/٨، والوثيقــة رقم ٣،١٣٦، بتــاريخ٢٧/ ١٧٩٨/٨ والوثيقــة رقم ٢٣٤٠،٤بتاريخ ٣٠/ ٦/ ١٧٩٩. مراســلات نابليون مع شــريف مكة. مأخوذة من كتاب نابليون والإســلام من الوثائق العربية والفرنسـية، لمؤلفه: كريسـتيان تشـير فيلز، ترجمة: زين نجاتي، مكتبة الشـروق الدولية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢، ص٣٩-٤٠-٤١.

ذلك، ولكن فشلت هذه المحاولات؛ بسبب مصادرة هذه الخطابات من قبل عملاء شركة إنكلترا[١].

إذاً يمكن القول: إن أسباب فشل المفاوضات المتعلقة باتفاق نابليون وتيبو ترجع إلى فشل المفاوضين في تخطي هذه المباحثات عن عيون إنكلترا.

ولابدّ من الإشارة إلى أن قادة الحملة بعد نابليون تابعوا ما كان يفعله، حيث أرسل قائد الحملة الفرنسية خليفة الجنرال كليبر [٢] مينو رسالة؛ للحصول على إذن من الشريف، لوصول البريد الفرنسي من الجزر الفرنسية في المحيط الهندي، ثم بدأت السفن الحجازية التجارة مع الموانئ المصرية بكل ترقب وحذر شديد من الوجود الفرنسي في المنطقة[٣].

وهكذا يرى البحث، أن فرنسا شكلت قوة عسكرية، أرادت من خلالها الوصول إلى البحر الأحمر، عن طريق مصر؛ لإفشال تجارة إنكلترا في الهند، والتخلي عن رأس الرجاء الصالح؛ بقصد ضرب مصالح إنكلترا.

٣-عودة نابليون إلى فرنسا:

اتبع نابليون سياسة انتهاز الفرص آنذاك؛ خصوصاً بعد اضطراب الأوضاع في فرنسا، حيث وضعه ذلك أمام موقف قرر فيه الخروج من مصر والعودة إلى فرنسا. برحيل نابليون، استلم قيادة الحملة الفرنسية القائد الفرنسي كليبر، بناءً على كتاب أعطاه نابليون إليه حدد فيه السياسة الداخلية والخارجية التي يجب اتباعها [٤].

---

(١) جون. ب كيلي، والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠، ٢ج، ترجمة: محمد أمين عبد الله، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، سلطنة عمان، د. ت، ج١، ص١٠٣-١٠٤.

(٢) كليبر: تولى قيادة الحملة بعد خروج نابليون من مصر، فقد قُتِل كليبر على يد الشاب من طلبة جامع الأزهر سليمان الحلبي؛ بسبب الممارسات التي قام بها من خلال تحويل مصر إلى مستعمرة فرنسية، وإنشاء جيش مرادف للجيش الفرنسي؛ فضلاً عن المنشآت الاستعمارية، والإهانات التي تعرض لها سادات المشايخ من قبله، وقتله لعدد من المصريين، وعلى إثر وليمة قام بها كليبر احتفالاً بإنجازاته، وجد كليبر في باحة قصره مع مهندس، فقد قام سليمان الحلبي بطعن كليبر ، وهنا حاول المهندس التدخل، ولكن سبقه سليمان بطعنة فوقع الاثنان صريعين، وهرب سليمان تخبأ في حديقة القصر، ولكن الضباط قاموا بالقبض عليه، وعقدت محكمة عسكرية بحقه حكمت بقطع رؤوس أصدقائه المتهمين الثلاثة، وأما سليمان تم قطع ذراعيه، ثم أعدموه على الخازوق. محمد عودة، الحملة الفرنسية على مصر نحتفل أولا نحتفل، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط١، ١٩٩٩، ص٤٦-٤٧-٤٨.

(٣) حسام محمد عبد المعطي، العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر، سلسلة تاريخ المصريين ١٤٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩، ص١٨١.

(٤) انظر نص الكتاب الذي أرسله نابليون إلى كليبر. عبد العزيز، نوار، وثائق تاريخ ...، ص١٦٨-١٧١.

إن عودة نابليون إلى فرنسا أنهى قضية الحكم لصالحه، وأصبح القنصل الأول، وليؤكد نابليون نفوذه، لكن انشغاله في حروبه مع الدول الأوروبية، وسيطرة إنكلترا على البحر المتوسط أسفر عن عدم تحقيق ما وعد به من تقديم المساعدة والمعونة للحملة الفرنسية [١].

ومن هنا يرى البحث أن الظروف قد جعلت الحملة مقيدة لا سبيل لها سوى الاعتماد على نفسها، ولكن هل ستقدر الحملة على إكمال طريقها في هذه الظروف؟ أو تعود أدراجها بشروط تجعلها مناسبة لها، في الوقت الذي أصبح فيه أمر إمداد الحملة ومساعدتها ليس بهذه السهولة.

أخيراً، نجد أن الحملة لن تقف مكتوفة الأيدي، وسوف تتحدى الظروف وستظل صامدة لتأمين مصالحها الاستراتيجية في المنطقة، وقطع الطريق أمام أي مقاومة، واجتثاثها من جذورها، وفي حال عرقلة وجودها في مصر ستنتهج سياسة التسوية.

٤-الإجراءات التي اتخذتها إنكلترا لصد الوجود الفرنسي في البحر الأحمر:

ربطت فرنسا مصالحها بين ضرب إنكلترا من الخارج من جهة، والحصول على الطريق الذي يصل إلى الهند من خلال البحر الأحمر من جهة أخرى، فوجدت أن أكثر الطرق التي تحدث وجعاً بإنكلترا احتلال مصر.

حاولت فرنسا بدء مرحلة جديدة في قلب الموازين لصالحها، فما كان من إنكلترا إلا إفشال مخططات فرنسا كافة؛ لأن نجاح هذه المخططات سيؤدي إلى تحريض الهنود للقيام بثورة ضد إنكلترا، وهذا ما تم تأكيده:" **يجب ألا ننسى في أي وقت أن القوى المحلية في الهند مرتبطة بنا بسبب رهبتها لسلاحنا أكثر من أي محاباة لنا، ولا شك في أنهم سيستغلون ظهور قوة جديدة لتنفيذ ما يرمون إليه...لقد حصلنا إمبراطوريتنا بقوة السلاح، ويجب أن تظل قائمة على ذلك، وإلا فإنها ستسقط بالأسلوب نفسه لقوة متفوقة أخرى**"[٢].

ونتيجة ذلك اتخذت إنكلترا مجموعة إجراءات بحق فرنسا في أثناء وجود قواتها في مصر، منها:

١-كما ذكرنا سابقاً، أن أسطول إنكلترا بقيادة القائد نيلسون حاول التعرض للحملة قبل وصولها إلى مصر، وعندما فشل في إيجاد الأسطول الفرنسي في عرض البحار، قام بضرب

(١) الترك، ذكر تملك جمهور الفرنساوية...، ص١٤٢-١٤٣-١٤٤.

(٢) صالح محمد العابد، موقف من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨٠١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٨-١٩٧٩، ص٨٣.

الأسطول في خليج "أبوقير" بعد سيطرة الحملة الفرنسية على مصر، مما جعل الحملة بوضع لا يحسد عليه؛ لعدم مقدرتها على الاتصال مع الوطن الأم[١].

٢-قامت إنكلترا بالاتفاق مع سلطان مسقط وعمان عام ١٧٩٨ على توقيع معاهدة سمح بموجبها لإنكلترا بإقامة حامية فيها سبعمئة جندي، وأيضاً منع الفرنسيين بإقامة وكالة أو التعاون معهم حتى لو وصل الأمر إلى طردهم. وفي المقابل يحق للإنكلترا التمتع بمزايا كثيرة في تلك المنطقة، وإن سبب تعاون سلطان مسقط مع إنكلترا هو استيلاء الفرنسيين على ناقلة تجارية تملك أموالاً كثيرة تابعة لأمير مسقط؛ فضلاً عن سفن تجارية صغيرة[٢].

٣-طلبت إنكلترا من شريف الحجاز عدم التعاون مع فرنسا، وإغراء الشريف بتحصين ميناء جدة للوقوف بوجههم.

٤-إجراء الاتصالات مع الوهابيين الذين سيطروا على الشاطئ الغربي للخليج؛ من أجل إيقاف أي امتداد فرنسي، من خلال حملات برية على شرق شبه الجزيرة العربية[٣].

٥-دعم قوات إنكلترا وزيادة أعداؤهم، تحسباً لأي خطر فرنسي في الهند، كما أصدرت أوامر عدة، منها: تشديد الرقابة على أي أجنبي؛ وبخاصة الفرنسيين الذين قد يصلون إلى الهند، وعدم السماح لهم بالاتصالات مع القوى المحلية، واعتقالهم، وترحيلهم مع أوراقهم إلى إنكلترا خوفاً؛ من أي عمل يهدد ممتلكات الشركة التابعة لإنكلترا:" **لا يمكن أن يساورنا شك في سعي الجمهورية الفرنسية إلى استغلال هذا المجال لتقدم إلى الهند تلك المكائد الثورية التي استخدمت بنجاح في أجزاء أوروبا كلها تقريباً**"[٤].

٦-فرض الرقابة على البحر الأحمر والمحيط الهندي، عن طريق إرسال سفن إنكلترا إلى البحر الأحمر بقيادة الجنرال جون بلانكيت؛ من أجل فرض حصار على السويس، وعندما علمت إنكلترا بتشكيل فرنسا حصنٍ في ميناء القصير، صدرت التعليمات بهدم هذا الحصن فوراً، وتم ذلك بنجاح[٥].

٧-سيطرت إنكلترا على جزيرة بريم؛ لمنع فرنسا من الوصول إلى جنوب البحر الأحمر، والعبور عن طريق باب المندب حتى لا تشكل خطراً كبيراً عليها، وذلك ما بين عامي ١٧٩٩-١٨٠٠، ولكن تركت إنكلترا جزيرةَ بريم بعد تأكدهم من عدم صلاحية الإقامة فيها، وعدم وجود

---

(١) كيلي، والخليج...، ج١، ص٩٦.

(٢) كيلي، والخليج...، ج١، ص ١٠٢-١٠٣. جحاف، نصوص مختارة ....، ص٩٥.

(٣) جرادات، الأهمية الاستراتيجية...، ص١٢٨.

(٤) العابد، موقف ....، ص٨٣-٨٤.

(٥) العابد، موقف ....، ص٩٠-٩١. كيلي، والخليج...، ص١٠٤.

مياه للشرب، عندما وافق سلطان لحج على إقامة القوات في باب المندب بعد أن تأكد من زوال الخطر الفرنسي[١].

٨-حصلت إنكلترا على موافقة من إمام اليمن، لإقامة مستوصف في ميناء مخا؛ من أجل معاينة مرضى إنكلترا، والسماح لهم بتعيين مقيم إنكليزي طلب من إمام اليمن منع السفن الفرنسية الدخول إلى المنطقة خوفاً من سطوتها، وأصدر الإمام أوامره بتموين سفن إنكلترا، وتقديم التسهيلات لها كافة [٢].

٩-استمالة إنكلترا للعثمانيين والروس؛ لإقامة معاهدات من أجل تنظيم الجهود ضد فرنسا، وإعلان الحرب عليها، حيث تم التحالف الثلاثي، مما حدا بالسلطان العثماني إلى إرسال أوامره إلى الدول المتشاطئة على البحر الأحمر بشكل عام، وشريف مكة وإمام اليمن بشكل خاص، بضرورة التعاون مع روسيا و إنكلترا؛ لأنهما على توافق معه[٣].

مما سبق يتضح أن التدابير التي استخدمتها إنكلترا كانت رداً حاسماً على مشروع الحملة التي حاولت فرنسا استغلاله من أجل الإيقاع بإنكلترا وإضعافها.

٥- انسحاب الحملة الفرنسية من مصر:

أصبحت الحملة بوضع حرج، فكان على فرنسا حفظ ماء وجهها من خلال التفاوض مع العثمانيين للخروج من مصر ضمن شروط مقبولة؛ لذا تم الاتفاق ضمن معاهدة سميت اتفاقية العريش ١٨٠٠[٤]، ومن أهم بنودها:

١-خروج القوات الفرنسية من قطيا، والصالحية، وبلبيس[٥] بعد عشرة أيام والقاهرة بعد شهر من توقيع الاتفاقية.

---

(١) أحمد فضل بن علي محسن العبدلي، هدية من الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥١هـ، ص١٣٤-١٣٥.

(٢) إف إل بلايفير، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان، علي محمد باحشوان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الجمهورية اليمنية، ط١، ١٩٩٩، ص١٢٠. جحاف، نصوص مختارة...، ص٧٧-٧٨.

(٣) جحاف، نصوص مختارة ...، ص٥٩.

(٤) انظر نص الوثيقة. مجموعة مؤلفين، مصر في الوثائق ....، ص٣٨٦-٣٨٧.

(٥) بلبيس: تعد من أهم مدن الدلتا، وتقع جنوب شرق الدلتا، ولها دور كبير في العصر العثماني، ولاسيما فترة الحملة الفرنسية على مصر. يعقوب، لاوندا، يهود مصر في الفترة العثمانية (١٥١٧-١٩١٤)، ترجمة: جمال الرفاعي، أحمد عبد اللطيف، المشروع القومي للترجمة، مصر، ٢٠٠٠، ص٣٦.

٢-انسحاب القوات الفرنسية من الأراضي المصرية جميعها، وانتظار السفن التركية في الإسكندرية، والرشيد[١]، وأبي قير؛ لنقلهم إلى فرنسا بأمتعتهم وسلاحهم.

٣-إعطاء القوات الفرنسية حوالي مليوني فرنك؛ ليستطيعوا تدبير أمورهم في مصر[٢].

رفضت إنكلترا المفاوضات؛ لكونها أرادت إذلال فرنسا في مصر، واستنزاف قوتها فضلاً عن؛ الخوف من عودة الجيش الفرنسي إلى أوروبا، وتدعيم موقف نابليون في حروبه[٣]. ولكن بعد أن استطاع نابليون تحقيق انتصارات عدة في حروبه الأوروبية، شعرت إنكلترا بخطورة الوضع؛ كون "نابليون" سيعمل على اتخاذ الحملة كذريعة لإحراز مكاسب في أوروبا.

في الواقع، بدأت إنكلترا تقوم بمباحثات جادة من أجل إخراجهم من المنطقة، وعودة الحملة إلى بلادها؛ وبسبب فشل المساعي في إقناع فرنسا للخروج من دون الأسلحة، شكلت كل من إنكلترا والسلطنة العثمانية حملة مشتركة نزلت السواحل المصرية، وانتهت هذه الحملة بتوقيع معاهدة الجلاء التي تم توقيعها في الإسكندرية عام ١٨٠١[٤]، والتي بموجبها تم إجلاء عشرة آلاف وخمسمئة ألف جندي، كما رحل ستمئة مدني مع الحملة الفرنسية، بذلك خرجت الحملة الفرنسية من مصر، ويمكن القول: إن إنكلترا أرادت أن يكون لها دور في هذه المفاوضات حتى تثبِّت أقدامها في المشرق العربي، وتحافظ على مصالحها الحيوية في منطقة البحر الأحمر[٥].

٦-نتائج الحملة الفرنسية وأثرها في البحر الأحمر:

تُعدّ الحملة الفرنسية التي قادها نابليون واحدة من المنعطفات التاريخية على منطقة البحر الأحمر، حيث أعادت رسم خريطة القوى في البحر الأحمر بالصورة التي أوجدتها القوى الأجنبية[٦].

من جرّاء ذلك بدأت إنكلترا تفكر جدياً بربط منطقة البحر الأحمر، بأملاكها في شبه القارة الهندية؛ من أجل الحرص على عدم تهديد وجودها، وإيجاد طريق تجاري غير رأس الرجاء

---

(١) الرشيد: مدينة تجارية مهمة مطلة على البحر المتوسط، تقع شرقي الإسكندرية. لاوندا، يهود مصر ....، ص٤٥.

(٢) هيرولد، بونابرت....، ص٣٦٧.

(٣) هيرولد، بونابرت ....، ص٢٧٠-٢٧١. رفعت، تاريخ مصر....، ص٥٤-٥٣. أحمد محمد عوف، أحوال مصر من عصر لعصر من الفراعنة إلى اليوم، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص١٠٩.

(٤) انظر نص اتفاقية جلاء القوات الفرنسية عن الإسكندرية الموقعة مع القوات الإنكليزية والعثمانية بتاريخ ٣٠ أغسطس ١٨٠١ عبد العزيز محمد الشناوي، جلال يحيى، وثائق ونصوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، مصر، ١٩٩٦، ص٥٣٥-٥٤٣.

(٥) أباظة، عدن والسياسة ....، ص٨٣. عودة، الحملة الفرنسية ....، ص٤٩-٥٠.

(٦) جاد طه، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٨٥، ص٣٥.

الصالح يكون أسرع منه، فلم تجد طريقاً أسهل وأسرع من الطريق التجاري الذي ربط إنكلترا بمستعمراتها بالهند عبر مصر والبحر الأحمر [١].

ومن النتائج غير المباشرة للحملة أنها ولدت مشاعر قومية للوحدة العربية، وذلك من خلال المقاومة الشعبية للوجود الفرنسي في مصر، واستخدام اللغة العربية في المنشورات والصحف [٢]، كما أيقظت المصريين من سباتهم لأنهم على مقدرة ودراية بحكم بلادهم عن طريق إشراكهم في الحكم فترة الحملة الفرنسية على مصر[٣].

وأخيراً، لان نسى الآثار الحضارية للحملة الفرنسية، وأهمها:

١-الأبحاث العلمية التي خلفها العلماء المرافقون للحملة، حيث وضعت اللبنة الأولى في التقدم العلمي.

٢- تم اكتشاف حجر الرشيد حيث وجد عليه نقوش مصرية قديمة، وأيضاً شكّل بأمر من نابليون لجنة العلوم والفنون ودُرِست فيها طبيعة مصر [٤] .

٣-شُكّل مجمعٌ علميٌّ من أهم أعماله البحث في إمكانية شق قناة بين البحر الأحمر، والبحر المتوسط.

٤-بجهود كليبر أُلف كتابٌ سمي "وصف مصر" بعد موافقة فرنسا على ذلك عام ١٨٠٢[٥].

٥-وضع خريطة دقيقة لمصر عام١٨٠٠[٦] فترة استلام مينو قيادة الحملة.

وهكذا يرى البحث أن أحداث الحملة الفرنسية شكّلت تبعاتٍ خطيرةً على المنافسات بين القوى الأوروبية، وخصوصاً بين فرنسا وإنكلترا، وبيّنت الهيمنة السياسية، والعسكرية، والتجارية لإنكلترا على المنطقة، ولاسيّما على الدول المتشاطئة على البحر الأحمر، ولفترة طويلة.

ثانياً-التدخل الأوروبي في أراضي السلطنة العثمانية، وتأثير ذلك في منطقة البحر الأحمر ما بين(١٨٠٢-١٨٢٠):

كانت الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام بقيادة نابليون بونابرت سياسة توسعية في منطقة البحر الأحمر ضمن إطار النزاعات الاستعمارية الفرنسية – الإنكليزية المتركزة خصوصاً

---

(١) جرادات، الأهمية الاستراتيجية...، ص١٣٢.

(٢) طه، معالم تاريخ...، ص٣٧.

(٣) رفعت، تاريخ مصر...، ص٦٤.

(٤) طه، معالم تاريخ ...، ص٣٧-٣٨.

(٥) حسن، تاريخ مصر من الفتح العثماني...، ص١٠٨-١٠٩.

(٦) رفعت، تاريخ مصر ...، ص٦٥.

على الطريق الواصـــل بين إنكلترا ومســـتعمراتها بالهند عبر البحر الأحمر الأقصـــر والأكثر ملاءمة؛ وبالتالي فإن الهيمنة الفرنسـية على مصــر كانت ضـربة مؤلمة لإنكلترا جعلتها مترقبة لهذه الحملة بكامل حيثياتها، وفي نهاية المطاف اســتطاعت إنكلترا إخراج فرنســا من مصـــر بمساعدة السلطنة العثمانية والشعب المصري.

بدأ التدهور يتسـلل إلى ولاية مصـر؛ نتيجة الفوضـــى التي أحدثتها القوى المشــاركة في إخراج الحملة من مصر إلى أن جاء محمد علي [١] واستلم زمام الأمور في مصر.

وهنا ســيرى البحث دور محمد علي وأعماله، والحروب التي خاضـــها في منطقة البحر الأحمر بإيعاز من الســـلطنة العثمانية، كحروبه في الحجاز والســـودان، في وقت كانت فيه الســـلطنة العثمانية ألعوبة بيد القوى الأوروبية، وهذا ما ســيجعل محمد علي يحقق اســـتقلاله الداخلي وقوته الذاتية.

١-وصول محمد علي إلى الحكم في مصر (١٨٠١-١٨٠٥):

خضــع مصـير التراب المصـري من الناحية الجغرافية السـياسـية للنزاع الدائر بين القوى المشـاركة في إخراج الحملة الفرنسـية من أجل تأمين مصـالح كل دولة في مصـر، وتمثلت تلك القوى:

١-**الدولة العثمانية:** هي التي ســيطرت على مصـــر بعد معركة الريدانية عام ١٥١٧، وتمثلت ســـلطتها بالوالي الذي أرســلته الســـلطنة العثمانية لتطبيق[٢] أوامرها، وفي أثناء وجود الحملة الفرنســية، وقّعت الســـلطنة العثمانية اتفاقية مع إنكلترا عام ١٧٩٩ ضــمنت من خلالها سلامة أراضيها، ورجوع مصر إلى حضن السلطنة العثمانية، ولكن جنود السلطنة كانوا منقسمين على أنفسهم همهم السلب، والنهب، والحصول على الثروة والمنصب.

---

(١) محمد علي باشـا: ولد في مدينة قولة عام ١٧٦٩، كان أبوه إبراهيم باشـا عاملاً في خفر الشـوارع، توفى والده وهو صـغير السـن، فرباه عمه طوسـون باشـا، ولكن قتل على يد الباب العالي، فتبناه صـديق والده يدعى جربجي برواسـطة الذي اعتنى به، وعمل تحت كنفه في جباية الضـرائب، وبسبب تفوق محمد علي بعمله، تم تكريمه، فأصـبح برتبة بلوك باشـي، قرر الباب العالي إرسـال حملة إلى مصـر لإخراج الحملة الفرنسـية بالتعاون مع إنكلترا من مصـر، كان محمد علي من ضـــمن مجموعة القوى البحرية بقيادة ابن مربيه علي أغا، حيث كانت الغلبة في معركة أبي قير للفرنســيين، فترك علي أغا جنده تحت قيادة محمد علي، الذي ارتقى إلى بكباشـي، أما علي آغا عاد إلى دياره، وبعد ذلك انتصـر العثمانيون على فرنسـا بمعاونة إنكلترا. جرجي، زيدان، تراجم مشـاهير الشـرق في القرن التاسـع عشـر، ٢ج، مؤسـسـة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ج١، ص١٦-١٨.

(٢) علي الدين هلال، التطور السياسي في مصر ١٨٠٥-٢٠٠٥، موقع كتب عربية، مصر، ٢٠٠٦، ص٢٠.

٢-**المماليك:** حكموا مصر قبل السلطنة العثمانية، حيث شكلوا قوة لا يُستهان بها خلال فترة الوجود العثماني، وأرادوا أن يستعيدوا قوتهم التي فقدوها خلال الحملة الفرنسية على مصر، وكان لهم دور في مقاومتها.

٣-**إنكلترا:** كانت منافسة لفرنسا؛ كونها لها مطامع في البحر الأحمر، والمتوسط وهذا ما جعلها تسيطر على بعض المواقع الاستراتيجية[١]المحاذية للبحر الأحمر، وذلك لتضمن سطوتها على البحار، وحماية الطرق المؤدية إلى الهند.

وفي هذه الظروف من الفوضى، والانقسامات، والتصدعات الداخلية في مصر، انقسم المماليك على أنفسهم فاستطاع محمد علي بحنكته أن يتولى مصر بعدما خاض حربا داخلية ضد المماليك.

كتب المشايخ والعلماء إلى الباب العالي يطالبون تولية محمد علي مكان خورشيد باشا، وفي عام ١٨٠٥ جاء فرمان من السلطان العثماني سليم الثالث، يقضي بتقليد محمد علي ولاية مصر، وخلع خورشيد باشا من منصبه، واتجاهه إلى الإسكندرية حتى تصدر الأوامر بنقله إلى إحدى ولايات السلطنة العثمانية، وسيؤدي هذا الوضع إلى غضب إنكلترا؛ لأن ذلك مساس بمصالحها الاستراتيجية في مصر، فما كان من إنكلترا إلا أن شكلت حملة عسكرية بقيادة الجنرال فريزر عام ١٨٠٧[٢].

٢- محاولة إنكلترا السيطرة على مصر بإرسالها حملة فريزر ١٨٠٧:

شكلت الحملة الإنكليزية بعداً حقيقياً لصراع دائم من أجل الهيمنة على منطقة البحر الأحمر، له جذوره منذ الهجوم الفرنسي على مصر بقيادة بونابرت؛ لذا أخذت تنتهج سياسة إنكلترا من أجل تحقيق طموحاتها الاستعمارية بعد خروجها من مصر عام ١٨٠٣إما عن طريق مفاوضات دبلوماسية[٣] وعلاقات تجارية، أو تنفذ سياستها عن طريق حلفائها، إلا أن هذه

---

(١) استراتيجية: هي كلمة يونانية الأصل تعني فن أو علم القيادة العامة، وهي لا تقتصر على كسب معركة في ميدانها؛ بل تشمل الخطة العامة؛ لكسب الحرب، ويطلق على المواقع الاستراتيجية التي تكون ذات أهمية عسكرية في كسب المعارك سواء الحرب الدفاعية أو الهجومية. وبمعنى آخر، تكون الاستراتيجية: هي مجموعة من الإجراءات التي يمكن اختيار البدائل في مراحل العمل المختلفة. زيتون، المعجم ....، ص٢٦.

(٢) قاسم سمحات، محمد علي باشا والمشروع الفرنسي في بلاد الشام ١٨٠٤-١٨٥٠، د.م، د.ت، ص ٣٦، مسعد، عظماء...، ص١٠.

(٣) دبلوماسية: هي استخدام الحنكة واللباقة في العلاقات الدولية الرسمية بين حكومات الدول، أو هي إدارة العلاقات بين الدول بالطرق السلمية. جيرمي، بلاك، تاريخ الدبلوماسية، ترجمة: أحمد علي سالم، مراجعة: سعيد الغانمي، هيئة أبي ظبي للسياحة والثقافة مشروع الكلمة، أبو ظبي، ٢٠١٣، ص١٥.

الاستراتيجية تغيّرت بالمجمل إلى عدوان حربي؛ بسبب فشل حلفائها، وظهور قوة جديدة مناوئة لمصالحها، ألا وهي شخصية محمد علي(١).

ويلاحظ في تلك الفترة، حصول تقارب عثماني – فرنسي نتيجة الضغط الروسي على السلطنة العثمانية للوصول إلى مضائق الدردنيل والبوسفور (٢)؛ مما دفع إنكلترا إلى إرسال أسطولها عام١٨٠٧بقيادة فريزر (fraser) إلى مصر، وكانت خطتها ترمي إلى احتلال موانئ مصر، وأما حلفاؤها المماليك، وعلى رأسهم محمد بك الألفي كانت مهمته احتلال القاهرة.

انطلقت الحملة الإنكليزية من قاعدتها الحربية١٨٠٧/٣/١٦ في صقلية باتجاه الإسكندرية(٣)، كما انضوى تحت لواء هذه الحملة ستة آلاف جندي، وحوالي خمس وعشرين سفينة حربية بقيادة الأميرال لويس (lewis)، في البداية احتلت إنكلترا الإسكندرية من دون مقاومة(٤) ليلة ٢٠-٣/٢١/ ١٨٠٧؛ لكونها لا تخضع لسلطة محمد علي؛ وإنما تحت قيادة الضابط البحري أمين آغا المستقل عن والي القاهرة استقلالاً تاماً، مع أن محمد علي سعى إلى وجود حامية ألبانية في الإسكندرية، وحاول رشوة الضابط، ولكن تدخل إنكلترا أثر في قرار الضابط، فامتنع عن قبول وجود حامية ألبانية فيها(٥).

وفي ٢٩ /١٨٠٧/٣خرجت قوة إنكليزية تراوح عدد جنودها حوالي ١٤٠٠جندي؛ لاحتلال مدينة الرشيد؛ بهدف تأمين الموارد والإمداد إلى الإسكندرية، وفي حال الانتصار سيشجع المماليك على التقدم ومساندة إنكلترا وفق الخطة الموضوعة، ولكن حدث انهيار في هذه القوى لأسباب عدة، منها: كان على فريزر أن يقوم بإدارة هذه القوى بدلاً عن الضابط الذي أرسله؛ فضلاً عن أن هذا الضابط دوكوب أساء في تقدير وتنظيم القوى، حيث إنه استخدم كل القوات في الهجوم، ولم يترك شيئاً احتياطياً، ولما توفي على إثر جراحه، ترك القيادة لضابط أكبر مقاماً، ولكن لم يلبث أن أصيب هو الآخر بجراح منعته من مواصلة التقدم مع جيشه، ورغم

---

(١) عبد العزيز الرفاعي، انتصار مصر في الرشيد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، دار القلم، القاهرة،١٩٦٢، ص٧-٨-٢٤. جيلبرت، سينويه، الفرعون الأخير محمد علي ١٧٧٠-١٨٢٩، ترجمة: عبد السلام المودني، تقديم: ديروش نوبلكور، منشورات الجمل، بغداد-بيروت، ٢٠١٢، ص١١٥-١١٦.

(٢) مسعد، عظماء...، ص١١.

(٣) الرفاعي، انتصار مصر ....، ص٣٧.

(٤) عصام محمد شبارو، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، دار التضامن، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص١١٥.

(٥) شبارو، المقاومة...، ص ١١٥.هنري دودويل، الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد علي مؤسس مصر الحديثة، ترجمة: أحمد محمد عبد الخالق، علي أحمد شكري، مكتبة الآداب، الجماهير، د.ت، ص٥٠-٥١. ثابت، محمد...، ص٥٠-٥١، الرفاعي، انتصار مصر...، ص٣٨-٣٩.

جراحه لم يترك القيادة لأحد من القواد الآخرين[١]، وفي أثناء هذا التشـــتت وعدم الانتظام في صـفوف الجنود، تفاجأت إنكلترا بانقضــاض الألبان عليهم بأمر من محمد علي باشـا، ومعاونة الأهالي لهم، واتفاق المماليك مع محمد علي، ونكثهم بوعدهم لإنكلترا بمســـاندتهم؛ فوقعت المعركة بالقرب من قرية الحماد جنوب رشـــيد، حيث انتهت بهزيمة إنكلترا، فقد بلغ عدد قتلاهم حوالي ١٧٠قتيلاً، و٢٥٠جريحاً، و١٢٠ أســـيراً ، مكبلين باتجاه القاهرة، وبالنســـبة لخســـائر المصـــريين وفاة ٤٠ رجلاً، و١٠٠جريح[٢]، وذكرت رواية أخرى، أن عدد قتلى إنكلترا كان ٤٠٠قتيل، ومثلهم جرحى[٣].ومن تبقى منهم اتجهوا إلى الاسكندرية.

لم يلبث محمد علي أن تابع المواجهة مع إنكلترا من جديد، وهذا ماأجبر الجنرال فريزر على مفاوضـة محمد علي للانسحاب من مصـر عام ١٨٠٧، وأصـبحت الإسـكندرية تحت نفوذ الوالي محمدعلي[٤].

ومن الجدير ذكره، أن المعاهدة التي خرجت بموجبها إنكلترا من مصر كانت بسبب قناعة إنكلترا آنذاك بوجوب الوقوف أمام صــلح تليســت الذي عقدته فرنســا مع روســيا عام ١٧٠٨، لتقسيم ممتلكات الدولة العثمانية[٥].

وفي الواقع، حيال هذه الحملة الإنكليزية، أدرك محمد علي التحول الجذري الذي تحدثه القوى البحرية المرادفة للبرية في أثناء الحروب، ومدى قوة أســـطول إنكلترا في البحار، والفوائد الاقتصادية التي سيحصل عليها من صداقته لهذا الأسطول[٦].

وهكذا نرى أن الحملة الإنكليزية اتجهت إلى مصـــر؛ لكونها من الدول المشـــاطئة على البحر الأحمر، وموقعها الاســـتراتيجي، ولكن مهما كانت غايات محمد علي في الوقوف بوجه هذه الحملة، وإخراجه من مصـر استطاع من خلالها بسط نفوذه، وكسب ثقة الشعب والسلطنة العثمانية؛لأن الأخيرة سُرَّت بهذا العمل الذي قام به محمد علي باشا.

---

(١) دودويل، الاتجاه السياسي ...، ص٢٦-٢٧. ثابت، محمد...، ص٥١.

(٢) شبارو، المقاومة الشعبية ...، ص١١٨.

(٣) حسين كفافي، محمد علي رؤية لحادثة القلعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢، ص١٤٨.

(٤) طه، معالم تاريخ ...، ص٥١.

(٥) مسعد، عظماء...، ص١٢.

(٦) دودويل، الاتجاه السياسـي ...، ص٢٩. ثابت، محمد...، ص٥٣. عبد الرحمن زكي، التاريخ الحربي لعصـر محمد علي الكبير، دار المعارف، مصر، ١٩٥٠، ص٢٨.

٣-أثر الحرب الروسية العثمانية (١٨٠٦-١٨١٢) على البحر الأحمر:

تُعدّ المضائق العثمانية البوسفور، والدردنيل الشريان الحيوي لروسيا، فقد وضعت نصب عينيها الوصول إليهما؛ لأنهما نقطة التقاء بين أوروبا وآسيا، وكما أنهما يصلان بحر إيجة بالبحر الأسود؛ فضلاً عن دورهما الاقتصادي والعسكري حيث تمر من خلالهما السفن التجارية [(١)].

في ظل الانتصارات التي حققها نابليون بين عامي (١٨٠٥-١٨٠٧) أدى إلى قلب موازين القوى في ظل تداعي أركان الدولة العثمانية، فقد اتجه نابليون نحو ألمانيا وكانت بصفِّهِ بافاريا، وفي مواجهته النمسا وروسيا، بينما بروسيا وقفت على الحياد من أجل الانحياز للطرف المنتصر وتحقيق مكاسب سياسية لها، كما سيِّر جنوده نحو الراين، فاستسلمت النمسا له في موقعة أولم(ULM)[(٢)]عام ١٨٠٥، وبالمقابل حشدت النمسا جيشها بمعاونة روسيا القيصرية للدفاع عن فيينا أمام الجيوش الفرنسية، ولكن تقهقر الجيشان بوجه جيش نابليون؛ مما اضطر النمسا إلى توقيع الصلح مع فرنسا في برسبرج[(٣)]، ومن أهم بنود الصلح الموقع بين الطرفين: إعطاء فرنسا البندقية[(٤)]، وسواحل دلماسيا، والتيرول، وأستريا؛ بذلك أصبحت فرنسا سيدة الموقف؛ لكونها سيطرت على إيطاليا، وجنوب ألمانيا، وشكلت اتحاداً جديداً من أمراء ألمانيا تحت حمايتها اسمه اتحاد الراين[(٥)].

ومن نتائج صلح برسبرج: انقلاب بروسيا على فرنسا بعد أن كانت على الحياد؛ بسبب نكث فرنسا وعدها باحتلال هانوفر، وإعطائها لها؛ لذا قرر نابليون بعد تعالي الأصوات في بروسيا تطالب بمحاربته إلى إرسال جيشه إلى برلين بعد انتصاره في موقعة يينا عام ١٨٠٦؛

---

(١) لويس الحاج، مشكلة المضايق والعلاقات الروسية التركية، سلسلة الثقافة السياسية، منشورات دار المكشوف، بيروت، ط١، ١٩٤٧، ص٥-٦.

(٢) أولم(ULM): أولم مدينة بمقاطعة بادن مورتمبرج جنوب ألمانيا، وهي ميناء على نهر الدانوب يجعله صالحاً للملاحة في هذه المنطقة، وسميت الموقعة باسم هذه المدينة. مجموعة مؤلفين، الموسوعة ....، مج١، ص٥٢٩.

(٣) محمد كمال الدسوقي، تاريخ أوروبا الحديث، مطبعة النهضة الجديدة، د.ت، ص٣٨.

(٤) البندقية: مدينة تجارية تقع على البحر الأدرياتيكي، أخذ العثمانيون بعض أملاكها، حيث سيطر السلطان محمد الفاتح على ممتلكاتها في اليونان وجزيرة المورة، ثم أخذ سليم الثاني مدينة قبرص، والسلطان محمد الرابع جزيرة كريد، وفي عام ١٧٩٧احتلها الفرنسيون، وضموها إلى النمسا، وفي عام ١٨٠٥ ضمت إلى ايطاليا، وفي عام ١٨١٥عادت إلى النمسا، وفي عام ١٨٤٨ثارت وشكلت جمهورية. المحامي، تاريخ الدولة ....، ص١٧٠-١٧١.

(٥) خيرية قاسمية، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (تاريخ أوروبا المعاصر)، جامعة دمشق، ١٩٨١-١٩٨٢، ص٤٦-٤٧.

فضلاً عن ذلك خشي نابليون من قيام تحالف يضم بروسيا وأعداءه الممثلين بكل من روسيا وإنكلترا [١].

ولم يكتف بذلك؛ بل أصدر مراسيم برلين الشهيرة التي أعلن بها حصار الجزر الإنكليزية، وحرم على الدول الأوروبية جميعها الإتجار معها، كما حرم عليها فتح موانئها لسفن إنكلترا، وهذا ما اتبعته إنكلترا إزاء فرنسا، حين قررت عام ١٨٠٦ مصادرة البضائع الفرنسية، وحصار الموانئ الفرنسية، ومنع الإتجار معها[٢].

وأرسل السفير الفرنسي سبستياني مذكرة إلى السلطنة العثمانية عام١٨٠٦، بعد أن حرضها على إلغاء الامتيازات التي منحتها لروسيا، ومضمون المذكرة:" **أن أي تحالف تقوم به الدولة العثمانية مع أعداء فرنسا، يُعدّ تحالفاً موجهاً ضد فرنسا بالدرجة الأساس، وعليه، إن بلاده ستكون مضطرة لاتخاذ الإجراءات المناسبة التي تتماشى مع مصالحها في المياه الدافئة، وبالنهاية طمأن الباب العالي بالقول: إن القوات الفرنسية المتواجدة في دلماشيا، هي قوات للدفاع من محاولات تدخل روسيا في الدولة العثمانية**"[٣].

وانطلاقاً من تصدع العلاقات بين فرنسا وروسيا، كان من المفروض على فرنسا توجيه ضربة دبلوماسية، إلى أن يحين الوقت الذي ستكون فيه فرنسا قادرة على التخلص من روسيا وهذا ما دفعها إلى إرسال هذه المذكرة لإغلاق مضيقي الدردنيل والبوسفور؛ لأنهما الطريقان البحريان اللذان يمكنان فرنسا تهديد أغنى المناطق الروسية، ونفاذها إلى المياه الدافئة عبر تلك المضائق.

وفي عام ١٨٠٦ألغت السلطنة العثمانية المعاهدة الدفاعية مع روسيا، فأرسلت كل من إنكلترا وروسيا مذكرة جاء فيها: "**أن تقوم الدولة العثمانية بقطع علاقاتها مع فرنسا ومغادرة سفيرها الأراضي العثمانية وحثت الباب العالي على اتباع سياسة جديدة تقوم على أساس التعاون ودعم العلاقات بين كل من روسيا وإنكلترا والدولة العثمانية**". وحذرته بالقول:" **إذا رفض الباب العالي هذه المطالب، فهذا يعني أن حكومة إستانبول ماضية في تعاونها مع**

---

(١)ميلاد أ المقرحي، تاريخ أوروبا الحديث(١٤٥٣-١٨٤٨)، منشورات قار يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٦، ص٣٣٦-٣٣٧.

(٢) المقرحي، تاريخ أوروبا...، ص٣٣٧-٣٣٨.

(٣) مشتاق مال الله قاسم، حيدر عبد الرضا حسن، (العلاقات العثمانية الفرنسية والموقف الروسي منها ١٥٣٥-١٨٥٦)، مجلة آداب البصرة، العدد٧٥، ٢٠١٥، ص١٤٣.

فرنسا، وعلى هذا الأساس سوف تتحالف إنكلترا مع روسيا لمواجهة الخطر العثماني الفرنسي الذي يهدد مصالح إنكلترا في المياه الدافئة"[١].

وفي عام ١٨٠٧هُزِمت الجيوش البروسية المتحالفة مع روسيا أمام الجيش الفرنسي في معركة فريدلاند(fridland)[٢]، فطلبت كلا الدولتين عقد صلح مع فرنسا، حيث تقابل القيصر إسكندر مع الإمبراطور نابليون، وسط نهر النيامن (niemen)[٣]ومن أهم ما جاء في بنود الصلح:

١-بقاء الأراضي الروسية، وعدم خسارة أي جزء من أراضيها.

٢- اعتراف القيصر الروسي بالتغييرات التي يفرضها نابليون على ألمانيا.

٣- انضمام القيصر الروسي إلى الحصار الذي فرض على إنكلترا، إذا لم توافق إنكلترا على وساطة روسيا؛ لحلِّ النزاع بينها وبين فرنسا.

٤- إجبار كل من الدانمارك، والسويد، والبرتغال إلى إغلاق موانئها أمام بضائع إنكلترا.

وتم توقيع صلح تليست[٤]عام ١٨٠٧ ومن أهم ما جاء فيه:

١-إعلان روسيا أنها سوف تقف عن محاربة السلطنة العثمانية.

٢-توسط نابليون بين السلطنة العثمانية وروسيا من أجل الصلح.

٣-إخلاء الجيوش الروسية منطقتي الأفلاق والبغدان[٥]؛ مقابل عدم دخول الجيوش العثمانية إليها حتى يتم الصلح النهائي بينهما.

٤-أما بالنسبة للبنود السرية: فتم اقتسام السلطنة العثمانية بين روسيا التي تحصل على الأفلاق والبغدان، والبلغار، وإقليم تراس حتى نهر ماريتزا، وفرنسا التي تحصل على بلاد

---

(١) قاسم، حسن، العلاقات...، ص١٤٣.

(٢) فريدلاند(fridland): مدينة في بلاد بروسيا الشرقية لايتجاوز عدد سكانها أربعة آلاف نسمة، واشتهرت بانتصار نابليون الأول بها على جيوش الروس. المحامي، تاريخ الدولة...، ص٣٩٤.

(٣) نهر النيامن (niemen): هو نهر يقع في أوروبا الشرقية ينبع من روسيا البيضاء، ويسيل في لتوانيا، ليصب في بحيرة قورش ثم في بحر البلطيق. نيمان، ويكبيديا الموسوعة الحرة، ٢٠١٧/٨/١٤، الرابط الآتي: https://ar.wikipedia.org/wiki

(٤) تليست: قرية بشرق بروسيا على نهر النيامن الفاصل بين الروسيا والبروسيا وبها اجتمع نابليون الأول بالإمبراطور الروسي اسكندر الأول واتفقا على تقسيم أوروبا بينهما. المحامي، تاريخ الدولة...، ص٣٩٥.

(٥) الأفلاق والبغدان: هما ولايتان عثمانيتان في رومانيا شمال نهر الدانوب المتاخمة لحدود روسيا القيصرية، وتبعت الأفلاق إلى السلطنة العثمانية في عهد يلدرم بايزيد وبغدان في عهد محمد الفاتح. محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين،١٠مج، دار المعرفة، بيروت، ١٩٧١، مج٤، ص٤٩١. أوزتونا، تاريخ الدولة...، مج٢، ص٧٠٢-٧٠٣.

البوسنة، وألبانيا، وأبيروس، وبلاد اليونان، ومقدونيا، وإعطاء النمسا حصة من الأراضي العثمانية مع أن فرنسا عدّت نفسها صديقة للسلطنة العثمانية[١]وعلى هذا النحو، وضع نابليون الركائز الأساسية؛ لضمان الجناح الشرقي، فروسيا أصبحت الحليف الذي سيمكّنه من التفرغ لإنكلترا، في الوقت نفسه، ضَمِن عدم قيام النمسا بحرب ضده[٢].

ويمكن القول: كان من الصعب على فرنسا احتلال إنكلترا عسكرياً في ظل تفوقها البري والبحري، فقررت استبدال سياستها العسكرية بسياسة أشد وطأة على إنكلترا عن طريق سياسة الحصار القاري الذي التزمت به كل من روسيا وبروسيا والسويد والدانمارك؛ مما أرهق اقتصاد إنكلترا وسبب لها عجزاً مالياً، وأنهكها بتفشي البطالة، وتكدس تجارتها الخارجية؛ لاعتمادها على الأسواق الأوروبية في تصدير منتجاتها[٣] ، وبالرغم من هذه السياسة، استطاعت إنكلترا أن تصدر بضائعها إلى موانئ حليفة لها موجودة في أراضي البابوية، والبرتغال؛ لذا قرر نابليون إرسال جيشه لضم أملاك البابا إلى فرنسا، فأجاب البابا بقوله: حرمانه من غفران الكنيسة، فقبض عليه نابليون وسجنه[٤].

إن الاستراتيجية التي انتهجتها فرنسا في عملها السياسي، ستعرّضها فيما بعد لمضايقات من قبل روسيا؛ نتيجة حدوث تغييرات في موقفها، وخصوصاً عدم تنفيذها كامل الشروط حول انسحابها من الأفلاق والبغدان؛ مما جعل الصدام بين السلطنة العثمانية وروسيا أمر محتم[٥].

وفي هذه المرحلة، كانت الأوضاع الداخلية للسلطنة العثمانية سيئة جداً، مما جعل موقفها غير متوازن أمام أعدائها، وخصوصاً عندما عزلت الانكشارية السلطان العثماني سليم الثالث بعد استفتاء شيخ الإسلام قائلين له: "**إذا كان السلطان مخالفاً لأحكام القرآن، فهل يجوز بقاؤه على عرش السلطنة؟ فأجاب شيخ الإسلام: كلا والله أعلم بما يجب ... وخلعوا سليم الثالث**"[٦].

---

(١) المحامي، تاريخ الدولة...، ص٣٩٤.

(٢) الجمل، عبد الرزاق، تاريخ أوروبا...، ص١٤٩.

(٣) الدسوقي، تاريخ أوروبا...، ص٤٧.

(٤) الدسوقي، تاريخ أوروبا...، ص٤٨-٤٩.

(٥) عبد الرزاق، تاريخ...، ص١٤٩-١٥٠.

(٦) شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق وتعليق: حسن السماحي سويدان، دار التربية-دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ٢٠٠١، ص٢٦٤.

وعلى إثر هذه الفتوى تمت مبايعة السلطان مصطفى الرابع عام ١٨٠٧، وبما أنه كان ألعوبة بيد الذين وضعوه قُتِل، فتولّى محلّه السلطان محمود الثاني عام ١٨٠٨[١].

خاض نابليون بونابرت حروباً ضد التحالفات التي تشكلت ضده، نجح في إبعاد النمسا وبروسيا[٢]، وفي عام ١٨٠٩نقضت روسيا معاهدة تليست، وأصبحت حليفة لإنكلترا، كما حذت السلطنة العثمانية حذو جارتها، فعقدت مع إنكلترا صلح سمي اتفاق الدردنيل، ومن أهم ما جاء فيه: مبدأ إغلاق المضائق في وجه السفن الحربية وهذا نص المادة: "**لما كانت الإمبراطورية العثمانية قد حظرت على السفن الحربية دخول قناة استانبول، أي مضيق الدردنيل في حالتي السلم والحرب، ولما كان استمرار هذا الخطر مفيداً لقضية السلم وكان من المرغوب فيه أن تتقيد به الدول الأجنبية كافة، فالدولة الإنكليزية تعد احترام مبدأ إقفال المضائق في وجه السفن الحربية في حالتي السلم والحرب**"[٣].

ومهما يكن الأمر، فإن القيصر الروسي ألكسندر الأول[٤] رفض علنياً إغلاق موانئ بلاده في وجه السفن المحايدة عام ١٨١٠خصوصاً بعد زواج نابليون من ابنة إمبراطور النمسا (ماري لويز) [٥]؛ كون سياسة نابليون ستكون سياسة مصادقة للنمسا من دون الانتباه لمصالح روسيا [٦].

---

(١) أرسلان، تاريخ الدولة ....، ص٢٦٧. جميل عبيد، قصة احتلال محمد علي لليونان(١٨٢٤-١٨٢٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠، ص٣٦-٣٧.

(٢) قاسمية، تاريخ أوروبا ....، ص٥٢-٥٣.

(٣) لويس الحاج، مشكلة المضايق ....، ص١٦.

(٤) ألكسندر الأول: من أباطرة روسيا القيصرية حكم ما بين(١٨٠١-١٨٢٥) خلف أباه بول الأول، انضم ألكسندر إلى التحالف ضد نابليون الأول عام ١٨٠٥، وهُزِم في معركة أوسترلتز وفريدلاند، وعقد صلح تليست ١٨٠٧، وبعد طرد الفرنسيين عام ١٨١٢قاد الحلفاء إلى باريس، وشهد مؤتمر فيينا، وتميز بآرائه الإصلاحية في داخل الإمبراطورية الروسية، مما سبب في مقتله فيما بعد. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية...، مج١، ص٣٩١.

(٥) ماري لويز :(١٧٩١-١٨٤٧): ابنة إمبراطور النمسا فرنسيس الأول تزوجت من نابليون الأول عام ١٨١٠، وأنجبت له ابناً ولياً للعهد ثم تخلت عنه عام ١٨١٤، وجعلها مؤتمر فيينا دوقة بارما وبياتشنزا وجوستالا التي حكمتها حكماً ضعيفاً من عام ١٨١٦ حتى وفاتها. تزوجت بعد وفاة نابليون ١٨٢١ من عشيقها كونت نيبرج زواجاً يحرم أطفالها منه من حق وراثة العرش، ثم تزوجت بعد وفاته نبيلاً فرنسياً من الأشراف المهاجرين بالنمسا، وهو الكونت دي بومبل. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية...، مج٦، ص٢٩٧١.

(٦) الدسوقي، تاريخ أوروبا...، ص٥٧.

أكملت روسيا حروبها مع السلطنة العثمانية ما بين عامي (١٨٠٩-١٨١٢) بعد أن عقد السلطان العثماني صلحاً مع إنكلترا، وتقرر الاشتباك مع روسيا التي حرضت الصرب على التمرد والعصيان عليها، فأخذت السلطنة العثمانية تحارب الصرب وروسيا بآن واحد[١].

في عام ١٨١٠استولى الروس على مدن حدودية عدة بين روسيا ورومانيا، فعزل السلطان العثماني الصدر الأعظم ضيا يوسف باشا، وتولى محله أحمد باشا الذي حقق انتصاراً كبيراً على روسيا، بعد أن جهز ستين ألف جندي، وأجبرهم على الانسحاب عن بعض المدن، ولكن عادت روسيا عام ١٨١١، واحتلت عدداً من المدن[٢].

ومن جهة أخرى، لا يمكن إغفال سوء العلاقات الفرنسية-الروسية، وفي هذا المنظور، يبدو أن الحرب وشيكة بينهما؛ لذا صالح الروس الدولة العثمانية خدمة لأنفسهم، وجرت مفاوضات في بوخارست انتهت بتوقيع المعاهدة التي حملت اسم المدينة ١٨١٢، والتي جاء فيها: تبعية الأفلاق، والبغدان، والصرب للسلطنة العثمانية، وبينما احتفظ الروس بإقليم بسارابيا، وأحد مصبات نهر الدانوب [٣].

في الواقع، أن روسيا عرَفت جيداً أهمية المضائق التي كانت منفذاً على البحر المتوسط بطرقه التجارية، وعلمت أن مَن يسيطر على البحر المتوسط وعلى البحر الأحمر، سيكون له الدور القيادي في التحكم بالتجارة العالمية، كما يرى البحث أن فرنسا لن تسمح لروسيا في الوصول للبحر المتوسط، كي لا تفكر مستقبلاً إكمال مخططها نحو البحر الأحمر، والتضييق عليهما في الوصول إلى الهند درة التاج الإنكليزي.

٤-تكليف محمد علي بالقضاء على الحركة الوهابية:

إن الظروف الدولية في منطقة المشرق العربي، ولاسيما المناطق المطلة على البحر الأحمر كمصر محط تنافس بين الدول الأوروبية، خلق واقعاً جديداً، فرض على الوالي محمد علي القيام بتأسيس حكومة، وجيش يستطيع الاعتماد عليه.

من جراء ذلك، طلبت إنكلترا المؤن من مصر، فاستغل محمد علي ذلك من أجل بناء اقتصاد متين يتيح له إكمال مخططاته التوسعية، وإن وقع في خيار بين بيع غلال مصر لإنكلترا أو لإستانبول كان يعطي الامتياز لإنكلترا؛ لأنها تدفع بشكل أعلى من السلطنة، وبأفضل الطرق؛ مما سبب انزعاجاً لدى السلطان العثماني، وأغضب فرنسا؛ لتزويد إنكلترا عدوها اللدود بمؤن من مصر؛ مما جعلها ترسل المبعوث الفرنسي دروفتي إلى محمد علي الذي طلب منه

---

(١) حليم، تاريخ الدولة العثمانية ...، ص٢٩٠.

(٢) علي حسون، العثمانيون والروس، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، ط١، ١٩٨٢، ص٩٨.

(٣) علي حسون، تاريخ الدولة ...، ص١٦٣.

إيقاف ذلك، فأوضح محمد علي للمبعوث الفرنسي دروفتي أنه ليس بمقدوره رفض بيع المؤن والحبوب لإنكلترا؛ لمعرفته مدى قدرتها العسكرية؛ وبالتالي باستطاعتها أخذ ما تريده بالقوة ، إن لم تأخذه بشكل سلمي، ومن الأفضل أن تتطور العلاقات مع فرنسا، وإعطاؤها تعرفة جمركية مخفضة، ولكن عدد السفن الفرنسية قليلة[١].

أخذت فرنسا تتابع حركة سفن إنكلترا المصرح بدخولها إلى ميناء الإسكندرية، بشكل دقيق، حيث أرسل المبعوث الفرنسي دروفتي إلى سفير فرنسا في إستانبول بخصوص سفن إنكلترا، يقول له:"...**كان وصول بضع سفن إلى الإسكندرية محملة بالبضائع الإنكليزية التي صرح بدخولها لهذا الميناء، قد أثار من جانبكم الاعتراض، وتقديم الالتماسات التي لم تلق القبول والنجاح الذي كنتم تنتظرونه.**

وأحسنتم صنعاً أن رفعتم تقريراً إلى المكلف بالشؤون الخارجية بإستانبول واستعجلتموه في مطالبة الباب العالي بإصدار فرمانات؛ تهدف إلى جعل الباشا مضطراً إلى التخلي عن نظام الانحياز للتجارة مع إنكلترا الذي يبدو أنه متبنيه...فإنني أدعوك إلى أن تستمر بقدر ما يعتمد عليك في عمل كل ما هو ضروري، لتأكيد تنفيذ إجراءات الحظر التي أمر بها جلالة الإمبراطور..."[٢].

ومنذ ذلك الحين فصاعداً، استطاع محمد علي أن يحصل على ذهب إنكلترا، والتوجه لمحاربة المماليك للتخلص منهم لعدم ثقته بهم، ولاسيمّا أن شاهين باشا خليفة محمد بك الألفي، راسل قائد قواد إنكلترا في البحر المتوسط عام ١٨٠٩ قائلاً:"... **ومن الطبيعي أن يبحث كل الرجال عن استرداد ملكية ثرواتهم التي نُهِبت... وعلى ذلك وبصفتي الوريث الشرعي لهؤلاء المماليك، فإنني أعتقد أن لي كل الحق أن أتطلع إلى ولاية مصر... فلن أستطع الحفاظ على سلامة البلاد وأمنها من دون حماية القوة التي طلبت حمايتها، ومساعدتها بالشروط التي تمليها عليّ، والناس من جانبي مع العلماء يتطلعون إلى نعيم العودة إلى إدارتهم القديمة...**"[٣].

---

(١) إدوار دريو، محمد علي ونابليون(١٨٠٧-١٨١٤) مراسلات قناصل فرنسا في مصر، ترجمة: ناصر أحمد إبراهيم، مراجعة وتقديم: رؤوف عباس حامد، الجمعية المصرية الجغرافية، القاهرة، ١٩٢٥، ص١٨.

(٢) انظر نص المراسلة كاملة بين القنصل الفرنسي في القاهرة دروفتي مع السفير الفرنسي في إستانبول بالرجوع إلى دريو، محمد علي ...، ص٧٨-٧٩.

(٣) انظر نص خطاب شاهين باشا إلى الأميرال قائد القوات الإنكليزية في البحر المتوسط بالرجوع إلى دريو، محمد علي...، ص٨٥-٨٧.

وكان من نتيجة هذا الخطاب ازدياد ضعف نفوذ المماليك في مصر، واستمر ذلك على يد محمد علي على الرغم من محاولات الصلح معهم، حيث اعتمد على سياسة العنف، وفي الفيوم[١]اصطدم مع المماليك بمساندة ابنه إبراهيم باشا[٢] ، وانتهت بانتصاره عليهم، وفرار قسم منهم إلى القاهرة، وبعضهم الآخر إلى الوجه القبلي[٣]. وقد أشارت وثائق عدة إلى استنجاد المماليك بوالي صيدا سليمان باشا، فأدى ذلك إلى، انزعاج محمد علي، وطلب من الباب العالي عزل سليمان باشا[٤].وكانت السلطنة العثمانية تعاني من نشوء الحركة الوهابية[٥] في شبه الجزيرة العربية، فأصدرت فرمانات بخصوص إرسال الجنود والمؤن من مصر، والشام، وبغداد، وتنفذ هذه الأوامر، إلا أنهم لم يكونوا بالمستوى المطلوب[٦].

---

(١) الفيوم: تقع جنوب غرب القاهرة في وادٍ عظيم من الأقاليم الوسطى بالديار المصرية اسمه القديم بيوم أي مدينة اليمّ، ومنه العربي فيوم، وسماه اليونان مدينة التمساح؛ لأنه كان الحيوان المقدس، وفيه بحيرة عظيمة واسمها اليوم قارون. لاوندا، يهود مصر...، ص٣٤. واصف بك، معجم الخريطة...، ص٨٩.

(٢)إبراهيم باشا: هو ابن والي مصر محمد علي باشا، ولد في مدينة قولة عام ١٧٨٩ ، وشارك في حروب محمد علي؛ فضلاً عن مهارته في إدارة الجيوش، وتولى الإمارة المصرية على حياة أبيه، حيث توفى قبل والده عام ١٨٤٨. زيدان، تراجم...، ص٤٣.

(٣) زكي، التاريخ الحربي...، ص٢٩-٣٠.

(٤) وثائق عابدين دفتر رقم ١، وثيقة رقم ٤٣، بتاريخ ٢٥شعبان ١٢٥٥هـ، وثائق عابدين، دفتر رقم ١، وثيقة رقم ٤٥بتاريخ رمضان ١٢٥٥هـ. أسد رستم، المحفوظات الملكية بيان وثائق الشام وما يساعدها على فهمها ويوضح مقاصد محمد علي الكبير، ٤مجلدات، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ط٢، ١٩٨٧، المجلد الأول، ص١-٢.

(٥) الحركة الوهابية: تنسب مذهب الوهابية إلى محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد ابن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرف بن عمر بن بعضاد بن ريس بن زاخر بن محمد بن علي بن وهيب التميمي. ولد محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١١هـ وتوفي سنة ١٢٠٧هـ عن عمر يناهز ستٍ وتسعين سنة، ولقد تحالف مع أمير العيينة محمد بن سعود . ج.ج لوريمر، تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج، صنفه وعلق عليه: سعيد بن عمر آل عمر، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض ط١، ١٩٩٦، ص١١-١٢.محسن الأمين الحسيني العاملي، كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، ٢٠٠٧، ص٧-٩.نجاح محمد، تاريخ جزيرة العرب الحديث، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١١-٢٠١٣، ص٨١-٨٣.

(٦) فعلى سبيل المثال أشارت وثيقة عن تقرير بعثه والي بغداد سليمان باشا إلى السلطان العثماني يخبره أنه بعث الأقوات والأرزاق إلى الحرمين الشريفين، ولكن الحيوانات التي أرسلت على ظهرها العتاد والأقوات قد نفقت؛ بسبب مرض أصابها، ولم يستطع الدخول عن طريق مصر، فعبر الصحراء بالإضافة المضايقات التي تعرض لها من الجهة الشامية؛ إلى جانب الإيجارات المرتفعة؛ بسبب وجود الوهابيين في مكة، كما حلّت المصائب بالعراق: منها الجراد الذي أهلك المحصول، فيعتذر الوالي عن عدم مقدرته في هذه السنة عن إرسال الأرزاق، لما حل به من مصائب .انظر نص الوثيقة كاملاً بالرجوع إلى أرشيف رئاسة الوزراء في الجمهورية التركية (HAT00160-06674-00001)، وثيقة رقم٧

وعند وصــول محمد علي للحكم، أخبرته السـلطنة العثمانية بوجوب محاربة الوهابية، لكنه دوماً يتردد ويرفض؛ بذريعة انشـغاله بالمماليك، وبالرغم من رفضــه قتالهم، اتخذ بحق الوهابيين عدة إجراءات منها: منع التجارة مع الحجاز بعد سـيطرته على السـويس آملاً بذلك حدوث ثورة عليهم(١).

وبعد انتهاء محمد علي من حربه في الصــعيد ضــد المماليك، بعث السـلطان العثماني محمود الثاني رسـولاً إليه يخبره أن عليه إرســال حملة إلى شـبه الجزيرة العربية؛ للتخلص من الحركة الوهابية في الحجاز؛ لما ارتكبته من عنف في الأراضــي المقدســة، وتهديد حجاج بيت الله الحرام، حيث امتد نفوذهم من الشمال إلى صحراء بلاد الشام، ومن الجنوب إلى بحر العرب، ومن الشــرق إلى خليج العجم، ومن الغرب إلى البحر الأحمر، وهذا من شــأنه تهديد الســلطنة العثمانية والتقليل من هيبتها، فما كان من محمد علي إلا قبول الأوامر الســلطانية كي تزيد ثقة السـلطنة العثمانية، ويكمل مخططه في التوسـع ليشـمل أراضـي الحجاز؛ لما لها من مكاسـب اقتصــــادية تدرها عليه، ولكن العقبة التي وقفت في طريقه المماليك، حيث خاف من تحركاتهم أثناء خروج ابنه لمحاربة الوهابية، لذا وجه دعوة إلى أكابر الدولة والمماليك، وأعوانهم للاحتفال بتولي ابنه طوســون قيادة الحملة على رأس ٨ آلاف مقاتل، فجاء المماليك كلهم إلى الحفلة بما فيهم شــاهين باشــا، وعندما دخلوا القلعة أمر محمد علي إغلاق الأبواب، وطلب من قواته أن تطلق عليهم النار، وتجهز عليهم بالسيوف، مما أدى إلى مذبحة كبيرة بحقهم، وسميت فيما بعد بمذبحة القلعة عام ١٨١١(٢).

أكمل ابنه طوســون طريقه إلى الحجاز، بينما ظل محمد علي في القاهرة خوفاً من أي انقلاب يحدث خلال هذه الحملة، والخطة كانت تتدرج تحت تشــكيل جبهتين، الأولى: بحرية بقيادة طاهر أفندي كاتب ديوان مصر الذي عبر البحر الأحمر إلى ينبع، واستطاع التمركز فيها بعد معارك عدة مع الوهابيين، حيث وجد فيها حامية بلغ عدد أفرادها حوالي ثلاثمائة من الوهابيين، اســتطاع الانتصــار على الحامية وفرار القائد، أما الثانية: كانت برية بقيادة الأمير

بتاريخ قبل رمضــان ١٢١٣هـ، علي موجاني، وثائق نجد تقارير أمراء المعاصـرين لظهور محمد عبد الوهاب واسـتقرار أول دولة لآل سعود في نجد والحجاز، ترجمة: عقيل خورشا، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٤، ص٢١١-٢١٨.

(١) زكريا قورشـون، العثمانيون وآل سـعود في الأرشـيف العثماني (١٧٤٥-١٩١٤)، الدار العربية للموسـوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٨٥-٨٨.

(٢) إلياس زخورا، مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر، المطبعة العمومية، مصر، ١٨٩٧، ج١، ص٢١-٢٢. فيلكس مانجان، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي عرض الحوادث التاريخية منذ جلاء الفرنســيين حتى عام ١٨٢٣م، ترجمة وتعليق: محمد خير محمود البقاعي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٤هـ، ص٣٠-٣٥.

طوســون، تحرك الجيش من ينبع إلى بدر، واشــتبك مع الوهابيين، وانتهت المعركة بانتصــار طوســون، واحتلاله بدراً ثم اتجه نحو المنطقة التي تحصّــنت فيها فلول الوهابية في وادي الصــفراء حيث بلغ عددها حوالي ثمانية آلاف من الجنود، وكان الوهابيون مســتحكمين بدفاعهم عنها، فقاموا بإطلاق القذائف على الجيش المصري، فتعرضوا لضربات قاسية من الوهابية أدت إلى هزيمتهم؛ فضــلاً عن ذلك عدم التزام القوات الألبانية بأوامر طوسـون[1]؛ مما اضـطر قوات الجيش المصري بالتراجع إلى ينبع، وعندما علم الشريف غالب بما آلت إليه المعركة، انضم إلى الوهابيين، ولكن الوهابية تركت إدارة ينبع إلى قبيلة حرب[2].

راسـل طوسـون أباه محمد علي يخبره عن الهزيمة طالباً منه الإمداد، والمسـاعدة، ومعاقبة القوات التي عارضـته في تنفيذ أوامره، فجهز محمد علي قوة عسـكرية كاملة العدد والعتاد، ومع وصــول القوة العســكرية بقيادة أحمد بونابرت[3] (الخزندار) إلى المدينة المنورة عام ١٨١٢، بدأ طوســون باشــا تنظيم قواته في بدر للزحف نحو المدينة المنورة، بمســاندة القبائل والعشــائر المعارضــة للوهابية، فدخل المدينة منتصـراً بعد حصــار دام أياماً عدّة عام ١٨١٣ حيث أحدث ثغرات في سـورها؛ ويرجع سـبب الانتصــار إلى تعاون القبائل العربية معه، ومسـاندة الشـريف غالب لقوات محمد علي بقيادة طوسـون، عندما سـمح الشـريف غالب للقوات المصـرية بالدخول إلى جدة؛ كونها مرفأً استراتيجياً على البحر الأحمر [4].

تحركت القوات المصرية باتجاه مكة، وانتصرت على الوهابية؛ بسبب مساندة الشريف لها، لكن على الرغم من النصــر الذي حققته القوات المصــرية بقيادة طوســون، كان الوضــع غير مستقر لخضوع قسم كبير من شبه الجزيرة تحت نفوذ سعود بن عبد العزيز، فقرر محمد علي أن يتوجه على رأس جيش إلى المنطقة بعد صــدور فرمان من الباب العالي يطلب منه الذهاب

---

(١) عبد الرحمن الرافعي، عصــر محمد علي، دار المعارف، ط٥، ١٩٨٩، ص ١٢٥-١٢٨. قورشـون، العثمانيون...، ص٨٨-٨٩.

(٢) لوريمر، تاريخ المملكة العربية ....، ص٣٨-٣٩.

(٣) أحمد بونابرت: هو أحمد آغا الخزندار؛ أي المشرف على خزينة الباشا، وهو قائد عسكري مصري أرسله محمد علي باشا لمرافقة ابنه طوسون خلال الحملة المصرية على الحجاز، وعين أميراً على المدينة المنورة، كان أحمد آغا شجاعاً ومقداماً أرسله محمد علي باشا في معركة أخرى لهزيمة المماليك والعرب في شمال السودان؛ وبسبب شجاعته وبطولته في المعارك لقب باســم بونابرت فقبل اللقب بفخر، وأصــبح اســمه أحمد بونابرت. أحمد بونابرت، ويكيبيديا الموســوعة الحرة، ٢٠١٧/٨/١٤، الرابط الآتي:https://ar.wikipedia.org/wiki

(٤) حســن بن جمال بن أحمد الريكي، لمع الشــهاب في ســيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق: عبد الله صــالح العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠٠٥، ص١٩٤-١٩٥. عبد الفتاح حسن ابن العلية، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ١٧٤٤-١٨١٨، دار المريخ، الرياض، ط٢، ١٩٩١، ص٦٨-٦٩.

إلى هناك، وعندما اكتشف أن هناك تعاوناً حصل بين شريف غالب والوهابية ؛ وخصوصاً إن الشريف غالب لا يهتم بمن سيؤول له الحكم، تم نفي الشريف إلى سالونيك للإقامة فيها، حيث توفي متأثراً بمرض الطاعون عام ١٨١٦، وولى على مكة الشريف عبد الله ابن الشريف سرور [١].

على الرغم من استقرار النفوذ المصري في منطقة الحجاز، إلا أن محمد علي استمر في إخضاع الحركة الوهابية بجيشه، وظلت الحروب سجالاً لكن سرعان ما تبدل الموقف لصالحه، وحقق انتصاره إلى حين سماعه خبر هروب نابليون من ألبا؛ مما أثار الخوف والخشية في نفسه من عودة نابليون أو إنكلترا إلى مصر، وخوفه من قيام السلطنة العثمانية بهجوم على ميناء الإسكندرية بسبب الفترة الطويلة التي قضاها في جزيرة العرب، ولاسيما أن أوضاع مصر مضطربة في تلك المرحلة؛ مما حدا به العودة إلى مصر [٢] .

بينما أكمل ابنه طوسون السيطرة على القصيم؛ فطلب ابن سعود الصلح؛ لشعوره بخطورة الموقف وإدراكه قوة جيش طوسون [٣]، ومن أهم بنود الاتفاق:

١-إنهاء الأعمال العدوانية بين الطرفين.

٢-عدم تدخل السلطنة العثمانية في أوضاع نجد وشؤونها.

٣-عدم الاعتداء على الحجاج والقوافل التجارية، مع تأمين طرق المواصلات [٤].

غير أنه مهما كانت الأوضاع التي آلت إليها، فقد أصدر محمد علي قراراً بتولية ابنه إبراهيم بدلاً من طوسون الذي لم يجدد المعاهدة؛ بل قرر استكمال العمليات الحربية ضد الوهابية [٥].

---

(١) محمد الفهد العيس، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، تقديم: حمد الجاسر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٥، ص٩٢-٩٣. السيد رجب، حراز، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠-١٩٠٩، معهد البحوث والدراسات، الرياض، ١٩٧٠، ص١٠٥-١٠٦. أحمد بن زيني دحلان، تاريخ أشراف الحجاز (١٨٤٠-١٨٨٣) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، تحقيق وتحليل: محمد أمين توفيق، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ص٢٢، لوريمر، تاريخ المملكة...، ص٤٠-٤١. رفعت، تاريخ مصر...، ص٩٤-٩٥.الريكي، لمع الشهاب...، ص١٩٩.

(٢) لوريمر، تاريخ المملكة...، ص٦٠-٦١.الريكي، لمع الشهاب...، ص٢٠٠.

(٣) الريكي، لمع الشهاب...، ص٢٠٢.

(٤) سنت جون فيلبي، تاريخ نجد ودعوة محمد عبد الوهاب السلفية، ترجمة: عمر الديسراوي، مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٩، ص١٤٢.

(٥) فيلبي، تاريخ نجد...، ص١٤٣.

ومع قدوم إبراهيم باشا إلى المدينة المنورة، أرسل رسلاً يحملون الهدايا، والوعود إلى العربان، والقبائل العربية من أجل استمالتهم، فنجح بذلك، واتجه إلى نجد بعد حشده قوات كبيرة فسيطر على نجد، ثم أكمل طريقه إلى الدرعية(١).

وبهذا الشكل أنهى وجود الدولة السعودية الأولى ١٨١٨(٢).

أصدر محمد علي في عام ١٨١٩ قراراً يقضي بتدمير مدينة الدرعية، وبذلك انتهت الدولة السعودية الأولى(٣)، وفي عام ١٨٢٠ عين إبراهيم باشا على باشوية جدة المتضمنة "سواكن ومصوّعاً" مكافأة له من قبل السلطان العثماني، لما قدمه من خدمات جليلة للسلطنة العثمانية(٤). خلاصة القول: يجب الأخذ بالحسبان أن لإنكلترا مصالح في منطقة البحر الأحمر؛ لذا حاولت إنهاء الدولة السعودية الأولى مع إضعاف محمد علي من خلال ضرب القوتين ببعضهما، ومن هنا كان انتصار محمد علي في حروبه بالجزيرة، وتعيين ابنه إبراهيم باشا على باشوية جدة بمثابة ضربة قوية لإنكلترا لصالح تصاعد، النفوذ الفرنسي وتناميه في منطقة البحر الأحمر.

٥-أزمة الخليج العربي، والتدخل المصري في الإحساء بأمر من السلطنة العثمانية، وأثره في البحر الأحمر:

لقد ارتبط البحر الأحمر بالخليج العربي ارتباطاً وثيقاً عبر عصور مختلفة، وهذا ما أكده الباحث قدري قلعجي بقوله: **"ولابدّ هنا للإشارة، إلى الدور الخطير الذي مثله البحر الأحمر في الحركة الملاحية، وأثره في الخليج، وانعكاس نفوذ كل منهما على الآخر، بتأثير متبادل**

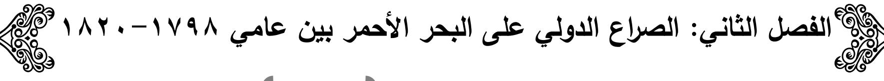
---

(١) الدرعية: تأسست مدينة الدرعية عام ١٤٤٦م على يد عدد من البدو الرحل جاؤوا إلى نجد الوسطى، فقد ذُكِرَ أن قصة الدرعية ترجع إلى ابن درع من دروع بني حنيفة، كان قلقاً بخصوص تدهور عشيرته وتأثيرها بالمنطقة، فقرر إصلاح الوضع، كونه يملك قطاعاً خصيباً من وادي مقسم بين العيينة والدرعية، وسرعان ما اجتذبت الدرعية السكان الجدد، وهكذا أصبحت من المراكز الرئيسة في وادي حنيفة في القرن السادس عشر ميلادي، وفي القرن الثامن عشر قامت الدولة السعودية الأولى ١٧٤٤-١٨١٨ في الوقت الذي كانت المنطقة تعيش حالة ضعف وعدم استقرار سياسي، وهذا مهد الطريق أمام التحالف بين صاحب الحركة الوهابية محمد بن عبد الوهاب وأمير الدرعية محمد بن سعود الذي تولى الإمارة بعد وفاة زيد بن مرخان الذي قتل على يد منافسيه وهو على مقعد الاستقبال، وبذلك نجح محمد بن سعود في الحصول بالتفاوض على تعهد الأمان له ولرجاله، وتراجع إلى الدرعية التي تولى حكمها، وأخرج منها آل وطبان. وليام، فيسي، الدرعية والدولة السعودية الأولى، مؤسسة التراث بالتعاون مع مركز لندن للدراسات العربية، رياض-كنغستون تشرتش ستريت، ١٩٩٩، ص٥٨-٦٣.

(٢) الريكي، لمع الشهاب...، ص٢٠٤-٢١٠. لوريمر، تاريخ المملكة...، ص٦١-٦٥.دحلان، أشراف الحجاز...، ص٢٢.

(٣) فيلبي، تاريخ نجد...، ص١٥٧.

(٤) محمد، الصراع...، ص٥٠.



وعلاقات متشابكة، فكانا رهاناً على الصعيد الملاحي، وإن طغت حركة مد من جانب، قابلتها حركة جزر من الجانب الآخر؛ لارتباطهما بخطوط الملاحة الواحدة التي تصل الشرق بالغرب، وتحمل منتوجات هذا إلى ذاك، وخيرات ذاك إلى هذا، ولتشابه موقعهما الجغرافي، إذ كان لهما امتدادا للمحيط الهندي، واحتضانٌ لأراضي شبه الجزيرة العربية، كما أنهما نقطتا الوصل بين حوض البحر المتوسط والمحيط الهندي" [١].

إذاً نرى مما سبق أن من يسيطر على الخليج العربي، ومداخل البحر الأحمر، يتحكم بشريان التجارة بين الشرق والغرب؛ لذا وجدت إنكلترا مع بداية القرن التاسع عشر أن عليهم إحكام قبضتهم على المنطقة، بما يناسب طموحاتهم الاستعمارية، ومن أهم الشخصيات المشاركة في رسم هذه السياسة: جون مالكولم أحد ضباط الجيش البريطاني في الهند، وأصبح فيما بعد حاكم بومباي، فقد اقترح مخططاً للسيطرة على الخليج العربي، وأهم ما جاء فيه[٢]:

١-اقتضت مصلحة إنكلترا إضعاف الحكومات في بلاد فارس، والجزيرة العربية، والدولة العثمانية الشرقية؛ لاستخدامها بما يناسب مصلحتها، ثم وضعها تحت سيطرتها.

٢-تشكيل قاعدة لإنكلترا في الخليج العربي؛ من أجل تصريف بضائع إنكلترا، ومكان لإجراء المباحثات السياسية، وتخزين الأسلحة، وبذلك يتم ربط المنطقة بالسياسة الإنكليزية وإبعاد الدول الأوروبية المنافسة عن المنطقة.

٣-اتباع إنكلترا أسلوب فَرِّق تسد في تعاملها مع حكومات الخليج العربي؛ من أجل حماية نفسها من المقاومة الشعبية والتخلص منها [٣].

مما سبق يتضح أن أسباب اندلاع الأزمة ترجع إلى جوانب عدة: منها ما يتعلق بعجز الحكومات العربية عن معالجة الوضع؛ لكون طاقات العرب مبعثرة ضد التآمر الاستعماري، ينقصها توحيد الجهود من أجل المصلحة العربية المشتركة، ولكن النزاع الدائم من أجل السلطة والتوسع؛ أدى إلى التشرذم والضياع.

وإذا قمنا بعملية إسقاط للمراحل التي مرّ بها الخليج العربي، نجد أن من أهم القبائل العربية التي ظهرت على مسرح الأحداث، وقاومت وجود إنكلترا القواسم، وهم قبائل عربية اعتنقت الوهابية؛ نتيجة توسع الدولة السعودية الأولى، وسيطرتها على نجد، والحجاز، والخليج

---

(١) قلعجي، الخليج العربي...، ص٤٠.

(٢) توما نوفيتش، الدول الأوروبية...، ص١٢٧-١٢٨-١٣٢-١٣٣.

(٣) توما نوفيتش، الدول الأوروبية...، ص١٣٤-١٣٥.

العربي؛ خصوصاً منطقة الإحساء[١]، وشكلت الدولة السعودية الأولى، بعد أن انتزعت مناطق عدة كالبحرين وعمان؛ الأمر الذي أدى إلى إنهاك إنكلترا ؛ بسبب دفاعها المستميت عن الخليج، فقد أضعفوا تجارة إنكلترا، وهددوا مراكز تواجدها [٢]، وعندما سقطت الدرعية على يد محمد علي قرر إكمال الطريق باتجاه الخليج العربي؛ نظراً للأهمية الاستراتيجية لشبه الجزيرة العربية والخليج العربي على البحر الأحمر[٣]، ومما تقدم يمكن أن نطرح الأسئلة التالية:

هل كانت إنكلترا مستعدة للتخلي عن شبه الجزيرة العربية والخليج العربي، أو أنها حالت دون وصول محمد علي وقواته إليها بعد تنفيذ مخططاتها في المنطقة؟ بخاصة إذا أُخِذ بالحسبان، أن إنكلترا وجدت في قضاء محمد علي على الدولة السعودية الأولى وتدمير الدرعية على يد ابنه إبراهيم باشا انتصاراً كبيراً على الدولة الوهابية التي هددت كيان إنكلترا.

ويمكن القول: إن إنكلترا حاولت إحكام قبضتها على مقاليد الأمور في شبه الجزيرة، والخليج العربي، وليس السماح لمحمد علي بمد نفوذه، ودليل ذلك أنها حاولت ضرب القوى العربية ببعضها، حيث أرسل حاكم بومباي بعثة إلى إبراهيم باشا مقدماً له التهاني في توسعاته في منطقة الجزيرة العربية، وطلب منه إرسال حملة أخرى مدعومة من إنكلترا؛ للقضاء على القواسم وأخذ الإحساء [٤].

بناءً على ما تقدّم، وبموجب الأوضاع السائدة في تلك الفترة، لماذا لم تتدخل السلطنة العثمانية بشكل مباشر؟ ويضاف إلى ذلك أن ازدياد نفوذ محمد علي، بعد سيطرته على الخليج العربي، وهي المنافذ الحيوية على البحر الأحمر، سيوقع السلطنة العثمانية بمأزق خطير، ويهدد كيانها.

---

(١) الإحساء: تعد الإحساء إحدى المقاطعات العثمانية، وتقع على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة العربية. محمد حسن العيدروس، السياسة الإدارية في سنجق الإحساء العثماني، دار المتنبي للطباعة والنشر، د.ت، ص٩.

(٢) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي دراسة وثائقية، دار المريخ، الرياض، ط١، ١٩٨١، ص١١٣. محمد حسن العيدروس، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨، ص١٣١-١٣٣.

(٣) العيدروس، تاريخ الخليج...، ص١٢٧.

(٤) انظر الرسالة المرسلة من مبعوث حاكم بومباي لإبراهيم باشا التي كتبت في٢/ ١٨١٩/١١ ورسالة أخرى أرسلها حاكم بومباي أيضاً بنفسه ٥/ ٤ /١٨١٩.ج. فورستر سادلير، مذكرات عن رحلة الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩، ترجمة: أنس الرفاعي، تقديم: عباس منصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣، ص١٦٠-١٦٣.

يمكن الإجابة عن ذلك، بعد عرض سـريع لمجرى الأحداث، ولاسـيما بعد رفض حاكم عمان سعيد بن سلطان مساندة محمد علي، مع أن حاكم بومباي أرسل رسالة له يحثه فيها على التعاون مع قوات إبراهيم باشا، ويطلعه على التطورات التي تم بحثها من أجل تعاون مشترك(١).

في أثناء حصـار الدرعية من قبل قوات إبراهيم باشـا، هرب زعماء بني خالد (محمد وماجد) ولدا العريعر، وطلبا منه السيطرة على الإحساء بعد سقوط الدرعية؛ لوقوعها على البحر الأحمر، وكونها مركز الانطلاق نحو السيطرة على الخليج العربي، لذا أرسل إبراهيم باشا رسالة إلى أبيه يقول فيها:"... **وصلت مكاتبتكم السامية وحيث إنكم تفضلتم وذكرتم بوجه التأكيد، أنه احيلت إلى عهده عبدكم .... وضـع القصـيم والأقاليم الأخرى الكائنة فوقنا تحت نظارتنا، وإدخال الحسا (الإحساء) تحت طاعة السلطان... وبعد فتح الدرعية بتوفيق الله تعالى يكون ضـبط الحسـا(الإحسـاء)، وميناء قديف (قطيف)، وانتزاعهما من يد الخوارج من المسـائل الطبيعية. كما أنه سيحصل العلم بالتمام بكل أمر من أمور الأقاليم**"(٢).

إزاء المسـتجدات التي طرأت في منطقة الجزيرة العربية والخليج، أدرك والي العراق داوود باشـا (١٨١٤-١٨٣١) خطورة الموقف خصـوصـاً، أن الإحسـاء ترتبط بالعراق إدارياً، ومن مخططات داوود باشا توحيد العراق من كردستان إلى الموصل والبصرة بيد الحكم المركزي في بغداد، كما أن وجود جيش آخر كجيش محمد علي له تبعات خطيرة على السـاحة الإقليمية خشية من وقوع صدام دامٍ بين الجيش التابع للوالي المصري وبين الجيش التابع للحكم المملوكي في العراق، علماً أن محمد علي قد قضى على المماليك في مذبحة القلعة في مصر، ومن جهة أخرى قد يستخدم السلطان العثماني محمود الثاني والي مصر محمد علي للقضـاء على والي العراق داوود باشـا إذا أراد ذلك(٣)؛ مما دفع والي العراق إلى إرسـال محمد وماجد ابني عريعر مع بعض العشـائر كبني خالد، والمنتفق، والعشـائر المناوئة لآل سعود إلى الإحسـاء بقصـد السيطرة عليها، وما إن دمّر إبراهيم باشا الدرعية، أرسل قوات مصرية بقيادته لمساندة الجيش وإمداده الذي أرسله الوالي العراق، من أجل أن يلبي وعده إلى لآل العريعر(٤).

---

(١) انظر الرسالة المرسلة من حاكم بومباي إلى سلطان مسقط بتاريخ ١٢/ ٤/ ١٨١٩. سادلير، مذكرات ....، ص١٦٤.

(٢) وثائق عابدين، مكاتبة من إبراهيم إلى والده بتاريخ ٩/ رمضـان /١٢٣٣هـ. محمد عرابي نخلة، تاريخ الإحسـاء السياسي، منشورات ذات السلاسل، كويت، ١٩٧٤، ص١٥.

(٣) محمد حسن العيدروس، السياسة العثمانية في الخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دار المتنبي للطباعة والنشر، ط١، د.ت، ص٢٦.

(٤) العيدروس، السياسة العثمانية...، ص٢٨-٢٩.

وهذا ما أكده الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي المعاصر للأحداث بقوله:"**وذلك أن الباشا لما استولى على الدرعية واستقر فيها، سار من عنده ماجد بن عريعر الذي أبوه رئيس الإحساء وبني خالد بالسابق، ومعه أخوه محمد بن عريعر، فاستوليا على الإحساء، واستقرا فيها، ثم سار محمد بن عريعر من الإحساء إلى القطيف، وتسلمها واستوليا عليها، فلما كان بعد أيام بعث الباشا عسكراً إلى الإحساء نحو مائتين وأربعين وفي مقدمتهم محمد كاشف، فساروا إليه مع عبد الله بن عيسى بن مطلق صاحب الإحساء، وأمرهم الباشا بجمع بيت المال، وجميع ما كان لآل سعود في الإحساء...**"(١).

وهكذا استطاعت القوات المصرية السيطرة على الإحساء، ووضع حاميات مصرية عليها؛ مما هيأ لمحمد علي فرصة الحصول عليها، ورفع يد والي العراق عنها، كما أقام حامية في القطيف تحت إمرة خليل آغا، ورتب أحوال نجد على شاكلة الإحساء، وترك فيها أحد ضباطه إسماعيل بك نائباً للحاكم، كما أرسى دعائم الحكم في الحجاز؛ ومحدثاً بذلك انقلاباً نوعياً في معادلات والي العراق داوود باشا، عندما حاول إفشال مساعي محمد علي عندما طلب من السلطان العثماني إصدار فرمان بانسحاب القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا من الإحساء، وتسليمها إلى حكامها من آل عريعر التابعين إدارياً إلى والي العراق، ووافق السلطان العثماني على إصدار الفرمان؛ لمنع تغلغل نفوذه والسيطرة على البحر الأحمر(٢).

ومن ناحية أخرى، يمكن القول: إن حكومة بومباي التي كانت جزءاً من تقسيمات شركة الهند الإنكليزية، اهتمت بالقسم الغربي من المحيط الهندي؛ لذا دخل الخليج العربي والبحر الأحمر دخل في مضمار نفوذها، ومن هنا لن تسمح بوجود قوات لها تأثير في المنطقة، وستضيِّق الخناق عليهم، كما فرضت حكومة بومباي سيطرتها العسكرية والسياسية على المنطقة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر(٣).

وبالتالي نجد أن السلطنة العثمانية فشلت في السياسة التي اتبعتها تجاه الخليج العربي؛ لأنها لم تقترب من السكان، بل اعتمدت على ولاتها في التخلص من الخطر الوهابي حيث كان جل همّها الحصول على الضرائب، والإتاوات، في الوقت الذي بدأت تنهار فيه السلطنة

---

(١) عثمان بن عبد الله بن بشر، المجد في أحوال نجد، تعليق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ٢ج، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٤، ١٩٨٢، ج١، ص٤٢٩-٤٣٠.

(٢) العيدروس، السياسة الإدارية ....، ص١٧-١٨.

(٣) جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ٥مج، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦، مج١، ص٢٠-٢١.

العثمانية؛ نتيجة ظهور المسألة الشرقية، وبداية فرض سيطرة الدول الأوروبية، ولاسيما إنكلترا التي فرضت نفوذها على الخليج العربي والبحر الأحمر سواء بالترغيب أو الترهيب.

ثالثاً-النشاط المصري على الساحل الغربي للبحر الأحمر:

بدأت بوادر تعاظم قوة محمد علي بعد سيطرته على الحجاز وإكمال مابدأه في سياسته الرامية للاحتفاظ بولاية مصر، وتقويتها، والدفاع عنها، والتوسع على حساب الدول المجاورة؛ مستغلاً فترة ضعف السلطنة العثمانية؛ وبالتالي كان عليه التوسع باتجاه السودان بعد إنهائه الدولة السعودية الأولى.

١-حملة محمد علي على السودان ١٨٢٠، ونتائجها على المنطقة:

سعى محمد علي إلى توسيع دائرة نفوذه باتجاه جنوب مصر، والساحل الغربي للبحر الأحمر، بعد أن أخذ الأراضي الحجازية الموجودة في الشرق، وهنا بدأ تحركه، فسيطر على واحة سيوة لتأمين حدوده الغربية عام ١٨٢٠[١].

في البداية حاول محمد علي باشا جمع المعلومات بشأن أوضاع السودان ودراستها، فقد أرسل وفداً إلى سلطان الفونج محملاً بالهدايا ومعبراً عن صداقته، ولكن في نفسه، إدراك للحالة الاجتماعية والسياسية للسودان، كونها ضعيفة وخالية من السلاح[٢].

وبالتالي ماهي الأسباب والدوافع التي جعلت محمد علي يقوم بحملته على السودان؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بالآتي:

١-التخلص من المماليك الهاربين من مذبحة القلعة؛ خوفاً من ازدياد خطرهم على ولايته.

٢-الحصول على مناجم الذهب والفضة المنتشرة بكثرة في السودان؛ فضلاً عن الثروات الطبيعية ومنتجاتها.

٣-تُعدّ السودان الامتداد الطبيعي لمصر مشكلة معه وحدة وادي النيل، والسيطرة عليه يعني السيطرة الكاملة على وادي النيل؛ لحماية الأراضي الجنوبية في مصر من مناوشات القبائل؛ فضلاً عن سيطرته على البحر الأحمر بعد حصوله على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وذلك عندما أنهى الحركة الوهابية.

---

(١) ضرار صالح ضرار، تاريخ السودان الحديث، مكتبة الحياة، بيروت، ط٤، ١٩٦٨، ص٢٢.

(٢) عصام عبد الفتاح، حكاية مؤسس مصر الحديثة الحلم والتجربة ورجل سبق عصره أيام محمد علي عبقرية الإرادة وصناعة التاريخ، الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣، ص١٠٧.

٤-استحضار عدد من العبيد والرجال الأشداء الأقوياء من السودان؛ من أجل انضمامهم لجيشه، حيث عرف عنهم الشجاعة، والطاعة العمياء لقائدهم وبنيتهم القوية [١].

٥-تأمين منابع المياه، ولاسيما أن إنكلترا كانت تسعى مع الدول الأوروبية والحبشة إلى تحويل المياه؛ لذا قرر محمد علي إرسال حملة للتمكّن من السيطرة على منابع النيل[٢].

٦-التخلص من متاعب جنده الأرناؤوطيين لعدم موافقتهم على إعادة بناء جيشه من جديد على النمط الأوروبي، فأراد التخلص منهم عن طريق زجهم بحروب يبعد متاعبهم عنه، وفي الوقت نفسه يحقق انتصارات تلبي طموحاته [٣].

كلف محمد علي باشا ابنه إسماعيل بقيادة الحملة إلى السودان، وبلغ عدد قواته حوالي ٥٤٠٠ جندي، و ٢٤ مدفعاً، وأعد جيشاً آخر بقيادة صهره محمد بك الدفتردار، وفيها حوالي ٤٠٠٠ جندي مع عشرة مدافع لفتح كردفان، ومع الحملة ٣ علماء لدعوة الناس للقبول بالحكم المصري[٤].

اجتمعت الحملة في أسوان[٥] بعد أن أكملت استعداداتها، سارت باتجاه بلاد النوبة، وهناك أراد حاكمها حسين الكاشف أن يدافع عنها، ولكن أخاه رفض القتال، فلم تلقَ الحملة أي مقاومة؛ بل هرب حاكمها إلى كردفان، فعين أخاه حسناً حاكماً عليها، وأكمل إسماعيل طريقه إلى دنقلة[٦] وفي طريقه امتثل له حكام البلاد ومشايخها سلمياً.[٧] ثم تابع طريقه إلى جنوب دنقلة

---

(١) سليمان الغنام، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا(١٨١١-١٨٤١) قراءة جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٤، ص٦٤. محمد عبد الفتاح أبو الفضل، الصحوة المصرية في عهد محمد علي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٩، ص٩٤. ثابت، محمد...، ص٧٥.

(٢) عبد الفتاح، حكاية مؤسس ...، ص١٠٨.

(٣) نعوم شقير، تاريخ السودان، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١، ص١٩٤.

(٤) عبد الله حسين، السودان من التاريخ القديم إلى البعثة المصرية، ٤أجزاء، مطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٥، ج١، ص٨٧.

(٥) أسوان: تعد من أكبر المدن على حدود مصر في الجنوب قرب الشلال الأول، واسمها المصري القديم سوان. واصف بك، معجم الخريطة...، ص١٠.

(٦) دنقلة: مدينة بالسودان جنوب جندل النيل الثالث مباشرة تقع على بعد ١٤٠ كم إلى الجنوب منها كانت دنقلة القديمة عاصمة المملكة المسيحية أو مملكة المقرة، استولت عليها مصر في عام ٦٢٥ لفترة زمنية قليلة، ثم تمكّنت من الاستيلاء عليها من جديد ١٢٧٥، واعتلى عرش الحكم أول حاكم مسلم تابع للمماليك في ١٣١٦.فاستقل الذي خلفه عام ١٣٢٥، فأعادت مصر السيطرة عليها ١٣٦٦، وهجرت العاصمة، وحكم المماليك الفارون دنقلة عام ١٨١١-١٨٢٠، وقعت بيد المهدية عام ١٨٨٥-١٨٩٦.سكانها نوبيون تأثروا بالعرب الذين يحيطون بهم من كل جهة. مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية...، مج٣، ص١٥٢٣.

(٧) شقير، تاريخ...، ص١٩٦-١٩٧.

في بلاد الشايقية، وبالقرب من كورتي الموجودة على الشاطئ الغربي للنيل اجتمع المقاتلين ضد الحملة المصرية، ولكن استطاع إسماعيل باشا بعد قتال عنيف الانتصار عليهم بعد إحراقه لمدينة كورتي[١]، ثم اتجه إلى بربر عام ١٨٢١عبر صحراء بيوضة، واجتاز النيل للوصول إلى بربر، حيث أقدم إسماعيل باشا على احتلال بربر، وإخضاع حاكمها لسلطة المصرية، ولم يكتف بذلك، أكمل طريقه إلى شندي بعد الحصول عليها استمر بمسيره مع جيشه إلى حلفاية بالقرب من مدينة الخرطوم، واحتل أم درمان، ووادي مدني، وسنار عام ١٨٢١[٢].

بينما تقدمت قوات الجند بقيادة صهر محمد علي اسمه محمد بك الدفتردار نحو جنوب دنقلة إلى بلدة بارة شمالي الأبيض[٣]، وفيها حصلت معركة عام ١٨٢١، وانتهت بهزيمة سلطان دارفور[٤]، ولكن تعرض هذه الحملة للكثير من الأمراض، والأوبئة، وقلة المؤن، وأدى ذلك إلى موت الكثير من الجنود، فلجأ إسماعيل باشا إلى والده محمد علي طالباً الدعم له، فأرسل محمد علي ابنه إبراهيم باشا لإنقاذ الوضع [٥].

وفي خضم الأحداث، تقرر تقسيم الجيش بين الأخوين، القسم الأول: بلغ حوالي ١٥٠٠بقيادة إسماعيل باتجاه النيل الأزرق للسيطرة عليه، والقسم الثاني: بلغ حوالي ١٢٠٠ بقيادة إبراهيم باشا باتجاه الدنكا، والنيل الأبيض، وأعاليه [٦].

---

(١) السيد فرج، حروب محمد علي، مطبعة التوكل، مصر، ١٩٩٩، ص٧٧. شقير، تاريخ...، ص١٩٧-١٩٨. ثابت، محمد...، ص٧٦. ضرار، تاريخ ...، ص٢٨-٢٩.

(٢) حسين، السودان ...، ج١، ص٨٧. ثابت، محمد ...، ص٧٦. فرج، حروب...، ص٧٧.

(٣) الأُبيّض: مدينة تجارية وزراعية تقع في وسط السودان، وشمالي كردفان، ومن أهم المنتجات الصمغ، والسمسم حالياً تتميز بمطارها الدولي؛ فضلاً عن جامعة كردفان التي تأسست عام ١٩٩٠. مجموعة مؤلفين، الموسوعة ...، مج١، ص٧٩.

(٤) دارفور: إقليم غرب وسط السودان، يشترك في حدوده مع ليبيا وتشاد، حكم الإقليم من أقدم العصور حتى القرن الرابع عشر زنوج الداجو، وخلفهم التنجور العرب الذين حملوا إليها الإسلام قادمين من بورنو ووادا، وكان أول سلاطينهم أحمد المعقور، وامتدت سلطة الفور إلى النيل، وعطبرة أوائل القرن الثامن عشر، دخلت في حروب مع سنار وواداي أدت إلى اضمحلالها، واتخذ السلطان عبد الرحمن من الفاشر عاصمة للسلطنة، استولى الزبير باشا على دارفور باسم مصر ١٨٧٥مجموعة مؤلفين، الموسوعة ...، مج٣، ص١٤٧١.

(٥) فرج، حروب...، ص٧٨.

(٦) حسين، السودان...، ج١، ص٨٨. شقير، تاريخ...، ص٢٠٣.

سار إبراهيم باشا إلى منتصف الطريق، ولكنه عاد إلى مصر؛ بسبب مرض أصيب به بينما أخوه إسماعيل تابع طريقه إلى بلاد فازوغلي، وأخضعها بعد أن فرض عليها جزية، ثم اتجه إلى بني شنقول للحصول على مناجم الذهب، حيث حصلت عمليات بحث دقيقة [١].

كانت ظروف أهالي السودان سيئة؛ نتيجة فرض الضرائب الباهظة عليهم، والقسوة التي استخدمها الجنود ضدهم وحصلت تمردات كثيرة في سنار؛ مما اضطر إسماعيل باشا التوجه لإخماد الثورة، ولاسيما بعد تمرد أهالي شندي وحلفا[٢].

ما لبث أن استدعى إسماعيل باشا ملك شندي الملك نمراً، حيث وبَّخه، وفرض جزية عليه بإرسال كمية من الرقيق والذهب، تظاهر ملك شندي بالانصياع لإسماعيل باشا، واستدعاه لحضور حفلة في قصره، وقتل إسماعيل باشا نتيجة الحرق[٣]، وعندما علم صهره الدفتردار بما آلت له الأمور، أقسم على الانتقام لإسماعيل فاتجه إلى مدينة شندي، ودمرّها على بكرة أبيها، وأعاد النظام، ووطدّ أركان الدولة في السودان، وأنشأت مدينة الخرطوم وجعلها قاعدة الحكم[٤].

يبدو أن محمد علي حقق تفوقاً واضحاً، حيث أثارت انتصاراته التي وصلت إلى السودان[٥] مخاوف الدول الأوروبية، وخصوصاً أن مصير تجارتهم، ومصدر ثروتهم ستصبح بيد محمد علي، ولاسيما بعد تغلغله في مناطق البحر الأحمر، فيقول الباحث وليد محمد جرادات بهذا الصدد:" **وكانت سيطرة مصر على سواحل البحر الأحمر كافة وتحوّله إلى بحيرة خاضعة لمحمد علي مدعاة لتفكيره في تنشيط الحركة التجارية والملاحية فيه وإعادة أمجاده السابقة كطريق رئيس لحركة التجارة البحرية بين الشرق والغرب ونجح إلى حد بعيد في بعث الحركة الملاحية في النصف الشمالي من ذلك البحر بعد أن كان يشهد فترة من الركود المميت خلال القرون الماضية وأصبحت السويس تستقبل سلع الجزيرة العربية وشرق إفريقية واحتكر المصريون حركة التصدير**" [٦].

---

(١) محمد فؤاد شكري، الحكم المصري في السودان (١٨٢٠-١٨٨٥)، دار الفكر العربي، ١٩٤٧، ص٢٤.ضرار، تاريخ...، ص٤٣-٤٤.

(٢) شكري، الحكم...، ص٢٤-٢٥.

(٣) ضرار، تاريخ ...، ص٤٦-٤٧.

(٤) شكري، الحكم...، ص٢٥-٢٧.

(٥) سيطر محمد علي على السودان ماعدا دارفور، حيث استطاع الزبير باشا ضمها إلى الحكم المصري عام ١٨٧٥.محمود، شاكر، السودان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨١، ص٢٣.

(٦) جرادات، الأهمية الاستراتيجية...، ص١٣٧.

لهذا ســـارعت الدول الأوروبية فيما بعد لمجابهة الموقف؛ كونها عدت امتداد نفوذ محمد علي هو امتداد لنفوذ فرنســـا، لإدراكها للخطر الذي يحققه هذا الوالي الطموح على طريق الهند درة التاج الإنكليزي، والخوف من سيطرته على هذا الطريق في ظل ضعف السلطنة العثمانية[1].

أخيراً يرى البحث أن والي مصــر محمد علي حاول القيام بمشـروعه في السـودان؛ لتأمين البلاد وتحصــينها والدفاع عنها باســتجلاب الجنود من الســودان ضــد الغزو الأوربي، وتمويل حركته الإصلاحية في مصر باستغلال الذهب، والتجارة والحاصلات الآتية من السودان، وإكمال طريقه في السيطرة على البحر الأحمر.

(١) صلاح، العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت، ص١٤٣.

الفصل الثالث:

الصراع الدولي على البحر الأحمر بين عامي ١٨٢٠-١٨٤١

أولاً-الأوضاع الدولية والإقليمية التي أثرت في التوسع المصري على شبه الجزيرة العربية:

١- حروب الشام الأولى وأثرها في الوضع العام(١٨٣١-١٨٣٣).

٢- أثر التوسع المصري في الحجاز وثورات الجند غير النظامية.

٣- أثر التوسع المصري في نجد وتشكل الدولة السعودية الثانية.

٤- تطورات الموقف المصري في سيطرته على اليمن.

ثانياً-التنافس الأوروبي في عدن وجنوب البحر الأحمر:

١- الخطوات الأولى لاستيلاء إنكلترا على عدن.

٢- استيلاء إنكلترا على عدن ومواقف الدول الأوروبية منها.

ثالثاً-المعاهدات التي أسهمت في تعزيز الوجود الأوروبي في المنطقة:

١- معاهدة بلطة ليمان ١٨٣٨.

٢- معاهدة لندن ١٨٤٠.

تأثر البحر الأحمر بالتحالفات السياسية خصوصاً بعد الحملة الفرنسية على مصر التي من خلالها حاولت فرنسا الاستحواذ على البحر الأحمر، ولكنها فشلت بتحقيق أهدافها وذلك؛ بسبب الترتيبات التي وضعتها إنكلترا مع السلطنة العثمانية، ومقاومة الأهالي. وفي تلك الفترة ظهر على الساحة الدولية -كما رأينا في الفصل السابق-شخصية محمد علي باشا الذي بسط سيطرته على مصر، ثم أكمل طريقه إلى الحجاز، والخليج العربي، والسودان؛ مما شكل تهديداً خطيراً لموقع إنكلترا على البحر الأحمر، فبدأت الدسائس والمؤامرات لضرب نفوذه في المنطقة مع الحركة الوهابية، والقبائل العربية الموجودة في الخليج العربي. ومن هنا أدرك محمد علي خطورة الموقف، فتابع إكمال تنظيم جيشه لتعزيز قواته؛ فضلاً عن اهتمامه بالشؤون الداخلية.

وسيتناول هذا الفصل تطوراً تاريخياً يتعلق بطلب السلطان محمود الثاني من والي مصر محمد علي الذهاب إلى بلاد اليونان ليخمد ثورة أهلية؛ مما يدفع إلى التساؤل إزاء ذلك هل سيقبل والي مصر محمد علي إخماد الثورة في اليونان من دون مقابل؟ وهل سيقبل السلطان بمطالبه، وما تأثير ذلك على أوضاع البحر الأحمر؟ حيث من الصعوبة بمكان السماح لوالٍ من الولاة التوسع والامتداد على حساب الأراضي العثمانية، أما فيما يخص اليمن والسودان وبلاد الشام، سيتم تتبع مجرى الأحداث وتطوراتها والتحولات التي أصابت الأوضاع في البحر الأحمر، وسنرى ما دور المنافسات الأوروبية والإجراءات التي قامت بها من أجل إحكام قبضتها على المنطقة سواء بالترغيب أو الترهيب؟

أولاً-الأوضاع الدولية والإقليمية التي أثرت في التوسع المصري في شبه الجزيرة العربية:

١-حروب الشام الأولى وأثرها في الوضع العام(١٨٣١-١٨٣٣):

أراد محمد علي استغلال موارد بلاد الشام الاقتصادية؛ من أجل إكمال مشروعه في الحصول على مواد الخام؛ لارتباطها بالصناعة التي يعمل عليها الفحم الحجري من جبل لبنان؛ فضلاً عن ذلك المعادن الثمينة التي شكلت عوناً كبيراً في تنفيذ مشاريعه، علاوة عمّا سبق حاجاته للأخشاب من لواء إسكندرونة[1] لبناء أسطوله البحري سواء التجاري منه، أو الحربي؛

(١) إسكندرونة: تقع على البحر المتوسط جنوب غرب تركيا وكانت منفذاً لحلب حتى عام ١٩٣٧. الموسوعة العربية، مج١، ص١٥٢.

وفضلاً عن ذلك الاستفادة من الطريق التجاري الذي يمر عبر بلاد الشام كالحرير، والصابون، والطباق والخيول [١].

تتالت مطالبات محمد علي في الحصول على بلاد الشام تعويضاً عن خسائره في حرب المورة [٢]، وجاءت البدايات خلال حربه مع الحركة الوهابية بناءً على فرمان من السلطان العثماني، فطلب محمد علي منه أن يعهد إليه بولاية الشام، وذريعته كانت من أجل معاونته في قتال الوهابيين [٣]، ثم أكمل نحو السودان، وانشغل بالحرب اليونانية، فما إن انتهى عمله على تنفيذ مخططه[٤] توقع محمد علي في البداية أن إنكلترا لن تقف بطريقه كونها منشغلة في مجابهة مطامع فرنسا من جهة، وروسيا من جهة أخرى، وأنها سوف تسانده لمجابهة روسيا وفارس[٥] فيما بعد لكن إنكلترا اتبعت سياسة الحفاظ على السلطنة العثمانية من التقسيم بذلك تلاقت مصالحها مع روسيا [٦]. بينما الأسباب المباشرة: منها ما يتعلق بسوء العلاقات بين

---

(١) لطيفة محمد السالم، الحكم المصري في الشام ١٨٣١-١٨٤١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٠، ص٢٠-٢١.

(٢) الضيقة، دولة محمد علي...، ص١٦٣.

(٣) أشارت وثيقة رقم ٤٣ إلى طلب محمد علي ولاية الشام ليوسف كنج الشاب مع إطلاقه والإفراج عنه، وإبعاد سليمان باشا من إيالة دمشق. لمزيد من المعلومات انظر دار الوثائق القومية، القاهرة، رجاء توجيه إيالة الشام لعهدة يوسف باشا كنج الشاب مع إطلاقه والإفراج عنه، دفتر رقم ١ معية تركي، صفحة رقم ٤٧، وثيقة رقم ٤٣، بتاريخ ٢٥شعبان ١٢٢٥هـ/ ٢٥سبتمبر ١٨١٠م. محمد رفعت عبد العزيز، الجيش المصري وحروب الشام الأولى(١٢٤٧-١٢٤٨/١٨٣١-١٨٣٣م) دراسة في ضوء وثائق عابدين، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٠، ص٦٣-٦٥.فرج، حروب...، ص١٢١.

(٤) الرافعي، محمد...، ص٢١٩.

(٥) أشارت وثيقة رقم ١١على سبيل المثال: إلى أن والي بغداد داوود باشا أرسل رسالة إلى الصدر الأعظم العثماني، تحدث فيها عن تمركز القوات العسكرية الإيرانية على بعد ٨فراسخ من بغداد، وقتلهم لمجموعة الأكراد المتمردين في كردستان، الوثيقة رقم ١١، بتاريخ ٢٥المحرّم ١٢٣٨/١١-١٠-١٨٢٢. ايران/وزارت امور خارجى/دفتر مطالعات سياسى وبين المللى/واحد نشر اسناد. "گزيده اسناد سياسى ايران وعثمانى: دوره قاجاريه." طهران، ١٩٩٠، ١٣٠وفي وثيقة أخرى رقم١٥ أشارت إلى أن والي بغداد داوود باشا أرسل رسالة إلى رؤوف باشا في المنطقة الشرقية تحدث فيها عن عدم مغادرة القوات العسكرية العثمانية مكانها حتى يتم تنفيذ بنود المعاهدة كاملة مع إيران الوثيقة رقم١٥، بتاريخ ١١صفر ١٢٣٩/١٦-١٠-١٨٢٣م. ايران/وزارت امور خارجى/دفتر مطالعات سياسى و بين المللى/واحد نشر اسناد. "گزيده اسناد ...، ص١٣٥. نلاحظ من الوثائق التالية محاولات فارس التوسع باتجاه أملاك السلطنة العثمانية؛ مما أثار مخاوف إنكلترا.

(٦) عبد العزير سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٤٢.

محمد علي ووالي عكا عبد الله باشــا الجزار؛ بسـبب هجرة حوالي سـتة آلاف من الفلاحين من مصر إلى فلسطين، ورفض والي عكا إعادتهم إلى مصر، وعدم وفائه لدين عليه عندما غضب السـلطان بعد تمرده مرتين[١]؛ فضــلاً عن طموحات محمد علي في بلاد الشــام حيث أكد ذلك بقوله:" **الشام لازمة لسلامة مصر**"؛ بمعنى أن السيطرة على الشام سيمنع السلطنة العثمانية من أخذ مصر منه[٢].

بعد المحادثات التي جرت بين محمد علي باشــا وعبد الله باشــا الجزار أعلن محمد علي أنه سيتم إرجاع الفلاحين الهاربين إلى الأراضـي المصرية؛ وهذا بمثابة تصريح لإعلان الحرب، وكان من الطبيعي القتال بين الولاة؛ لذلك في البداية لم تعول السـلطنة العثمانية على تحركات محمد علي ضد والي عكا عبد الله باشا [٣].

وعلى إثر ذلك انتهت حرب الشـام الأولى بتوسـيع نطاق ولاية مصر، وبسط نفوذها على سـورية وأضـنة، والاعتراف بسـلطتها على كريت وجزيرة العرب، بعد أن أصـدر السـلطان فرماناً بتجديد ولاية إبراهيم باشــا على جدة مع مشــيخة الحرم المكي. ولكن قيصـر روسـيا أبرم مع السلطان العثماني معاهدة سرية دفاعية هجومية هنكار إسكله سي ١٨٣٣، ومن أهم بنودها: أن تتعهد روســيا بحماية الدولة العثمانية من اعتداء أي دولة في مقابل إغلاق الدردنيل في وجه جميع الدول [٤].

---

(١) في عام ١٨١٩ تولى عبد الله باشا ولاية صيدا، وتولد نزاع بينه وبين والي الشام درويش باشا الذي انتهى بصدور فرمان من السلطان العثماني محمود الثاني بخلع الوالي عبد الله باشا، وإباحة دمه وإسناد ولاية صيدا إلى درويش باشا، فطلب الأمير بشير الشهابي والوالي عبد الله باشا المساعدة من والي مصر محمد علي باشا للوساطة بين عبد الله باشا والسـلطان العثماني وبعد الوسـاطة التي قام بها محمد علي صـدر فرمان للعفو عن عبد الله باشـا وإسـناد ولاية صـيدا، وصـفد، وبيروت له. وفي سـبيل ذلك تم دفع مبلغ من المال بلغ خمسـة عشـر ألف كيس؛ فضـلاً عن أن محمد علي اسـتطاع تأخير العشـرة آلاف الباقية، كما أنه فيما بعد دفعها عن عبد الله باشـا إلى أن يعيد له المال؛ فضـلاً عن ذلك التزامات كان على عبد الله باشــا أن دفعها بلغت ٣٠ ألفاً. للمزيد من التفاصـيل انظر السـالم، الحكم المصـري ...، ص٢٠-٢٥

(٢) زكي، التاريخ الحربي...، ص٣٩٠. قسـطنطين بازيلي، سـورية وفلسـطين تحت الحكم العثماني، ترجمة: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩، ص١١٢.

(٣) يوسـف نعيسـة، المرجع في وثائق تاريخية عن الشـام في أثناء حملة محمد علي باشـا ١٢٤٧-١٢٥٦هـ/ ١٨٣١-١٨٣٤، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٣-٢٠٠٤، ص٣٤. قاسم، صفحات من ...، ص٣٤.

(٤)فريد بك المحامي، البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، المطبعة الأميرية، بولاق، ط١، سنة ١٣٠٨هـ، ص١٠٢. محمد عبدو، (مشروع النهضـة لم يكتمل: محمد علي باشـا ومصـر)، مجلة الفكر السياسي، مج١١، ع٣٥-٣٤، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٩، ص١٩٠.

أخيراً نستنتج أن حرب الشام الأولى التي شنها والي مصر محمد علي باشا على السلطنة العثمانية كانت ضمن مخططه، حيث استطاع ضم الشام إلى مصر؛ بقصد الاستفادة من خيرات الشام، وإكمال بناء أسطوله في البحر الأحمر، وربط البحرين مستقبلاً، ولكن الدول الأوروبية أدركت العواقب التي ستحصل من وراء الخطر الذي شكله، فتدخلت لكيلا يستفحل خطره على مصالحها.

٢-أثر التوسع المصري في الحجاز وثورات الجند غير النظامية:

عُدّت الحجاز من أملاك السلطنة العثمانية، حيث بقيت سلطة الأشراف على حكم إمارة مكة، وأما المدن الحجازية الأخرى كالمدينة، وجدة، وينبع قامت السلطنة العثمانية بتعيين ولاة عثمانيين فيها، ومع الوقت ركز العثمانيون وجودهم أكثر من خلال والٍ عثماني، وأضيف إلى هذا الوالي أيضاَ وظيفة مشيخة الحرمين؛ ليشرف على مكة، لكن أوامره أخذها من الباب العالي [(١)].

في أثناء قيام الدولة السعودية الأولى في نجد وامتدادها على مناطق واسعة، تدخل والي مصر محمد علي لصالح العثمانيين والأشراف، حيث تمكّنت قواته من تدمير الدرعية عام ١٨١٨، وتوجهت أنظار محمد علي إلى أراضي شبه الجزيرة العربية بعد أن منح السلطان العثماني ابنه إبراهيم باشا حاكم جدة مكافأة لجهوده في القضاء على الحركة الوهابية، وتدمير معاقلها [(٢)]. ولكن مع اندلاع حرب الشام الأولى تغيرت خطط محمد علي باشا، حيث أصبح غيابه عن الجزيرة، وقلة اهتمامه بها؛ لانشغاله بتحضير الجنود وتجهيزهم بكامل العدة والعتاد اللازمة لخوض حربه ضد السلطنة العثمانية، دفع الوالي المعين من قبله في الحجاز التصرف وفقاً لمصالحه؛ فضلاً عن أن الجنود غير النظاميين لم يتلقوا رواتبهم في مواعيدها، على الرغم من محاولات حاكم الحجاز من بعث رسائل يحذر من تتدهور الأوضاع، وسوء العاقبة من تأخر دفع مرتبات الجند بارتكابهم أعمال مخالفة للنظام، وتهديدهم بالعصيان والتمرد على والي مصر [(٣)].

---

(١) جيرالدي دي غوري، حكام مكة، ترجمة: محمد شهاب، تنسيق ومراجعة: محمد علي سويد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ص٢٩٠.

(٢) قورشون، العثمانيون وآل سعود ...، ص٩٣.

(٣) البطريق، من تاريخ...، ص٦٤.

فضلاً عن ذلك وجود طموحات شخصية لدى قادة الجنود غير النظامين بالقضاء على الحكم المصري في الحجاز؛ ليصبح الحكم لهم دون أي منازع عن طريق دعم السلطنة العثمانية، واستمالتها للثوار لإحراج موقف محمد علي باشا في الحجاز، وإلهائه عن حروبه في الشام [١].

ومن الفتن التي حصلت في الحجاز، الخلاف الشديد الذي نشب بين الشريف يحيى وابنَ أخيه عام ١٨٢٧، فقد قتل الشريف يحيى ابن أخيه؛ لاتهامه أنه تواطأ مع والي الحجاز أحمد باشا يكن، وعلى ضوء تلك الحادثة، هرب الشريف يحيى مع قبيلته حرب، وأعلن التمرد على محمد علي باشا على الرغم من معرفته بالعقاب الذي سيلقاه من محمد علي، وقام الشريف يحيى بمهاجمة القوات المصرية الموجودة في الحجاز.

ولما وصلت أخبار الثورة وعجز الوالي في القضاء عليها إلى مسامع محمد علي، أرسل قوة عسكرية بقيادة الشريف أحمد بن عون الذي عينه بدلاً من الشريف يحيى، فاتجه الشريف أحمد بن عون ليزحف بجيشه صوب الطائف، وتابع والي الحجاز ومن معه أيضاً نحو الطائف، وتم فرض الحصار عليها، فهرب الشريف يحيى مع عدد من مناصريه، ولكنه وقع أسيراً بيد القوات المصرية الذين أرسلوه إلى القاهرة؛ ليضمنوا استقرار الحجاز [٢].

وكما هو معروف، كان محصول البن اليمني من أشهر المنتجات الزراعية التي اشتهر بها اليمن منذ القدم، وتكمن أهمية هذا المنتج في جودة البن اليمني؛ فضلاً عن أنه احتل مركزاً مهماً في الواردات المصرية حيث بلغ مجمل المحصول الذي حصلت عليه مصر من البن نحو ٣آلاف قنطار سنوياً، وهذا ما شكّل مورداً وربحاً كبيرين للحكومة المصرية، تأثر هذا المنتج بالاضطرابات والتوترات القائمة في جدة؛ كونه يمر منها البن اليمني متجهاً إلى مصر؛ وهذا يعني حرمان الولاية المصرية من مورد ثمين؛ لذا لا بدَّ من إعادة السلام والأمان إلى المنطقة. وعلى سبيل المثال في عام ١٨٢٩توترت الأحوال السياسية في جدة حتى بلغت درجة الانفجار،

---

(١) عائض بن خزام الروقي، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية(١٢٤٧-١٢٥٥/١٨٣١-١٨٣٩)، وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، ص١٣١.

(٢) دي غوري، حكام مكة...، ص٢٩٠-٢٩١.

عندما قررت بعض القبائل عدم دفع ما ترتب عليها من جزية سـنوية من البن قُدِّرت بحوالي ١٢٠٠قنطار، فأرسل محمد علي قوة عسكرية لاسترداد الجزية السنوية، وإعادة النظام إلى جدة [(١)].

ومن أهم الأسباب الذي عُدّت سبباً مباشراً لهذه التمردات، كان على أثر الخلاف الدائر بين أحد قادة الجيش غير النظامي زنار باشا مع خورشيد بك، بشأن صفقة تجارية بينهما، حيث أخذ خورشيد بك أموالاً عائدة له؛ مما شكّل هذا الأمر موجة من السخط والاستنكار لدى زنار آغا[(٢)]الذي استصرخ باقي الجند غير النظاميين؛ للتمرد على والي الحجاز، ومن بينهم تركجة بيلمز [(٣)].

تزعم تركجة بيلمز قيادة الثورة والتمرد، حيث أسر والي الحجاز خورشيد بك المُنصَّب من قبل محمد على باشا، وعين الثوار تركجة بيلمز والياً على الحجاز مع رفضهم للوعود التي قدمها لهم الوالي خورشيد بك بقرب وصول مرتباتهم، وزادت الأمور سوءاً انضمام الأهالي للثوار المتمردين رداً على أفعال جنود خورشيد التي مارسها جنود خورشيد بك بحقهم [(٤)].

وفي الواقع يمكن القول: إن من الأسباب التي أججت هذه الثورة على خورشيد باشا وصول بعض التشكيلات من الجند المصري الجديد، وما وجده الجند القديم من حسن الاعتناء والاهتمام بهؤلاء الجدد، فأخذوا يسيئون بأعمالهم؛ فضلاً عن قيامهم بأعمال السلب والنهب والتجارة في جدة، وأصبح قائدهم تركجة بيلمز صاحب الكلمة الأولى في الحجاز، وهذا عدّ إنذاراً

---

(١) ابتسام محمد حسين الجرافي، العلاقات التجارية اليمنية البريطانية (من أوائل السابع عشر حتى ١٨٣٩)، إشراف سيد مصطفى سالم، رسالة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب جامعة صنعاء، ٢٠٠٥، ص٢٩٤. الرافعي، محمد...، ص٣١٠.

(٢) زنار آغا: أحد قادة الحامية غير النظامية في مكة، وكان على رأس الثورة ضد والي الحجاز خورشيد بك، إلى جانب تركجة بيلمز. العبدلي، هدية من...، ص١٤٢.

(٣) تركجة بيلمز: اسمه محمد آغا، وهو أحد مماليك مصطفى بك صهر محمد علي باشا حيث كان ضابطاً من خيالة الجيش المصري في الحجاز، ثم عين قائداً لفرقة من الجند غير النظامية عام ١٨٢٣، ولكنه قام بأعمال غير مرضية، فطلب نقله إلى مصر، ولكن أعلن توبته، وأبدى اعتذاره؛ فضلاً عن شجاعته في إخماد ثورات العسير؛ فعفي عنه مكافأة لشجاعته، وتعني تركجة بيلمز الذي لا يتكلم اللغة العربية. العبدلي، هدية من...، ص١٤٢. طه، سياسة بريطانيا.... ص٥٧.

(٤) أباظة، الحكم العثماني...، ص ٣٥.

بسقوط السلطة المعينة من قبل محمد علي باشا في الحجاز، في الوقت الذي حاولت فيه الدولة العثمانية اتباع سياسة إشغال محمد علي عن حروبه في الشام، أصدر السلطان العثماني فرماناً يقضي بتعيين قائد الثورة محمد آغا الملقب بتركجة بيلمز بدلاً من الوالي خورشيد بك(١).

لذا آثر محمد علي التريث؛ لما للحجاز من أهمية دينية وسياسية؛ فضلاً عن أهمية الموانئ الموجودة في الجزيرة العربية، واتصالها مع الموانئ المصرية سواء بشكل عسكري أو تجاري، وعدم اتخاذ موقف عسكري تجاه هذه الثورة، لا سّيما أن السلطان العثماني اختار تركجة بيلمز والياً على الحجاز؛ الأمر الذي جعل الوالي المصري محمد علي باشا يعدّ هذا الإجراء فصلاً جديداً في سياسة السلطنة العثمانية ضده، وفي كل الأحوال فقد ظلت الجهود الدبلوماسية مستخدمة من قبل محمد علي؛ لحل الأزمة مقابل السماح للثوار بالعودة إلى جدة (٢).

كان من المأمول أن تتحسن العلاقات بين الطرفين، لكن تأزمت الأوضاع في الحجاز تأزماً كبيراً، فما كان من محمد علي إلا إرسال جيش بقيادة أحمد باشا يكن بلغ تعداده نحو أربعة آلاف جندي إلى جدة، بعد أن حقق نجاحاً باهراً في حروب الشام الأولى، وسيطرة قواته على عكا عام ١٨٣٢م، فأخذ الأهالي ينفضون عن الثوار المتمردين خوفاً من العقاب الذي سيلحق بهم، وانزعاجهم من سوء تصرفات الثوار، كما أصدر محمد علي قراراً بتعيين محمد بن عون بدلاً من خورشيد باشا ليقلل من آثار التمرد في الحجاز(٣).

وصلت الحملة المصرية بقيادة أحمد باشا يكن إلى ينبع، وسارت إلى جدة للسيطرة عليها والقضاء على الثورة، فأقلقت هذه الحملة تركجة بيلمز، بعد أن أدرك خطورة موقفه من ابتعاد الأهالي عنه، حيث لم يكن بمقدوره الصمود في وجه القوات المرسلة لمحاربته، فاتجه تركجة بيلمز إلى الجنوب باتجاه اليمن؛ لعلّه يحقق مكاسب عسكرية؛ كونه يعد نفسه ممثلاً من قبل السلطان العثماني لاستمالة الأهالي له، لا سّيما أن محمد على غيّر سياسته من اللين والدبلوماسية إلى الشدة في القضاء على الثورة والتمرد(٤).

---

(١) البطريق، من تاريخ...، ص٦٥-٦٨.

(٢) البطريق، من تاريخ...، ص٦٦-٦٧.جميلة هادي الرجوي، محمد علي واليمن(١٣٣٣-١٨١٨/١٣٥٦-١٨٤١)، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط١، ٢٠٠٦، ص١٤٨.

(٣) الروقي، حروب محمد علي ...، ص١٣٥-١٣٧.

(٤) الروقي، حروب محمد علي ...، ص١٣٨-١٣٩. الرجوي: محمد علي ...، ١٥٣-١٥٤.

وهكذا تجدر الإشارة هنا إلى أن مركز الحجاز السياسي والإقليمي، ووجودها على البحر الأحمر، قد عزز الصدام بين السلطنة العثمانية التي دعمت تركجة بيلمز في ثورته من جهة، وبين محمد علي من جهة أخرى.

٣- أثر التوسع المصري في نجد، وتشكل الدولة السعودية الثانية:

منذ أن تلقت الدولة السعودية الأولى ضربة قاصمة في عام ١٨١٨، بدأت القبائل تتنازع فيما بينها للحصول على السيادة[١]، كما بدأ الارتياب والخوف لدى إنكلترا من محمد علي الذي أصبح على مشارف البحر الأحمر والخليج العربي، حيث عدّا من أهم الطرق المؤدية إلى الهند، وأصبحت إنكلترا تتدخل في شؤون دول الخليج العربي، وكانت تلك الدول محميات إنكليزية، كما صرحت إنكلترا بأن الخليج العربي ملكاً لها؛ بحكم تفوقها البحري، وقواعدها التي أنشأتها في الخليج العربي [٢].

مما لا شك فيه أن إنكلترا انتظرت الظروف المؤاتية لإضعاف محمد علي والقضاء عليه، وإذا كانت الظروف قد ضمنت له التوسع على حساب السلطنة العثمانية، فإن ذلك لن يبق طويلاً؛ لأنه ضاع أمام الضغط السياسي والمناورات الدبلوماسية من قبل هذه الدول، ولاسيّما أن إنكلترا عدّت وجود محمد علي في شبه الجزيرة العربية هو وجود لفرنسا؛ الأمر عدته خطراً عليها، كونه حسب نظرها ينفذ السياسة الفرنسية في المنطقة، ومسوغها في ذلك استخدامه ضباطاً ورجال بحرية من فرنسا [٣].

ومن الجدير ذكره، حصلت فترة انتقالية ما بين سقوط الدرعية من جهة، وبين تشكل الدولة السعودية الثانية على يد تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من جهة أخرى[٤]، حيث

---

(١) محمد بن سليمان بن عبد العزيزي الخضيري، (الدور السياسي والحضاري في عهد الدولة السعودية الثانية)، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، العدد٣٠، ربيع الآخر ١٤٢٢، ص٤٠٣.

(٢) زاهية قدورة، تاريخ العرب الحديث شبه الجزيرة العربية كياناتها السياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص٣٢.

(٣) أحمد حسين العقبي، التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٣٣٠هـ، ص١٥٤-١٥٥.

(٤)تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود: إمام من أمراء نجد وليها بعد مقتل ابن عمه مشاري بن سعود، كان فاراً من وجه الترك، وعمال والي مصر (محمد علي) في مقاطعة الخرج في نجد، وعلم بأن أحداً من آل معمر قبض على ابن عمه وسلمه إلى الترك، فقتلوه فخرج من مخبئه ودخل العارض، فنازع ابن معمر برهة من الزمن ثم قتله بابن عمه، وتولى الحكم مكانه، وبولاية تركي انتقل الحكم في آل سعود من سلالة عبد العزيز بن محمد إلى سلالة أخيه عبد الله

استغل محمد بن مشاري بن معمر نفي بعض زعماء آل سعود، وهروب بعضهم الآخر؛ ليصبح أميراً على الدرعية؛ كونه سليل أسرة معمر التي كانت تحكم قبل قيام الدولة السعودية الأولى، وعدّ نفسه صاحب الحق في الحكم بصلته من خاله الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود؛ فضلاً عن ذلك غناه المادي الذي جعله صاحب الكلمة الأولى(١).

بعد تدمير الدرعية على يد قوات إبراهيم باشا، دخلت الرياض إلى مسرح الأحداث مرة أخرى. عندما استطاع الأمير مشاري بن سعود(٢)الهروب من جنود إبراهيم باشا في أثناء نقل آل سعود إلى مصر وسيطر على الدرعية، وتولى الحكم فيها بعد أن تنازل له محمد بن مشاري بن معمر مكرهاً(٣).

وذكرت عدد من الروايات أن مشاري عين ابن عمه تركي بن عبد الله أميراً على الرياض، وأن أميرها السابق ناصر العائذي كان قد بنى أسوارها بعد سقوط الدرعية، وحاول مشاري فيما بعد السيطرة على نجد، وفي هذا الوقت طلب من القبائل النصرة لحكمه، إلى أن جاء ابن معمر وعدد من الجنود بغتة نحو قصر مشاري بن سعود؛ للقبض عليه والاستيلاء على الحكم، ثم أكمل طريقه إلى الرياض التي كان فيها تركي بن عبد الله وعمر بن عبد العزيز بن محمد بن

بن محمد، فاستطاع إبعاد الترك والمصريين، واسترد الإحساء والقطيف، وصالحه أمير حائل، وبسط نفوذه في القصيم، واستمر إلى أن اغتاله ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن بن سعود، وهو ابن أخته أيضاً. أحمد بن زيني دحلان، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن سيدنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى وقتنا هذا بالتمام، تحقيق: أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي الشيخ القاهري المصري الشهير بفارس الشيخ ورأفت عبد العزيز، مطبوعات أرض الحرمين، د.م، د.ت، ص٣٩٢-٣٩٣.

(١) عبد الله بن محمد بن عبد العزيز آل بسام، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، نقله عن الأصل الخطي المحفوظ لدى ورثة المؤلف وهو بخطه: نور الدين شريبه، صورة المخطوطة في دارة الملك عبد العزيز، الرياض، سنة١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م، ورقة ١١٧.الخضيري، الدور السياسي ...، ص٤٠٤. ابن بشر، المجد في...، ج١، ص٤٤٢.

(٢) مشاري بن سعود: مشاري بن سعود بن عبد العزيز بن محمد من أمراء آل سعود بنجد، آلت إليه إمارتها بعد أخيه عبد الله بن سعود، وحاول أن يلم شعثها فلم يستطع، وكانت إقامته في العارض بعد أن دمرت الدرعية، وقام أحد من آل معمر بالاتفاق مع الترك، فاستولى على العارض، والوشم، والقصيم من ديار نجد، فقاومه مشاري، وقام أحد الأشخاص من آل معمر، وسلمه إلى العسكر التركي، ومات في سجنه. دحلان، خلاصة الكلام ...، ص٣٩٣.

(٣) عبد الفتاح حسن أبو علية، تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦-١٣٠٩/١٨٤٠-١٨٩١، دار المريخ، الرياض، ١٩٩١، ص٣٧.

سعود وأولاده، حيث دخلها ابن معمر وسيطر عليها واحتلها، فاستطاع تركي بن عبد الله الهروب منها هو وأعوانه إلى حائر سبيع[(١)].

بعد أن اســتولى ابن معمر على الرياض بعث برســالة إلى قائد الجند عبوس آغا التابع للوالي محمد علي باشـا ثم اسـتولى على العنيزة، وأعلن فيها خضـوعه للسـلطنة العثمانية، وأنه قبض على مشـاري، وسـوغ ذلك أن هذا من مصـلحة السـلطنة العثمانية ومحمد علي، كما بعث ابن معمر رسالة أخرى إلى أمراء البلد طلب فيها مبايعته ونصرته، ثم ولى ابنه مشاري بن محمد بن مشاري بن معمر على الرياض بصفة أمير عليها، ووضع تحت إمرته عدداً من الجنود[(٢)].

لم يقف تركي مكتوف الأيدي أمام ابن معمر حيث انطلق عام ١٨٢٠ باتجاه ضـــرما؛ ليجمع حوله أنصـــار من أمراء البلاد لمســاندته في حربه ضــد ابن معمر، ثم أكمل طريقه نحو الدرعية، فدخلها من دون قتال مع أهلها الذين انحازوا إلى تركي، فخذلوا أميرهم الذي اســتســلم، وتم حبســه بأمر من تركي بن عبد الله، ثم تحرك نحو الرياض مع جنوده، وقبض على مشــاري ابن معمر، واستولى بذلك على الدرعية والرياض، وفي محاولة منه لإنقاذ مشاري هدد تركي بن عبد الله بن معمر وابنه مشــاري قائلاً لهم: " **إن أطلقت مشــاري بن ســعود من الحبس أطلقتك وابنك وإلا قتلتكما**"[(٣)]، ولكن قبل مدة من الزمن أرســله ابن معمر إلى أهل ســدوس، فكاتبهم أن يطلقوا سراح مشاري بن سعود، ولكن تخوفوا من غضب عبوس آغا؛ لذا سلمه اتباعه للعساكر حيث أُخِذ إلى عنيزة، وتوفي في السجن، فغضب تركي ونفذ تهديده بقتل ابن معمر وابنه مشاري عام ١٨٢١[(٤)].

---

(١) حائر: هو المراد به الماء، يجد أرضاً صخرية أو صلبة مغطاة بقشرة الأرض، فإذا تكاثر عليها الماء نبعت فيحير الماء فوقها، فيســمى حائراً، وهو في أماكن كثيرة ومتعددة من بلاد نجد، ويطلق حائراً على ثلاثة مواضــع بعينها، وهي: حائر وادي حنيفة أو حائر ســبيع وهو لا يبعد عن منفوحة إلا قليلاً، أما حائر ملهم أحد البلدان المعروفة في الشــعيب من منطقة العارض، وأخيراً حائر المجمعة. عبد الله بن محمد بن خميس، المعجم الجغرافي للمملكة العربية الســـعودية معجم اليمامة، ج٢، طابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط٢، ١٩٨٠، ج١، ص٢٨٧. سليمان بن صالح الخراشي، تاريخ نجد من خلال الدرر السنية في الأجوبة النجدية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٧، ص١٤.

(٢) ابن بشر، المجد في ....، ج١، ص٤٤٦.

(٣) ابن بشر، المجد في...، ج١، ص٤٤٨.

(٤) آل بسام، تحفة المشتاق...، ورقة ١١٧.

اتخذ تركي بن محمد من الرياض[١] عاصمة له؛ لكثرة الخضار والمزارع[٢]؛ فضلاً عن حصانتها، ولكن توجه فيصل دويش وعدد من العساكر؛ لمحاربة تركي بن عبد الله، فحصل اشتباك مع أهل الرياض، ثم وصلت قوات حسين بك[٣]، وانضمت إليه قوات عبوس آغا، واتجهوا مرة أخرى إلى الرياض، وعند محاصرة المدينة استطاع تركي بن عبد الله الهروب إلى جنوب نجد، أما بقية أنصاره في الرياض استسلموا لحسين بك الذي فرض عليهم غرامات مالية، وسيّر أتباع تركي إلى مصر؛ فضلاً عن الأعمال الانتقامية التي قام بها حسين بك في نجد، ثم أكمل طريقه إلى مصر بعد أن ترك حامية عسكرية بقيادة أبي على المغربي[٤]، أما في بلدة العنيزة ترك أميراً عليها اسمه عبد الله بن حمد الجمعي مع حامية عسكرية[٥].

بعد رحيل حسين بك بدأت الفتن والحروب بين أهالي نجد، ثم ثاروا على القائد العثماني؛ بسبب المذابح المرتكبة بحقهم في أثناء إخماد هذه الثورات. من جراء هذه الأحداث تم إرسال

---

(١) الرياض: مأخوذ اسمها من طبيعتها وتكوينها، فلقد سميت قديماً مدفع سيل وادي (الوتر) (البطحاء حالياً)، ويتخلل هذه الرحبة الواسعة مرتفعات وقفاف، وتقسمها إلى رياض، ومستقرات مياه، ومن ثم سميت الرياض، وتحيط بمدينة الرياض البساتين والنخيل؛ فضلاً عن إحاطتها بسور له أبواب هي باب الثميري، وباب دخنة، وباب آل سويلم، وباب الظهيرة. ابن خميس، المعجم الجغرافي ....، ج١، ص٤٩٠-٤٩١.

(٢) منير العجلاني، تاريخ الدولة السعودية الثانية الإمام تركي بن عبد الله بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية، ٦ج، دار الشبل، رياض، ١٩٩٠، ج٥، ص١١٤.

(٣) رسالة بعثت إلى رستم أفندي أمير جمرك جدة حول صدور التوجيهات إلى حسين بك محافظ المدينة المنورة؛ للعمل على القضاء على مشاري وتحركاته في نجد، وضرورة الاستعداد لإنفاذ حملة عسكرية، وقد وجه محمد علي بضرورة دعم الحملة بالأموال اللازمة من خزينتي جدة والمدينة المنورة. معية تركي، دفتر رقم ٧، وثيقة رقم ٥٥، بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٣٦هـ/٣ تشرين الثاني ١٨٢٠.خليفة بن عبد الرحمن بن خليفه المسعود، موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية (١٢٣٤-١٢٨٢هـ/١٨١٨-١٨٦٦م) دراسة تاريخية وثائقية، إشراف: عايض بن خزام الروقي، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى كلية الشريعة -الدراسات الإسلامية-قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠م، ص٤٢٢.

(٤) وقد أفادت رسالة بعثها محمد علي باشا إلى محافظ المدينة المنورة بشأن دعم حامية الرياض بقيادة أبي علي المغربي وقد جاء فيها:" **جاءت عريضة أبي علي آغا رئيس المغاربة ذكر فيها أنه مقيم مع من معه من الجنود بقرية الرياض في نجد منذ المحرَّم ١٢٣٩هـ، وأنه لم يبق معه شيء من الذخيرة والجبخانة والنقود، فإما أن تمدوهم بمقدار ما يكفي من الذخيرة والجبخانة من شونة المدينة ونقود كافية من خزانة المدينة وتخصيص عساكر يشرفون على إيصالها. والخلاصة لابدّ من ضمان سلامة أبي علي وجنوده وراحتهم...**" معية تركي، دفتر رقم ٢١، وثيقة رقم ٣٨ بتاريخ ١٥ شعبان ١٢٤٠هـ/٤نيسان ١٨٢٥. ابن خليفة المسعود، موقف القوى ....، ص٤٢٦.

(٥) آل بسام، تحفة المشتاق....، ورقة ١١٨.

جيش جديد بقيادة حسن بك أبي ظاهر؛ لإخماد الثورات والفتن، ولكن فشل في تحقيق أهدافه؛ بسبب مواجهة الأهالي لهم، فتكبد خسائر فادحة، وفي أثناء ذلك استطاع تركي بن عبد الله من استعادة نشاطه في إخراج القوات المصرية من نجد عام ١٨٢٢، حيث عقد صلحاً مع القائد التركي في أواخر عام ١٨٢٣الذي بموجبه تم إنهاء العلميات العسكرية مقابل دخول الأمير تركي لمدينة الرياض.[١] بعد أن تأكد تركي بن عبد الله خروج القائد التركي من الرياض، أعلن تشكل الدولة السعودية الثانية عام ١٨٢٤ثم تابع الأمير تركي نشاطه نحو الجزء الشرقي لشبه الجزيرة العربية، فاستطاع السيطرة على الأحساء، وتعيين عمر بن عفيصان أميراً على المنطقة الشرقية، وبعد ذلك اتجه إلى البحرين، وقطر، وعمان[٢].

إزاء ذلك لا بدَّ من هذا السؤال الذي يطرح نفسه: ما موقف السلطنة العثمانية من محاولات الأمير تركي بن عبد الله في تشكيل دولة كبيرة مترامية الأطراف؟

انطلاقاً من الأوضاع التي كانت سائدة، بدأت السلطنة العثمانية تنظر بعين الريبة والقلق إلى محاولات تركي في للتقرب منها، فضلاً عن مراسلاته مع ولاتها في العراق والشام؛ حتى ينال الاعتراف بدولته الناشئة، لكن رفض محمد علي التوسع الذي قام به تركي؛ لأنه عدّ أراضي الجزيرة من ضمن نفوذه، وأما الأمير تركي فكان يرى نفسه حاكماً باسم السلطنة العثمانية؛ لأنه لم يحاول إغضاب السلطنة العثمانية واستفزازها، حيث ظل معترفاً بسلطة السلطان العثماني ولم يخرج عنها[٣].

---

(١) الزيدي، المملكة العربية السعودية...، ص٣٦. مجموعة مؤلفين، الصلات التاريخية...، ص٦٣.

(٢) حراز، الدولة العثمانية ...، ص١٣٥.

(٣) هناك مراسلة بين محمد علي باشا والصدر الأعظم حول عدم موافقة محمد علي على تعيين الإمام تركي بن عبد الله حاكماً على نجد من قبل الدولة العثمانية حسب طلبه الذي تقدم به إلى والي بغداد داوود باشا، وبرر محمد علي باشا رفضه لذلك بحسب وصفه؛ بعدم توفر الصفات اللازمة، وعدم استجابته لأوامر السلطنة العثمانية فضلاً عن خوف محمد علي من إعلان الإمام تركي بن عبد الله استقلاله بنجد عن الدولة العثمانية. دار الوثائق القومية بالقاهرة. معية تركي، دفتر رقم ٢٢، وثيقة رقم ٤٠٥، بتاريخ ١٦ذي الحجة ١٢٤١هـ/ ١٦تموز ١٨٢٦. ابن خليفه المسعود: موقف القوى...، ص٤٢٧. وهناك وثيقة أخرى تؤكد أن والي بغداد أرسل خطاباً إلى الصدارة بالظرف المختوم الرسالة العربية التي أرسلها تركي ابن سعود والتي يرجو تعيينه أميراً على أطراف نجد. HHرقم الوثيقة ٣١٣٣١. بتاريخ ١٢٤١هـ/١٨٢٦م. زكريا قورشون، محمد موسى القزويني، سواحل نجد (الأحساء)في الأرشيف العثماني (جبل شمر – القصيم – الرياض–القطيف–الكويت – البحرين–قطر –مسقط)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٥، ص٥٣.

في عام١٨٣٣ حصلت فوضى ومؤامرة بين أفراد البيت السعودي؛ أسفرت عن مقتل تركي بن عبد الله بتدبير من مشاري بن عبد الرحمن[١] الذي استولى على الحكم أكثر من أربعين يوماً سعى فيها إلى التقرب من الناس، وأخذ موافقة أمراء نجد على مبايعته، وهم في بلدانهم، كما وزع الأموال على أهالي نجد؛ لكسب عطفهم، ووزع الأسلحة على أعوانه تحسباً لأي طارئ؛ خوفاً من الثأر لمقتل الإمام تركي.[٢]

في عام ١٨٣٤ كان فيصل بن تركي في غزوة على القطيف، وعندما سمع بخبر مقتل أبيه تركي جمع أعوانه وعدد من الأمراء لنصرته ضد مشاري، فعاهدوه على السمع والطاعة في قتال مشاري، ثم توجه معهم إلى الأحساء ثم أكمل طريقه إلى الرياض، فدخلها وأحاطت جنود فيصل بقصر مشاري، فدخله وأعطى الأمان إلى كل شخص لم يكن له علاقة بمقتل والده، ثم أحاط جنوده بمشاري وأعوانهم في القصر وقتلوهم، ثم أخرج جسد مشاري ليراه الناس، ثم تولى الحكم، وعمل على إعادة الأمور إلى نصابها من خلال توطيد حكمه.[٣] وهنا يثير لدينا تساؤل: هل محمد علي باشا سيسمح لفيصل بن تركي بالتوسع في منطقة الجزيرة العربية؟

بعد أن سيطر محمد علي على بلاد الشام، والسودان، وأجزاء من اليونان، والأناضول شعر بالقلق إزاء تولي فيصل بن تركي الزعامة على نجد وتحقيقه للاستقرار، ولاسيّما أن محمد علي تطلع إلى ضم شبه الجزيرة العربية خصوصاً اليمن، بذلك أصبحت الدولة السعودية الثانية خطراً على طموحاته في البحر الأحمر، لذا طلب من الإمام فيصل تزويد الجيش المصري بالمؤن والأدلاء ودفع مبلغ من المال عن ولاية نجد.

---

(١) مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود: كان من ضمن الذين نقلهم إبراهيم باشا من آل سعود من الدرعية إلى مصر، فهرب من مصر وقدم إلى خاله وابن عمه تركي بن عبد الله في الرياض، فأكرمه وجعله أميراً في بلد المنفوخة، ولكن عزله؛ بسبب تآمره على ابن عمه لاستلام الحكم، وهو الذي دبر مقتل ابن عمه تركي بن عبد الله. آل بسام، تحفة المشتاق...، ورقة ١٣٠. ابن بشر، المجد في...، ج٢، ص٩٧.

(٢) إن مقتل الإمام تركي على يد مملوك لمشاري يدعى (إبراهيم بن همزة بن منصور) الذي أطلق الرصاص عليه بعد خروجه من المسجد إلى قصره من غير حراسة، وعلى إثر ذلك توفي الإمام تركي، وبذلك خرج مشاري مع مؤيديه من المسجد شاهرين السيوف، وبأعلى صوتهم يقولون: إن حكم مشاري بدأ وانتهى حكم تركي. لمزيد من التفاصيل: العجلاني، تاريخ الدولة السعودية ...، ج٥، ص٢١٦-٢٢٥. ابن بشر، المجد في...، ج٢، ٩٧-١٠٠. أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز وملحقاتها، دار الجيل، بيروت، ط٦، ١٩٨٨، ص٩٢-٩٤. الخضيري، الدور السياسي ...، ص٤١٧.

(٣) آل بسام، تحفة المشتاق...، ورقة ١٣٠-١٣١. ابن بشر، المجد في...، ج٢، ص ١٠٠-١٠٧.

أدرك الإمام فيصل بن تركي خطورة الوضع، فحاول استمالة محمد علي عندما أرسل أخيه جلوي مع عدد من الهدايا إلى والي الحجاز أحمد باشا يكن، ولكن محمد علي أرسل حملة عسكرية بقيادة إسماعيل آغا وكان معه خالد بن سعود[١] شقيق عبد الله آخر حكام الدولة السعودية الأولى؛ لكون خالد الوارث الشرعي لأمجاد البيت السعودي، ومن أنصار محمد علي، وقد جاء في الوثيقة الآتي:" **بما أن فيصل بن تركي شيخ نجد أظهر التمرد بامتناعه عن إعطاء بعض لوازم الجيش، فقد لزم أن يسير عليه رجلاً ومعه ألف خيال عربي وألف من عسكر البيادة (المشاة)المغاربة، واستحسنا أن يكون ذلك المأمور بالسير عليه إسماعيل بك ضابط المحروسة السابق، وكتبنا إلى ناظر الجهادية نعلمه بالكيفية، فإذا علمتم هذا فإن مطلوبنا منكم أن تعدوا ثلاثين شاباً أقوياء البنية من الأغوات القواصة والخدمة الداخلية، وتعطوهم مصروفات الطريق ومرتباتهم المتراكمة لهم إن كان لهم مرتب مستحق، وأن ترسلوهم ليكونوا في معية المومي إليه..**"[٢]

وهكذا نجد، أن محاولات الإمام فيصل لم توقف الحملة التي أرسلت بأمر من محمد علي لإسقاط حكم فيصل على الرغم من سياسة الدبلوماسية واللين التي اتبعها فيصل بن تركي في مواجهة هذا الخطر، حيث اتجه الجيش المصري إلى عنيزة والقصيم وما يجاورها، ثم دخل الرياض، واستولى عليها دون قتال[٣] ، وأصبحت جميع الأراضي النجدية في الشمال والغرب تحت أيديهم عام ١٨٣٧ وتابع الجيش المصري باتجاه الجنوب، ولكن وجد مقاومة في بلدة الحلوة انتهت بهزيمته، فاضطر للعودة نحو الرياض.

إزاء هزيمة خالد بن سعود فضل فيصل بن تركي العودة لاستعادة حكمه، وفوق هذا فرض حصاراً على مدينة الرياض، وإزاء ذلك أرسل والي مصر محمد علي حملة بقيادة والي الحجاز خورشيد باشا التي انتهت بانتصاره على فيصل بن تركي بعد أن منح الأمان له ولأهالي المدينة

---

(١) خالد بن سعود بن عبد العزيز بن محمد أمير من آل سعود خرج عليهم في نجد، وهو من أم حبشية نشأ بمصر بعد حرب إبراهيم باشا، ولما قوي أمر الإمام فيصل بن تركي في نجد، أرسل محمد علي باشا خالد مع قوة عسكرية سنة ١٢٥٢هـ لقتاله فنشبت بينهما معارك، وانتهت باستسلام فيصل لقائد الحملة خورشيد باشا في رمضان ١٢٥٥(١٨٣٨م)، ووجهه خورشيد باشا لمصر مع ولديه وأخوه، ثم تولى خالد الإمارة. دحلان، خلاصة الكلام ...، ص٤٠٥.

(٢) وثائق عابدين، دفتر ٧٤، معية تركي، وثيقة رقم ٤٨٩، ص٨٠، بتاريخ ٢٩ محرم ١٢٥٢هـ/١٥أيار ١٨٣٤. أبو علية، تاريخ الدولة السعودية الثانية...، ص٣٢٩

(٣) الخراشي، تاريخ نجد من ...،، ص١٥.

شريطة التسليم عام ١٨٣٨ مما جعل فيصل يقدم الخراج إلى خورشيد باشا، وتم نفيه إلى مصر، وولى مكانه خالد بن سعود الذي أصبح حاكم بيت آل سعود[١].

تزايد نفوذ محمد علي في المنطقة، والدليل على ذلك فرض ضـــرائب على الأحســـاء، وتواجد قواته على موانئ ســـيهات، والقطيف، والعقير، ورغم ذلك عدّ الامير خالد أميراً للبيت الســـعودي إلى أن ثار عليه عبد الله بن الثنيان [٢] وأصـــبحت راية الدولة الســـعودية تحت لوائه خصوصاً بعد فرار خالد بن سعود إلى الأحساء عام ١٨٤١[٣].

في الواقع أن التحولات التي طرأت في شـبه الجزيرة العربية حصـلت بفضـل عدة أسـباب منها: وقوف الدول الأوروبية أمام توســـعات محمد علي على ضـــفاف البحر الأحمر، واتجاهه نحو الخليج العربي فشـــكل عائقاً كبيراً أمام تلك الدول التي أرادت تقويض دولته، فما كان منها إلا إجباره على انســـحاب قواته من الجزيرة العربية بناءً على قرارات معاهدة لندن عام ١٨٤٠، وفيما بعد هرب فيصل من مصر، واعترف بالسيادة الاسمية للسلطنة العثمانية[٤].

وهكذا نلاحظ أن الدول الأوروبية بقوة نفوذها والامتيازات الممنوحة لها في الوقت الذي ضـــعفت فيه الســـلطنة العثمانية وجعلتها ألعوبة بيدها، قطعت الطريق على واليها محمد علي، وسـلبته اسـتقلاله، ولم تكتف بذلك بل أكملت الطريق في إنهاء وجوده في شـبه الجزيرة العربية، ومن ثم على باقي المناطق التي سـيطر عليها، وهذا لما شـكله البحر الأحمر من منطقة حيوية واستراتيجية للدول الأوروبية.

---

(١) قدورة، شبه الجزيرة...، ص٣٣.

(٢)عبد الله بن الثنيان بن سـعود: من أمراء نجد كان في الرياض يظهر الطاعة لخالد بن سـعود القادم من مصـر الذي أبعد فيصل بن تركي وحل محله، وأراد خالد أن يصحبه لمقابلة خورشيد باشا، ولكنه امتنع عن ذلك، وهرب إلى المنتفق، ثم عاد إلى نجد، فبعث إليه خالد بالأمان أن يأتي للرياض، ولكنه لم يطمئن من نوايا الإمام خالد، فكتب إلى أمراء نجد ضـرورة إخراج العساكر من نجد، فوعدوه بمناصـرته، فهرب الإمام خالد إلى الإحساء، ودخل عبد الله بن ثنيان الرياض سـنة ١٢٥٧هـ وقتل عدداً كبيراً من الجنود الأتراك، والمغاربة، ورجال خالد، فأطاعته نجد، وأصـبح أميراً عليها إلى أن رجع فيصـل بن تركي من أسـره في مصـر، فامتنع عليه عبدالله، وظفر به فيصـل، فحبســه في الرياض، ومات في السجن. دحلان، خلاصة الكلام...، ص٤٠٥.

(٣) آل بسام، تحفة المشتاق...، ورقة رقم ١٣٦.

(٤) محمد مرسي عبد الله، (وثائق القلعة محمد علي في الجزيرة العربية وعلاقاته بالخليج العربي ١٨٠٧-١٨٤٢)، مجلة الوثيقة، مركز الوثائق التاريخية، البحرين، ع١٦ (جمادى الثانية ١٤١٠هـ/ يناير ١٩٩٠م) ، ص١٦.

٤-سيطرة محمد علي على اليمن:

بعد أن نجح محمد علي ببسط سيطرته على بلاد الشام في ثلاثينيات القرن التاسع عشر، سارع إلى تشديد قبضته على المناطق المطلة على البحر الأحمر؛ معتمداً في سياسته على نفوذه في منطقة شبه الجزيرة العربية، ولاسيّما اليمن؛ لأهميتها من الناحية الاستراتيجية والجغرافية؛ كونها تقع جنوب البحر الأحمر، وتمتاز بمزايا اقتصادية؛ بفضل موانئها التي تعود عليه بمكاسب مالية عن طريق تحكمها بطرق التجارة العالمية، خصوصاً تجارة البحر الأحمر؛ فضلاً عن رغبة محمد علي بالسيطرة على تجارة البن، واحتكارها[١].

وعلى ضوء هذه المتغيرات السياسية التي أثرت في الحياة العامة في اليمن، أدت إلى تزايد هيمنة إنكلترا على الساحة اليمنية؛ نتيجة محاولات محمد علي تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة مصرية، وربطها مع البحر المتوسط؛ وبالتالي خافت إنكلترا على اقتصادها المرتبط بمستعمرتها (الهند)، فخافت من استحواذه على تجارتها، وبهذا الصدد تحدث الجنرال الفرنسي بوابيير الذي كان من كبار المعاونين والمستشارين لمحمد علي عن طموحاته بقوله :" **إنه سيعمد إلى تجنيد كتائب جديدة من جيشه ولايقف بهذا الجيش إلا على ضفاف دجلة والفرات، وإنه سيستولي على بلاد اليمن ومضيق باب المندب، وإن جيوشه ستملأ الجزء الأوسط من بلاد العرب، وترفع أعلامها في سماء القطيف الواقعة على الخليج العربي**"[٢].

لكن لم تسمح إنكلترا لمحمد علي شعرة بالتقدم والتوسع؛ لأن ذلك يهدد مصالحها الاستراتيجية ونتيجة ذلك؛ علق محمد علي مشروعه أملاً منه في أن يصل إلى بادرة تمكنه من تحقيق طموحاته، حينما قامت ثورة الجند عام ١٨٣٢ بقيادة تركجة بيلمز فحاول الاتصال بقناصل إنكلترا ليحذرهم من نتائج تلك الثورة بخصوص تجارتهم في البحر الأحمر، ولم يكن من المستطاع انتظار ردهم، فأمر حاكمه في الحجاز أحمد يكن التدخل فوراً للقضاء عليها.

خلال تلك الفترة، بينما كانت ثورة تركجة بيلمز تجتاح الحجاز، وصلته أنباء الحملة التي أرسلها محمد علي بقيادة إبراهيم باشا يكن، فقام بالاستيلاء على ست سفن من أجل إرسالها إلى اليمن[٣]، ثم اتجه إلى مدينة القنفذة؛ طالباً من أهالي مدينة القنفذة فتح مينائها لسفنه، ولكن الأهالي لم يوافقوا على ذلك.

---

(١) عبد الله، وثائق القلعة محمد علي ...، ص١٦-١٧.

(٢) ثامر عزام حمد الدليمي، المقاومة العربية لسياسة الاحتلال البريطاني لعدن ١٨٣٩-١٨٥٤، إشراف: أ.م د. مؤيد محمود حمد المشهداني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة تكريت، ٢٠٠٥، ص٣٣.

(٣) بلايفير، تاريخ العربية ...، ص١٣٩.

في هذه الفترة حصــل تعاون بين علي بن مجثل شــيخ بني عســير مع تركجة بيلمز، فقد حاصـــر "أبو عريش" وهي بالقرب من مدينة قنفذة، فاســـتطاع الســـيطرة عليها وهزيمة الحامية المصرية بعد توقيع اتفاق أدى إلى تسليم المدينة، ومن ثم انسحبت الحامية المصرية إلى ميناء قنفذة، ثم أكمل تركي بيلمز طريقه إلى ميناء الحديدة حيث حاصرها، وطلب من حاكمها السماح والنزول على شــواطئها للتزود بالمؤن والماء، إلا أن حاكمها رفض مثل هذه المطالب، لهذا قرر تركجة بأن يوجه المدافع على وجه الســـرعة نحو ميناء الحديدة حفاظاً على تقدمه في المنطقة عام ١٨٣٢؛ مما اضــطر حاكم ميناء الحديدة إلى التســليم لتركجة بيلمز الذي ترك حامية تبلغ نحو ٤٠٠ جندي بقيادة آغا مرشد [(١)].

توجه تركجة بيلمز إلى زبيد محاولة منه لتدعيم مركزه كونه يحكم باسم السلطان العثماني فدخلها، ثم تابع سيره إلى المخا حيث استولى على مينائها، وبذلك أصبح كامل الساحل اليمني تحت سيطرته باسم السلطان العثماني، ثم بدأ تركجة بيلمز بعمليات السطو على السفن الهندية القادمة إلى ميناء المخا قبل توجهها إلى شمال البحر الأحمر؛ بذريعة أنه خائف من وصول هذه السفن إلى يد أحمد باشا، واستغلالها لنقل قواته وشن الهجوم عليه، وكانت هذه السفن هندية. كما فرض حصاراً اقتصادياً على الحجاز بمنع السفن الذهاب إلى ميناء جدة [(٢)].

على إثر هذه الأوضـاع، طلب تركجة بيلمز من حاكم سلطنة لحج، وعدن، محســن ابن فضل بن محسن بن علي العبدلي[(٣)] أن يسلم ميناء عدن له سلمياً؛ لعله كان يأمل من وراء هذا

---

(١) بلايفير، تاريخ العربية ....، ص١٣٩. البطريق، من تاريخ...، ص٧٠.

(٢) الروقي، حروب محمد علي ....، ص١٤٣. هند فخري سـعيد، (الوجود المصـري في ولاية اليمن وأثره في السياسة البريطانية(١٨١٤-١٨٤٠))، مجلة أبحاث كلية التربية الأســاســية، مج٩ العدد٤، جامعة الموصـــل، ٢٠١٠/٣/١٨، ص٣٨٥.

(٣) محسن بن فضل العبدلي: من سلاطين لحج وعدن تنازل له السلطان أحمد بن عبد الكريم عن الحكم بعد أن مرض، فتولى الحكم عام ١٨٢٧، وفي أيامه كانت فتنة تركجة بيلمز الذي حاول احتلال عدن، وانتهى أمره ســـنة ١٢٤٨هـ باللجوء إلى مركب إنكليزي حمله مع ١٥٠ من أصـحابه إلى الهند، وفي أيامه أيضـاً قام بعض الأعراب بسـرقة سـفينة تحت راية العلم الإنكليزي عليها حجاج من الهند، فطلبت إنكلترا من الســلطان محســن رد تلك البضـــائع أو التعويض عنها، وطلبوا الاستيلاء على عدن، فرفض السلطان، فضربوها بالمدافع من البحر، ونشبت معركة انتهت باحتلال عدن، وانسحاب السلطان، وأهله، والأعيان إلى لحج في ١٨٣٩، ثم عقدوا اتفاقية مع إنكلترا ، فأعطته إنكلترا مع أولاده معاشاً سنوياً ٦٥٠٠ ريان، وسمحت له بالإقامة في عدن، وعادت فقطعت عنه المعاش عام ١٨٤٦ بدعوى أنه ساعد بعض المجاهدين في محاولتهم على دخول عدن عنوة. خير الدين الزركلي، الأعلام قاموس التراجم، ٨ج، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢، ج٥، ص٢٨٩.

الطلب سرعة تحقيق هدفه خصوصاً أن الوضع الدولي والمحلي كان مشحوناً، وينبئ بتطورات خطيرة، إلا أن حاكم سلطنة لحج وعدن، تظاهر أنه سوف يسلمه عدن، ولكن في اليوم التالي، عندما بعث تركجة بيلمز قوة صغيرة تقدر نحو ٤٠ رجلاً لاستلام الميناء عام ١٨٣٣ استقبلهم السلطان بحفاوة كبيرة، ثم أعطى أوامره لجنوده بالهجوم عليهم ليلاً، فقتل نحو ١٧منهم، وفر الباقون إلى المخا (١).

على إثر ذلك اضطر بيلمز إلى التراجع مؤقتاً من احتلال سلطنة لحج وعدن، ويبدو أنه غيّر سياسته العسكرية من خلال التعاون مع القوات المناهضة لمحمد علي، والاتصال بثوار عسير بزعامة علي بن مجثل، وعُقِدَ اتفاقٌ بين الطرفين لإنهاء وجود محمد علي عن طريق خطة تتضمن الهجوم على ميناء جدة براً، ولكن بعد أن تقدمت قوات محمد علي إلى ميناء مصوع بقيادة أحمد يكن باشا للقضاء على تركجة بيلمز تأزم الوضع بينهما، فتراجع ابن مجثل عن موقفه، وساند محمد علي خوفاً على نفسه من العواقب التي ستنتظره إن استمر التحالف بينه وبين تركجة بيلمز (٢).

وهكذا نرى أن علي بن مجثل انقلب على بيلمز، وغدت المواجهة محتدمة بين قوات محمد علي وقوات بيلمز التي انحصرت في المخا عام ١٨٣٣، فاضطر بيلمز أمام الضربات التي تنهال عليه من قبل ابن مجثل وقوات محمد علي إلى التراجع جنوباً نحو سفن إنكلترا، فتمكن من الهرب على متنها باتجاه بومباي (٣)، وبذلك سلمت قوات الأمير العسيري المخا للقوات المصرية، ثم توفي الأمير علي بن مجثل في الطريق في أثناء توجهه إلى عسير، والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا قدمت إنكلترا المساعدة لتركجة بيلمز؟

إزاء المستجدات التي كانت تشهدها ثورة تركجة بيلمز تزايد خوف إنكلترا، وأصيبت بنوع من القلق والريبة؛ لرغبة محمد علي في الحصول على الاستقلال، وبدلاً من أن تقف إنكلترا مكتوفة الأيدي، رفضت مساعي محمد علي في السيطرة على النقاط الاستراتيجية في اليمن؛ لأن ذلك سيؤدي إلى الإضرار بمصالحها ونفوذها في المنطقة؛ لذا تدخلت لصالح الثائر بيلمز، وعملت على إعاقة وجود محمد علي؛ كونها غير راضية على تقدم قواته، وجاء على لسان وزير خارجيتها بالمرستون في عام ١٨٣٣:" **إن الهدف الحقيقي للوالي هو تأسيس إمبراطورية**

---

(١) العبدلي، هدية من...، ص١٤٢-١٤٣.

(٢) أباظة، عدن والسياسة...، ص١١٤. العبدلي، هدية من...، ص١٤٣.

(٣) حسين عبد الله العمري، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث (١١٦١-١٢٦٤/ ١٧٤٧-١٨٤٨م)، المكتبة العلمية، دمشق، ١٩٨٤، ص٢٣٣. العبدلي، هدية من...، ص١٤٣. الروقي، حروب محمد علي ...، ص١٤٧.

عربية تضم البلدان الناطقة باللغة العربية؛ لذا فإن هذه الدولة ستكون عقبة في طريق فرض السيادة البريطانية في شرق البحر المتوسط"[١].

استؤنفت العمليات الحربية لقوات محمد علي عام ١٨٣٥، حيث تم إرسال جيش تم تقسيمه إلى قوتين قوى بحرية بقيادة حافظ بك، وأخرى برية بقيادة أحمد باشا يكن، فاستولت القوات البحرية على الموانئ المطلة على الساحل بدءاً من كمران، واللحية، وزبيد إلى أن أصبح الساحل اليمني كله بيد القوات المصرية حتى باب المندب ماعدا عدن[٢]، أما البرية فقد ساعدت القوات البحرية في معاركها، وساندتها، وعندما تأكدت أن الوضع في الساحل أصبح آمناً أكملت طريقها نحو الداخل؛ لاستماله الثوار لصالحهم، وفي عام ١٨٣٧بعد ست معارك استطاعت القوات المصرية السيطرة على إقليم تعز الذي عدّ المفتاح الرئيس لمدينة صنعاء[٣].

أرسل قائد القوات المصرية إبراهيم يكن رسالة إلى محمد علي باشا يغريه بفوائد الاستيلاء على صنعاء، ولاسيّما أن محمد علي اهتم بتجارة البن واحتكاره حتى أنه أنشأ ديواناً خاصاً لهذه التجارة، وقد جاء برسالته:" **فأما إن فتحنا صنعاء – كما هو غاية أملنا–، ورفعت أيدي المفسدين، وشملنا أصحاب أشجار البن بعين المراحم الخديوية، وغرست أشجار البن بكل اعتناء، وزاد المحصول عام بعد أخرى، وبلغ المركز الأول.**"[٤]

وفي العام نفسه، سعت قوات محمد علي للوصول إلى إقليم عدين؛ بقصد السيطرة على كامل أرض اليمن، وفي البداية نجحت في الاستيلاء على بلدة العدين، ولكن صمود القبائل ودفاعها عن المناطق التي تقع بين زبيد وإب؛ منع القوات المصرية من التقدم لاحتلال عدن[٥].

وهذا ما يدفعنا إلى طرح السؤال الآتي: كيف سيكون رد إنكلترا على هذه الانتصارات التي حققتها قوات محمد علي في اليمن؟

إذاً، من خلال طموحات محمد علي أصبح له نفوذ في جنوب شبه الجزيرة العربية، وهذا ما من شأنه أن يعكر وضع إنكلترا؛ لما تتعرض له من تهديد على طريق الهند، ومن هنا ذهب وزير خارجية إنكلترا بالمرستون إلى دعوة القنصل البريطاني كامبل في مصر لمحادثة محمد

---

(١) سناء إبراهيم جاسم التكريتي، التوسع المصري في الجزيرة العربية (١٨١١-١٨٤٠)، إشراف: إبراهيم سعيد البيضاني، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٣، ص٩٠.

(٢) العمري، مئة عام...، ص٢٥٨.

(٣) البطريق، من تاريخ...، ص٨٠.

(٤) البطريق، من تاريخ...، ص٨١.

(٥) بيومي، سياسة مصر ...، ص١١٩.

علي إلى تعديل موقفه، لكي لا تقوم إنكلترا برد فعل من قبل حكومته فكتب له عام ١٨٣٧قائلاً:" **إنني أكلفك بأن تخبر باشا مصر، بأن حكومة جلالته تلقت تقارير عن تحركات جيوشه في بلاد الشرق تؤكد أنه ينوي مد سيطرته إلى مناطق أخرى عديدة جديدة أعْلِم محمد علي صراحة أن مثل هذه الخطوة لا تنظر بعين الرضا من قبل الحكومة البريطانية.**"

لكن أكد محمد علي أنه لا يفكر بالتوسع خارج البحر الأحمر، ولا السيطرة على عدن، وهو ملتزم بالعهود والاتفاقات التي وقعت بين الإمام وإنكلترا، وسوف يعمل على تقديم جميع التسهيلات الممكنة لإنكلترا، ولكن عندما بدأت الأمور تزداد سوءاً بين السلطان العثماني ومحمد علي طلب بالمرستون خروج قوات محمد علي من اليمن فأجابه محمد علي:" **سأضع هذا المطلب موضع النظر عندما تفرغ الدول من بحث المسألة الشرقية**"[١].

وفي الواقع يمكن القول: إن إنكلترا وجدت في توسعات محمد علي مخالفة لموازين القوى في المنطقة، ولاسيّما أن إنكلترا معارضة لوجود أي قوى تسيطر على مصير تجارتهم، ومصدر ثرواتها؛ لذا عملت على مواجهة مشروع محمد علي في اليمن باحتلال عدن عام ١٨٣٩، ومن ثم إخراجه من المنطقة بموجب معاهدة لندن عام ١٨٤٠[٢].

وعلى ضوء ما تقدم، يمكن القول: إن ازدياد شعور العداء نحو محمد علي من قبل الدول الأوروبية، ولاسيّما إنكلترا منعه من تحقيق مشروعه في شبه الجزيرة العربية، والسيطرة على اليمن وموانئها؛ فضلاً عن كونها مصدراً لمحصول البن ذي التجارة الرائجة.

ثانياً-التنافس الأوروبي في عدن وجنوب البحر الأحمر:

تميز جنوب البحر الأحمر بمكانة تاريخية، واستراتيجية في العصر الحديث مروراً بالعصور الماضية، كما أنه امتلك المقومات جميعها؛ لكي تتوجه إليه الأنظار، وتتنافس عليه قوى عظمى؛ ممثلة ب(إنكلترا، وفرنسا) حيث حاولتا المحافظة على مصالحهما؛ تبعاً لتغير الظروف المحيطة في المنطقة؛ ولذا أثر الوجود المصري في منطقة البحر الأحمر كثيراً، ولاسيّما عندما اتبع محمد علي سياسة الاستحواذ على المنطقة، فوقعت إنكلترا بوجه حصر

(١) صلاح البكري، في جنوب الجزيرة العربية مزين بالخرائط والصور والرسوم الفنية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٤٩، ص١٨. أباظة، الحكم العثماني...، ص٤٣. سعيد، الوجود المصري...، ص٣٦٢-٣٦٣.

(٢) أباظة، الحكم العثماني...، ص٤٣-٤٤.

جهودها في القضـاء على الوجود المصـري، والوجود الفرنسـي المرتبط مع محمد علي في عدن وجنوب البحر الأحمر، وأي قوة تشكل خطر على مصالحها.

١-الخطوات الأولى لاستيلاء إنكلترا على عدن:

إن الموقع الجيو-اسـتراتيجي لعدن؛ بحكم إشـرافها على مضـيق باب المندب، وكونها المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، وضـعها تحت رقابة اسـتعمارية مباشـرة، فباتت هذه المدينة في صلب الاستراتيجيات الدولية من حيث الموقع، والموارد الطبيعية.

وهنا لابدّ من التسـاؤل: ما الأسـباب التي دفعت إنكلترا للسـيطرة على عدن؟ تتمحور الأسباب حول العوامل الجغرافية التي تمتاز بها عدن، وهذا مما دفع إنكلترا للسيطرة عليها حيث تقع في الجزء الجنوبي من السـاحل الغربي للبحر الأحمر، وعلى خط عرض (١٢١٤٧) شـمالاً، وخط طول شـرقاً (٤٥١١٠) [(١)]، كما أنها تقع داخل الفوهة البركانية؛ مما جعلها محمية بجبال من كل جانب ماعدا الجهة الشرقية، حيث وجدت فتحة مقابلة لقلعة صيرة الحصينة على حين كان ميناؤها متسـع الأرجاء، وخالياً من الصـخور، وتميز بضـحالة مياهه؛ مما خلق له أهمية كبيرة مقارنة بالموانئ الأخرى في الجزيرة العربية، والشواطئ الإفريقية[(٢)].

كما أن العوامل الاقتصـادية أدت دوراً إضـافياً في جعل مدينة عدن تقع تحت سـيطرة الإنكلترا، حيث أرادت أن تستخدم ميناءها؛ كمحطة لتخزين الفحم، ومرفأ لتوفير الخدمات للسفن التجارية والحربية الإنكليزية [(٣)]، خاصـة وأن الأسطول البحري لإنكلترا يُعدّ من أضـخم الأساطيل البحرية، حيث اسـتطاع تقليص النفوذ الفرنسـي، وسـمح لإنكلترا أن تحتل تقريباً كل ممتلكات أعدائها فيما وراء البحار، وضـمن بقاء تجارة إنكلترا التي ولدت لها الثروة الكافية للإنفاق على جهدها الحربي.

---

(١)أباظة، عدن والسياسة...، ص٢٤.
Frederick Mercer Hunter, An account of the British settlement of Aden in Arabia, Routledge, 2013, p1.

(٢) بلايفير، تاريخ العربية السعيدة...، ص١٥.

(٣) فتحي أبو طالب، الصـراع الدولي على عدن والدور المصـري، الهيئة المصـرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢، ص٢٩. العقبي، التنافس الانجليزي ...، ص٢٦٣.

لذا حرصــت إنكلترا على اختصــار الطريق على ســفنها التجارية والحربية التي ســاندت جيشـــها في حروبها [١]، فاحتاجت إلى الطريق الأوفر والأقصـــر، فتمثل هذا بالطريق البحري عبر البحر الأحمر الذي يبدأ من غرب الإسكندرية، ومن الرشيد قرب الإسكندرية بطريق النيل إلى القاهرة عبر الصحراء الشرقية بالقوافل حتى السويس، وبعد ذلك تستخدم البواخر عبر البحر الأحمر، وبحر العرب إلى الهند، وكان الوقت اللازم لعبور هذا الطريق أربعة أسابيع؛ لذا اهتمت إنكلترا بميناء عدن؛ نظراً لموقعه في منتصف الطريق بين بومباي والسويس؛ فضلاً عن تميزه بخليج هادئ، مما يسهل استقبال السفن، وتأمينها تأميناً كاملاً في أثناء عمليات الشحن والتفريغ طوال العام[٢].

ومن ناحية أخرى، عدّت إنكلترا أن أي محاولة للسيطرة على عدن يتيح لها تسويق تجارة البن اليمني من خلال تحويلها من ميناء مخا إلى ميناء عدن، وهذا يمنح إنكلترا الســـيطرة على هذه التجارة، والوقوف أمام السفن الأمريكية المنافسة لها [٣].

وعلى ضـــوء هذه الرؤية، أرســـلت حكومة بومباي التابعة لإنكلترا بعثات عدة؛ لدراســـة أوضـــاع مدينة عدن، ففي عام ١٨٢٩ اتجهت ســـفينتا بنارس(Benares) وباليـنورس (Palinurus) إلى عدن، وكان على متن كل واحدة منهما الفحم من أجل تزويد ســـفينة هيولند ساي(Highlindsay) بالفحم، حيث عدت هذه السفينة البخارية المصنوعة في الهند من أوائل السفن التي أبحرت في البحر الأحمر[٤].

وفي عام ١٨٣٥أرسلت حكومة الهند بعثة أخرى بقيادة ضابط البحرية الكابتن هينز الذي يعد من أهم خبراء التجسس في عدن؛ لإجراء مسح شامل للمنطقة، ومعرفة مدى صلاحيتها؛ لتكون قاعدة بحرية للسفن إنكلترا، ومستودعاً للفحم، وعند عودته إلى الهند قدم تقريراً أكد فيه أن عدناً من أنسب الموانئ لتحقيق غرضهم[٥].

ثم أخذ القناصل والمسؤولون التابعون لإنكلترا تبادل الرسائل، والتقارير، والمعلومات عن وضع ميناء عدن، وبعض ممارسات محمد علي في اليمن؛ فضلاً عن الخطر الذي تمثل بوجود

---

(١) لورانس جيمس، شروق الإمبراطورية البريطانية وغروبها، ترجمة وتقديم: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، مراجعة: شوقي عطا الله الجمل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦، ج١، ص٢٦٠-٢٦١.

(٢) أبو طالب، الصراع الدولي ....، ص٢٩.

(٣) العقبي، التنافس الإنجليزي...، ص٢٦٣. أباظة، عدن والسياسة البريطانية...، ص١٤٧-١٤٨-١٤٩.

(٤) العقبي، التنافس الإنجليزي ...، ص٢٦٢. البطريق، من تاريخ...، ص٨٥. العبدلي، هدية من...، ص١٤٢.

(٥) العقبي، التنافس الإنجليزي ...، ص٢٦٢.

النفوذ المصـــري في البحر الأحمر، وهذا ما جعل إنكلترا تتأكد من الدور الكبير الذي يتســم به ميناء عدن من الناحية الاستراتيجية.

وفي عام ١٨٣٧ أرسل النقيب هينز الذي كان يعمل في مسح الساحل العربي رسالة إلى مشـرف البحرية الهندية بحكومة بومباي وضـح فيها: "**أن السـواحل العربية والبحرية في خليج عدن أصــبحت غير آمنة إلى حد كبير من الجرائم المرتكبة بحق الســفن التجارية؛ بســبب تجاوزات بعض اللصوص بالاعتداء على السفن تحت الحماية الإنكليزية، وأخذهم حتى ملابس أصـحاب السـفن وإحراق سـفنهم، وقد أظهر سـلطان عدن ولحج محسـن بن فضـل العبدلي اهتمامه في معاقبة المسـيئين، وقد طلبت حكومة بومباي من المشـرف على البحرية الهندية أن يأمر قائد السـفينة بتوفير الحماية للسـفن جميعها التي تبحر تحت العلم البريطاني، وفي حالة غضب يرتكب ضدها للمطالبة بإنصاف من رئيس المخالف وتحذيره من استياء الحكومة الإنكليزية في حال رفضـه الامتثال للأوامر؛ لذلك أحالت حكومة بومباي القضـية إلى حكومة الهند، التي ردت في (١٠ أبريل ١٨٣٧) أنه من المهم جداً حماية التجارة، واســتخدام هذه الأساليب التي تم اعتمادها من قبل حكومة بومباي؛ لحماية التجارة**"[(١)].

وقد كتب حاكم بومباي معلقاً على مطامع محمد علي: "**إن مطامع محمد علي في الجزيرة العربية يجب أن تكبح قبل أن يستفحل أمرها**"، وأضاف وزير خارجية إنكلترا بالمرستون: "**إن إنكلترا العظمى لا يمكنها أن تقف غير مبالية أمام أية محاولة من قبل محمد علي باشــا لغزو البلاد الواقعة فيما وراء مدخل البحر الأحمر أو احتلالها، كما وأنها لا تريد أن ترى القوات المصرية تستمر في احتلال اليمن**"[(٢)].

وفي عام ١٨٣٨أرســل القنصــل الإنكليزي في مصــر كامبل تقريراً إلى وزارة الخارجية الإنكليزية يؤيد فكرة احتلال عدن، ولاســيّما بعد دخول محمد علي الدخول إلى اليمن؛ ليمنع مد نفوذه إلى البحر الأحمر، ومن أجل مصالح إنكلترا التجارية.

وفي عام ١٨٣٨بعث السير روبرت جرانت (Sir. Robert Grant) حاكم بومباي رسالة إلى رئيس مجلس إدارة شركة الهند الشرقية بلندن بشأن أهمية عدن، فقال: "**إن عدناً بالنسبة لنا لا تقدر بثمن. فهي تصـلح كمخزن للفحم طيلة فصـول السـنة، ويمكن أن تكون ملتقى عاماً**

---

(١) For. Cons., \0th April 1837, Nos. 40-42. Ney Elias, India Foreign and Political Dept, Precis of Papers Regarding Aden, 1838-1872, Government central branch Press,p1-2.

(٢) سلطان ناجي، التاريخ العسكري لليمن ١٨٣٩-١٩٦٧ دراسة سياسية والأنشطة العسكرية بالأوضاع والتغيرات السياسية، دائر ة التوجيه المعنوي، صنعاء، ط٣، ٢٠٠٤، ص٢١.

للسفن المستخدمة طريق البحر الأحمر وقاعدة عسكرية قوية بواسطتها يمكننا أن نحمي ونستفيد من تجارة الخليج العربي والبحر الأحمر والساحل المصري المحاذي الغني بمنتوجاته. وعدن كجبل طارق متى ما أصبحت في أيدينا ستكون صعبة المنال من البر والبحر. إنني أنظر إلى الموضوع بشمول وعمق أكثر فهناك أمتان تتآمران علينا وتودان القضاء على نفوذنا في الشرق، الأولى: روسيا القيصرية وتتجه نحونا من خلال إيران، والثانية: فرنسا وهي آتية من خلال مصر. وحتى تتصدى لهذه التهديدات يتحتم على إنكلترا أن تعد لنفسها مراكز دفاعية خارج الحدود الحدود"[١].

وبما أن لعدن دور رئيس على طريق البحر الأحمر المؤدي للهند، فقد أرادت إنكلترا السيطرة عليها بجعلها محطة تجارية، وقاعدة عسكرية لها، وبالتالي باستطاعتها منع أي قوة أخرى تسيطر على الطريق التجاري الواصل إلى الهند عبر البحر الأحمر. ومن هنا نلاحظ تداخل المصالح الاقتصادية والعسكرية لإنكلترا؛ لذا أقدمت إنكلترا على احتلال عدن خصوصاً بعد أن فشلت محاولاتها في استخدام أساليب الضغط السلمي، والمفاوضات للاستحواذ على عدن.

وأخيراً يمكن القول: إن احتلال إنكلترا قضى على سياسة محمد علي التوسعية، وفي هذه الحالة استطاعت إنكلترا إيجاد جبهات لتطويق مصر سواء من ناحية الجنوب عن طريق عدن التي حولتها إلى قاعدة عسكرية باستطاعتها؛ استقطاب قواتها من الهند، أومن ناحية الشمال لوجود قواعد إنكليزية في مالطة وجبل طارق[٢].

٢-استيلاء إنكلترا على عدن ومواقف الدول الأوروبية منها:

وضعت إنكلترا الذرائع لاحتلال عدن من سلطان لحج رغم علاقتها الودية مع السلطنة العثمانية؛ لذا لم تتحرك إلا وفق خطة منهجية، وجاءت الفرصة عندما ارتطمت سفينة تدعى دريا دولت(Duria Dowlat) وهي ملك السيدة بيجم الهندية بنت أخت حاكم مقاطعة الكارناتيك الهندية بالقرب من شواطئ عدن؛ بسبب إهمال من قبل بحارتها، فقام الأعراب بنهب السفينة، وأهانوا الركاب إلى أن رجعوا إلى الهند عن طريق سفينة إنكليزية تابعة للكابتن هينز، وعلى إثر

---

(١) ناجي، التاريخ العسكري...، ص٢١.

(٢) محمد، الصراع الدولي...، ص١٢٣.

تلك الحادثة طالبت إنكلترا عن طريق الكابتن هينز التعويض حكومة إنكلترا من خلال شـــراء عدن، وبذلك لمنع وجود أي قوة تهدد توسعها في المنطقة [١].

بينما أشـــارت وثيقة إنكليزية بخصـــوص حادثة الســـفينة دريا دولت: أنه في يناير ١٨٣٧دمرت دريا دولت على ساحل عدن، وهي سفينة مدراس شحن أساساً من كلكتا وساحل مالابار كانت تبحر تحت راية العلم الإنكليزي؛ مما أدى إلى وفاة عدد من البحارة والركاب، ثم رفض سكان عدن مساعدة الطاقم، وتزويده بالمؤونة، وفي محاولة لإنقاذ أنفسهم نجح عدد من أفراد الطاقم الوصول إلى الشاطئ، ولكنهم سرقوا من قبل سكان المدينة، وجردت بعض النساء من ملابسها، وتعرضوا لسوء معاملة وكل ما هو متهم، بالرغم من أنهم ذاهبون للحج إلى مكة المكرمة، وطلبوا من سلطات عدن إنصافهم، ولكن لم يساعدهم أحد، حتى بدأت الشكوك أن ســلطان عدن ولحج محســن بن فضــل العبدلي قد أخذ جزءاً من الغنائم، كما أنه متواطئ مع ضـــباطه في هذه الحادثة، وفي ظل هذه الظروف أرســل الكابتن هينز طلبات اقترحتها حكومة بومباي لإنصـــاف طاقم الســفينة، وأخذ عدناً ســلمياً، ووضــعها تحت حماية إنكلترا. وفي ٢٧ ســبتمبر ١٨٣٧ قدمت حكومة بومباي اقتراحاً للاســتيلاء على ميناء عدن؛ لأهميتها بالنســبة لإنكلترا كمحطة بحرية تجارية وقاعدة عسكرية على ساحل البحر الأحمر، لكن الإهانات التي قالها السلطان بحق العلم الإنكليزي، كانت في رأي إنكلترا في بومباي سبباً كافياً لاحتلالها قسراً، وعلاوة على ذلك، كان للأمريكيين مطامع للحصول على مضيق باب المندب؛ فضــلاً عن كل هذا كانت حكومة بومباي تخشـــى أنه إذا لم تتخذ تدابير فورية؛ لضـــمان احتلال إنكلترا ســـوف يســيطر عليها محمد علي، ومع ذلك اعتقدت حكومة الهند، أنه ليس من المناســب الاســتيلاء على المدينة؛ بسبب نهب سفينة دريا دولت، حتى لو كان هذا الغضب عدّه سبباً كافياً لتسويغ مثل هذا الإجراء؛ فضلاً عن ذلك قد يحدث تصادم مع القوى المصرية أو العربية المتواجدة في المنطقة، ولذلك طلب من حكومة بومباي أن تطالب بالرضـــا عن الغضـــب الذي ارتكب بحق سفينة دريا دولت. إذا ما تم منحها بعض الترتيبات الودية قد تكون مع السلطان للسيطرة على الميناء، فسيتم رفض اتخاذ مزيد من التدابير اللازمة، وفي الوقت نفسه سيقدم تقرير يبين الحالة السياسية لعدن والدول المجاورة لها[٢].

---

(١) سيار جميل، تكوين العرب الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٧، ص٤٩٥.

(٢) Far. Cons., 16tA October 1837, Nos. 6-12., Elias, India Foreign and Political Dept, Precis of Papers Regarding Aden, 1838-1872, op. cit, p2.

بناءً على ما تقدم، يمكن القول: إن السفينة منذ تحطمها، ونهبها من قبل سكان المدينة، وعدم مساعدة الطاقم لها حسب تصور إنكلترا كانت السبب وراء سيطرة إنكلترا على عدن، طالما أن السفينة تحت راية العلم الإنكليزي، ومن خلال هذا المنظور، بدأت إنكلترا توجه سياستها نحو وضع خطة مدروسة للحصول على عدن سلمياً؛ بسبب وجود عدد من القوى التي شعرت إنكلترا بخطرها عليها كأمريكا ومصر؛ بذريعة إنصاف طاقم السفينة، وإذا لم تستطع الحصول سلمياً على عدن عليها اتباع أساليب أخرى مستعينة بتقارير أرسلت لها لدراسة الحالة السياسية لعدن ، والدول المحيطة بها.

وبعد هذا التقرير الذي كتبه هينز قرر حاكم بومباي روبرت جرانت الاستيلاء على عدن سلمياً في البداية عن طريق المفاوضات، وإن فشلت هذه المفاوضات الذهاب نحو المنحى الحربي.

أجرى الكابتن هينز مفاوضات مع سلطان لحج محسن بن فضل، فقد حاول هينز إقناع سلطان لحج التنازل عن عدن، والنقاط المحيطة بها، وحاول إغراءَه بالمزايا التي سوف تقدم له إذا تعاون مع إنكلترا بأنه سوف يصل لمرتبة الشرف، والسماح له بالاحتفاظ بممتلكاته، وأن إنكلترا سوف توفر له حماية السفن التجارية الخاصة للسلطان، وتسمح لسفنه العمل تحت راية العلم إنكليزي [١].

كما أرسل الكابتن هينز تقريره إلى المشرف على البحرية الهندية عن الإجراءات المتعلقة بنقل عدن إلى إنكلترا يذكر فيها: أنه دفع إلى سلطان لحج مبلغ من المال ٨،٧٠٠ دولار سنوياً مقابل التنازل عن عدن، ويصبح بعد ذلك صديق إنكلترا، ويتم تأمينه من أي عدوان خارجي، وقد كان سلطان لحج يشعر بمخاوف تجاه هذه الصفقة؛ لأنه إذا وافق على هذه الصفقة سيعدّ خائناً لبلده؛ لكونه باع وطنه للإنكليز، وبالوقت نفسه وجد الصفقة من مصلحته؛ لكي يتخلص من التعويض، ويستفيد من المال، وعندما أراد سلطان عدن ولحج فضل بن محسن العبدلي التوقيع على الصفقة رفض ابنه حامد هذه المعاهدة، وقرر اغتيال الضابط البريطاني، وأخذ الأوراق والتقارير المتعلقة بشأن عدن، فلم يحضر هينز لتوقيع الاتفاق، فقد أنقذه تاجر يدعى

(1) No. 23, Captain Haines to the Sultan of Aden11th January 1838, Indian Papers No IX: Correspondence relating to Aden, 28 May 1839, p18.

الحاج حسين من المؤامرة التي تهدف لقتله[١]، فبعث ابن السلطان إلى الكابتن هينز رسالة قائلاً له:" **إذا كنت تريد أن تمتلك عدن، فإن أهل عدن لا يريدونكم، صـــدقني فإن ما أقوله هو الحقيقة، فلن يبرح أهل عدن منازلهم حتى الموت**"[٢].

وقال مهدداً أيضـاً:"...**إن كلمتي هي العليا، فإذا جئت عدن لمقابلة السـلطان فتحنا لك الباب وقطعنا رأسك بالسيف، وهكذا عادة البدو**"[٣].

ويمكن القول، إن اتباع إنكلترا للأســاليب الســياســية من أجل الســيطرة على عدن، قد أظهرت فشلها، فارتأت أن تقوم باحتلال عسكري لعدن إن لم يوافق سلطان عدن ولحج محسن بن فضـــل العبدلي على مطالب إنكلترا، وفي عام ١٨٣٨ عاد هينز إلى عدن في محاولة له للسيطرة عليها، فهدد بإرسال حملة عسكرية على عدن إن لم يتنازل السلطان عنها، فجاء الرد من اليمنيين أنهم سوف يقطعون رأسه، ويعلقونه على باب عدن إذا تمادى في مطالبه أكثر من ذلك، وفي ٢٠ تشرين الثاني عام١٨٣٨ وجّه أهالي عدن طلقات نارية على سفينة هينز وزوارقها التجســـســـية، وبعد حروب ومناوشـــات متقطعة طلب هينز من حكومة بومباي أن تمده بالقوة الحربية اللازمة لاحتلال عدن، قبل أن يقوم السلطان بمقاومة احتلال إنكلترا، وتم حصار ميناء عدن من قبل هينز؛ لمنع قدوم المؤن والبضائع التجارية ريثما تصل قوات إنكلترا[٤].

وبناءً على ما تقدم، كلفت إنكلترا الكابتن ســـميث التوجه على متن ســـفينة فولاق ذات الثمانية والعشــرين مدفعاً، كما كلفت الميجر بيلي على رأس ســفينة كروزر ذات عشــرة مدافع، وعليها ثلاثمائة أوروبي من أجل التوجه إلى عدن، بعد توجيه إنذار أخير لســـلطان عدن ولحج محســن بن فصــل العبدلي الموافقة على مطالب إنكلترا في التنازل عن عدن، لكن الســلطان رفض المطالب، فقامت إنكلترا بأمر من الكابتن هينز بضــرب المدينة بالقنابل، ثم الهجوم عليها فأمر السـلطان الحامية بالدفاع عنها، ولكن في النهاية تفوقت إنكلترا، واسـتولت على عدن حيث بلغت خسائرها نحو ١٥ قتيلاً، أما من الجانب العربي نحو مائة وخمسين بين قتيل وجريح[٥].

---

(1) No. 27,Captain Haines to the Superintendent of the 1838Indian Navy,3dFeb1838, Indian Papers No IX: Correspondence relating to Aden, op. cit, p21-24 .

(٢) البطريق، من تاريخ...، ص٩٠. طه، سياسة بريطانيا...، ص٩٣.

No 43, Sultan Hamed t0 Capuin Haines 29th January1838, Ibid, p29-30.

(٣) العبدلي، هدية من ...، ص١٤٤.

(٤) ناجي، التاريخ العسكري ...، ص٢٢.

(٥) بلايفير، تاريخ العربية ...، ص١٦٠-١٦١.

وهكذا سقطت عدن رغم المقاومة التي أبداها سكان عدن تجاه مدينتهم إلا أنهم خسروا الحرب لتفوق إنكلترا بالعدد والعتاد بعد معركة قاسية[١]، ولابدّ لنا من أن نطرح سؤالاً ما مواقف الدول الإقليمية والدولية من احتلال إنكلترا لعدن؟

في واقع الأمر، استطاعت إنكلترا اتباع سياسة السيطرة على عدن، والتدخل في شؤونها، وهذا ما جعلها ترسِّخ أقدامها في الميناء، وحققت ضربة قاسية في وجه طموحات محمد علي الذي بذل جهوداً حثيثة لدعم إدارته في اليمن، والتقرب من أهالي البلاد[٢]، لكن إنكلترا لم تعترف بالنفوذ المصري في عدن، ولاسيّما أن عدناً كانت مستقلة بذاتها آنذاك تابعة لسلطان لحج، وقد ترتب على ما سبق، ضرورة قيام إنكلترا بتدعيم نفوذها في عدن، حيث عينت هينز وكيلاً سياسياً لها فيها، حين رأى الأمر أن يحيط إبراهيم يكن قائد للقوات المصرية في اليمن علماً بسيطرتهم على عدن، فكتب إليه رسالة يقول فيها:" **لي الشرف أن أفيدكم بأن عدناً أصبحت ملكاً للحكومة البريطانية منذ ١٩ يناير ١٨٣٩، وقد حالت مشاغل كثيرة دون إفادتكم بهذا النبأ السعيد وأتمنى أن تكونوا متمتعين بكامل الصحة**"[٣].

من هنا وجدت إنكلترا أن مصالحها لا بدَّ من تأمينها من خلال تحذير محمد علي من التقدم نحو الجنوب، فما كان من إبراهيم باشا يكن إلا أن أرسل لمحمد علي تفاصيل احتلال إنكلترا لعدن، وخطورة تداخل الأراضي بين عدن والمناطق التي تحت النفوذ المصري، وعن اتخاذ إنكلترا إجراءات عديدة، منها: إدخال معدات حربية عن طريق عدن لم يكن مسموحاً لها بالدخول سابقاً، وهذا ما يشكل عائقاً كبيراً أمام جمرك المخا خصوصاً من ناحية الإيرادات؛ فضلاً عن قيام إنكلترا بتهجير الصناع والعمال بعد إغرائهم بمبالغ مالية مرتفعة؛ مما سبب مخاطر اقتصادية على ميناء مخا [٤].

في حقيقة الأمر، أن النفوذ المصري أصبح مهدداً بشكل خطير أمام مشاريع إنكلترا الاستعمارية، وغدا موقف محمد علي في اليمن حرجاً، فما كان منه إلا أن قدم مشروعاً لإمام صنعاء الناصر عبد الله يتعهد فيه أن يمد الإمام بالمؤن والعتاد والرجال إذا فكر بمهاجمة إنكلترا

---

(١) يذكر أنه في ذكرى مقاومة عدن للاحتلال الإنكليزي: أهديت الملكة البريطانية ثلاثة مدافع نحاسية من المدافع اليمنية، استخدمت في معركة صيرة، وفيما بعد وضعت تلك المدافع في برج لندن، ومن نحاس هذه المدافع كانت تصنع الميداليات الإنكليزية التي تمنح؛ تقديراً للخدمات العسكرية الممتازة في سبيل الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس. ناجي، التاريخ العسكري ....، ص٢٥.

(٢) البطريق، من تاريخ...، ص١٨٩.

(٣) البطريق، من تاريخ...، ص٩١.

(٤) البطريق، من تاريخ...، ص٩٢.

وطردها من عدن، واسترجاع الأراضي للإمام عقب انتهاء الحرب، وأما مشروعه الآخر، فهو القبول بالسيادة المصرية على صنعاء مقابل مبلغ من المال كمرتب له بقية حياته، إلا أن الإمام ناصر رفض المشاريع؛ بذريعة سوء الأوضاع، وضعف إمكاناته [١].

وانطلاقاً من ذلك، لم يستطع محمد علي الوقوف بوجه إنكلترا التي أرسلت له رسالة حذرته من التحرك ضد مشاريعها الاستعمارية في المنطقة، ففي عام ١٨٣٨ أرسل بالمرستون رئيس الوزراء البريطاني إلى محمد علي رسالة طلب فيها سحب جنوده من المنطقة العربية التابعة للسلطنة العثمانية، وتم ذلك عام١٨٤٠[٢].

بينما التعرض لتفاصيل موقف السلطنة العثمانية يتطلب الكشف عن الأوضاع العامة، فقد كان موقفها صعباً؛ كونها تعدّ نفسها صاحبة السيادة الاسمية على عدن، فأرادت إنكلترا أن يكون تواجدها شرعياً في المنطقة؛ لذا عقد اللورد بالمرستون مع السلطنة العثمانية عام ١٨٣٨ معاهدة تسمح للإنكليز التجارة في الممالك العثمانية، وأن تكون عدن مركزاً تجارياً لإنكلترا، فأصدر السلطان عبد المجيد فرماناً بذلك، ولكن هذا الفرمان وحده لا يكفي لسيطرة إنكلترا؛ لأن السيادة الحقيقية كانت للعرب، فما كان منها سوى اختراع حادث لاحتلال عدن في وسط الصمت العثماني [٣] الذي يعاني الضعف والترهل في الوقت الذي تطلعت فيه الدول الأوروبية إلى اقتسام أملاكها، بينما تمسكت إنكلترا بمواقفها في الحفاظ على سلامة السلطنة العثمانية، مع تقليص الوجود المصري في داخل الولاية[٤].

أما مواقف الدول الأوروبية بشأن احتلال إنكلترا لعدن لم تختلف عن الموقف العثماني، على رغم اعتراض بعضهم كفرنسا، إلا أنهم أدركوا دور إنكلترا في تحديد مصير المنطقة، ودوره الخطير المؤثر في المصالح الأوروبية في البحر الأحمر بشكل عام، واليمن بشكل خاص [٥].

من المؤسف القول: إن السلطنة العثمانية شعرت أنها تدين لإنكلترا بمواقفها؛ لذا لم يكن لها أي اعتراض على سيطرة إنكلترا لعدن التي اهتمت بهذا الموقع الاستراتيجي، وحاولت منع أي خطر يهدد طريق مواصلاتها باتجاه الهند.

---

(١) العمري، مئة عام ...، ص٢٧٦.

(٢) البطريق، من تاريخ...، ص٩٤. أمين الريحاني، ملوك العرب رحلة في البلاد العربية مزينة برسوم وخرائط وفهرست أعلام الحجاز – اليمن – عسير –لحج والنواحي المحمية، ٢ج، دار الجبل، بيروت، ط٨، ١٩٨٧، ج١، ص٤١٤.

(٣) أباظة، الحكم العثماني في اليمن...، ص٤٥. الريحاني، ملوك العرب ...، ج١، ص٤١٤.

(٤) مجموعة مؤلفين، مجمل في التاريخ المصري، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٤٢، ص٣٣٧.

(٥) أباظة، عدن والسياسة...، ص٢٢٥.

ثالثاً-المعاهدات التي أسهمت في تعزيز الوجود الأوروبي في المنطقة:

لا يمكن إغفال الدور الذي أدته الامتيازات الأجنبية في إضعاف السلطنة العثمانية، ويعد هذا السلاح أحد أكبر التحديات التي واجهتها السلطنة العثمانية، لاسيّما أن الدول الأوروبية أدارت دفة الصراع لصالح مصالحها الاقتصادية في البحر الأحمر الغني بالخامات، والموارد الطبيعي، وبذلك حافظت الدول الأوروبية على استمرار الهيمنة السياسية والاقتصادية.

إلا أن ظهور حركة محمد علي وتناميها، وتصاعد نفوذه في منطقة المشرق العربي بشكل عام والبحر الأحمر بشكل خاص عرض مبدأ توازن الدول الأوروبية للخطر، فسارعت إنكلترا إلى تزعم الرأي الدولي ضد سياسة محمد علي، وتقوية نفوذها في المنطقة حيث عدّت امتداد نفوذ محمد علي هو امتداد لنفوذ عدوتها فرنسا، وبدأت تفكر جدياً بضرب محمد علي، وتأليب القوى الكبرى؛ لإجهاض أي قوة ناشئة في ظل الظروف الدولية الراهنة آنذاك.

وعلى ضوء هذه النقاط سنحاول الإجابة عن التساؤلات الآتية: ماهي سلسلة المعاهدات التي استخدمتها إنكلترا لإنهاء محمد علي اقتصاديا وسياسيا؟ هل شكلت معاهدة بلطة ليمان بداية إنهاء الاحتكار لدى محمد علي، وما آثارها في الصراع الدولي في منطقة البحر الأحمر؟ لماذا كانت إنكلترا المبادر الأول في إجراء معاهدة لندن وما آثارها في منطقة البحر الأحمر؟

١- معاهدة بلطة ليمان ١٨٣٨:

ارتبطت معاهدة بلطة ليمان بالاتجاهات الاستعمارية لإنكلترا، حيث كانت ضرورة لتعويض بلادها بالمكاسب الاقتصادية التي ازدهرت فيها التجارة في تلك الفترة؛ لذا حاولت إنكلترا الضغط على السلطنة العثمانية؛ من أجل إنهاء الاحتكار التجاري، ولكن وجود محمد علي عثرة أمام الطموحات الأوروبية؛ لأنه أراد الحفاظ على سياسته الاحتكارية، فعقدت إنكلترا معاهدة بلطة ليمان (بالقرب من استانبول) [1]، مع السلطنة العثمانية ١٦آب عام ١٨٣٨ في الوقت الذي أرادت فيه إنكلترا احتواء السلطنة العثمانية، وإبعادها بشكل دبلوماسي عن روسيا التي دخلت بقوة إلى مسرح الأحداث الدولية، ووقعت مع السلطنة العثمانية اتفاقية هنكار أسكلة سي، وهذا ما من شأنه أن يهدد إنكلترا ووجودها، فما كان منها إلا التدخل لصالح السلطنة

---

(١) بلطة ليمان: قرية صغيرة على بوغاز البوسفور من تركيا الأوروبية بالقرب من إستانبول، واشتهرت بإمضاء هذه المعاهدة بها. المحامي، تاريخ الدولة...، ص٤٩١.

العثمانية[١]، ومساعدتها من الناحية العسكرية سواء في التدريب، أو تقديم بعض القطع العسكرية لها؛ فضلاً عن توقيعها معاهدة بلطة ليمان خصوصاً أن محمد علي باشا قام بإعادة مكانة مصر التجارية عن طريق فرض الأمن والأمان في البحر الأحمر، وخليج عدن، وذلك بإنهاء ظاهرة القرصنة، وتزويد الطرق بمحطات استراحة؛ لنقل حركة التجارة الدولية من السويس إلى القاهرة، حيث تنقل بالنهر إلى الإسكندرية، ثم إلى أوروبا؛ فضلاً عن نقل الطرود البريدية من الشرق إلى الغرب عن طريق الأراضي المصرية[٢]، كما عمل على حرمان التجار الأجانب من الامتيازات التي منحتها لهم السلطنة العثمانية، وأغلق أسواق مصر أمام المنتجات الأوروبية في الفترة التي كانت الدول الأوروبية تبحث عن أسواق جديدة لها، ومعارضته لإنكلترا في إنشاء قناة تربط البحر المتوسط بالأحمر عبر بور سعيد – السويس، بذلك أصبح عثرة أمام الاقتصاد الأوروبي والتوازن الدولي[٣].

إذاً كانت الاتفاقية ضربة قاسية لنظام محمد علي الاحتكاري الذي هدف إلى حماية السوق المصرية من البضائع الأجنبية، فهذه المعاهدة كانت بمثابة تشجيع للبضائع الأجنبية للداخل العثماني؛ مما سببت منافسة كبيرة للإنتاج المحلي، ومن أهم بنود هذه المعاهدة:

أ- إعطاء إنكلترا امتيازات تخولها ممارسة التجارة بحرية في أراضي السلطنة العثمانية جميعها بما فيها مصر وبلاد الشام، وهذا ما من شأنه ضرب مصالح محمد علي، وطموحاته في البحر الأحمر؛ أي بمعنى السماح لإنكلترا دفع الرسوم بنسبة أقل من غيرها تبعاً لأي معاهدة تفرض عليها.

ب- كما نصت المعاهدة على تحريم الاحتكار الجمركي على بضائع إنكلترا الواردة إلى أراضي السلطنة العثمانية بنسبة ٣% من ثمنها، و٩% عند بيعها، وإقرار حرية التجارة.

ج- كما سمحت هذه الاتفاقية للإنكليز حق الملكية وحمايتهم؛ فضلاً عن حماية ممتلكاتهم.

د- فرض ضريبة ١٣% على الصادرات، و٥% على الواردات [٤].

---

(1) Pigman, Geoffrey Allen. Trade Diplomacy Transformed: Why Trade Matters for Global Prosperity. Lulu. Com, 2016, p35.

جمال محمود حجر، القوى الكبرى والشرق الأوسط (في القرنين التاسع عشر والعشرين)، تقديم: عمر عبد العزيز عمر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩، ص٤٤-٤٥. السالم، الحكم المصري ...، ص٤٧.

(٢) نشأت الديهي، محمد علي باشا، بدايات قاسية ومجد عظيم، دار الجمهورية للصحافة، مصر، ٢٠٠٩، ص١٣١-١٣٢.

(٣) جميل، تكوين العرب...، ص٣٣٢.

(٤) قاسم، صفحات من...، ص٤٢١.

وبناءً على ما تقدم، نرى أن إنكلترا حققت مكاسب تجارية على الأراضي العثمانية أكثر بكثير مما كانت عليه سابقاً، كما أنها حققت مكاسب سياسية؛ فوضحت لروسيا أنه ليس من حقها الاستمرار في سياستها بهدف الوصول إلى المياه الدافئة، ومن ثم الوصول إلى البحر المتوسط، ثم إكمال طريقها إلى البحر الأحمر، وهذا يعدّ تهديداً لمصالح إنكلترا في المنطقة، كما وضعت نقطة النهاية لاحتكار محمد على للبضائع المارة عبر طريق البحر الأحمر، وغيرها من المناطق التي سيطر عليها محمد على باشا، والسؤال الذي يطرح نفسه: ما موقف محمد علي باشا من تطبيق هذه المعاهدة؟

أدرك محمد علي خطورة هذه المعاهدة، وما يترتب عليها من آثار سلبية؛ كونه أراد حماية الإنتاج المحلي في مصر، وتسويقه إلى الخارج، ولاسيّما أن إنكلترا فكرت في إنهاء مشروع محمد علي باشا المتمثل بالسيطرة على الدول الواقعة على البحر الأحمر والخليج العربي كونها من الطرق المؤدية إلى الهند، والاستقلال عن السلطنة العثمانية[١]؛ لذا لم يعلن محمد علي باشا قبوله، ولا رفضه لهذه المعاهدة، حيث تهرب من وكلاء الدول الأوروبية؛ بذريعة أنه في رحلة إلى السودان، ولكنه في الواقع لم يرد مواجهة تلك الدول، في حين وافقت فرنسا على هذه المعاهدة في نوفمبر ١٨٣٨م؛ بذريعة أنها توافق على المبادئ الإنسانية [٢].

وفي واقع الأمر، كان رد إنكلترا على موقف محمد علي باشا اتخاذها الهجمات المضادة ضده؛ لإجباره على قبول المعاهدة من خلال استغلال الأزمة السياسية بين محمد علي والسلطان العثماني في أثناء توسعه في بلاد الشام، وتهديده للسلطنة العثمانية، ففرضت معاهدة لندن على محمد علي عام ١٨٤٠ وقبول معاهدة بلطة ليمان عام ١٨٣٨.

٢- معاهدة لندن ١٨٤٠:

لفهم طبيعة التحولات والأحداث التي شكلت معاهدة لندن، وآثارها في أوضاع البحر الأحمر، لا بدَّ لنا من التوقف قليلاً عند الخلافات التي كانت دائرة بين السلطان العثماني ووالي مصر محمد علي باشا بعد أن وصلت توسعاته إلى مناطق شاسعة، من خلال الدولة وتوطيد أركان دولته الناشئة؛ لذا أراد الانفصال عن السلطنة العثمانية.

إن تردي الأوضاع العامة في السلطنة العثمانية أسفر عن نشوء مسألة الاهتمام بتأمين المنطقة وهذه بغاية الأهمية لإنكلترا حيث عينت ضابطاً إنكليزياً في الجيش العثماني لمراقبة

---

(١) السالم، الحكم المصري...، ص٤٨.

(٢) الرافعي، محمد...، ص ٢٧١-٢٧٢.

تحركات محمد علي باشا، وتأليب الناس ضده في الشام كما وضحت إنكلترا على لسان سفيرها في إستانبول اللورد بونسبوني (١٨٣٢-١٨٤٢) (ponsonpy) أن أسطول إنكلترا لن يعترض تحرك القوات العثمانية باتجاه الشام؛ لمحاربة محمد علي باشا في محاولة لاسترداد ما سلب منها، وعبر هذا المسار اتخذت إنكلترا منهجها بمحاولة منع محمد علي الانفصال عن السلطنة العثمانية، والمحافظة على كيانها، أما فرنسا فقد هيأت الساحة الدولية مع إنكلترا للوقوف موقف حاسمٍ بوجه روسيا التي تريد الانفراد بقرار السلطنة العثمانية ومصيرها، وهذا ما لم تقبله كل من إنكلترا وفرنسا، وهذا تغير لموقف فرنسا تجاه من محمد علي لصالح مبدأ التوازن الدولي[1].

واستناداً إلى مواقف كل من إنكلترا وفرنسا، فإن الهجمات العثمانية التي كانت تريد تنفيذها ضد محمد علي ستكون بموافقة هذه الدول ودعمها، خصوصاً أن محمد علي كان في السودان يبحث عن مناجم الذهب، وهذا ما أقلق تلك الدول كون محمد علي باشا سيتخلى عن الدول الأوروبية، وعلى إثر ذلك كلفت السلطنة العثمانية حافظ باشا عام ١٨٣٩ قيادة الجيش العثماني، ويقدر عدده بحوالي ٣٨ ألف جندي لملاقاة القوات المصرية في معركة نصيبين [2] بقيادة إبراهيم باشا حيث قدر جيشه بحوالي أربعين ألف جندي[3].

بعد أن قامت السلطنة العثمانية بحشد الجيوش ضد القوات المصرية اضطرت للانسحاب؛ بسبب فشلها أمام القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا الذي اكتفى باحتلال مدن بيره جك [4] ومرعش[5]، وأورفا، وعينتاب، ولكنه لم يكمل إلى القسطنطينية؛ تنفيذاً لأوامر والده بعلم من فرنسا؛ لأنهما كانا يترقبان ردة فعل روسيا خوفاً من تدخلها في الحرب، لصالح السلطنة العثمانية؛ وبالتالي فإن الخسارة التي منيت بها السلطنة العثمانية في الوقت الذي توفي فيه

---

(١)محمد فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية والإقطاع ١٧٨٩-١٨٤٨، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة،٢ج، القاهرة، ٢٠١٢، ج٢،ص١٩٣-١٩٦. ياغي، الدولة العثمانية...، ص١٤٣.

(٢) نصيبين: تسمى هذه المعركة نصيبين نسبة إلى المدينة التي جرت فيها أحداث المعركة، وتسمى أيضا نزيب (Nizip)، وهي تقع إلى الجنوب الغربي من بيره جك (الواقعة شمال شرق حلب). المحامي، تاريخ الدولة...، ص٤٥٣.

(٣) الرافعي، محمد...، ص ٢٧٤-٢٧٥.

(٤) بيره جك: وتسمى بلاجيق وهي تقع بالقرب من الحدود السورية شمال شرق حلب. المحامي، تاريخ الدولة...، ص٤٥٣.

(٥) مرعش: جنوب وسط تركيا بآسيا الصغرى تقع عند سفح جبال طوروس الشرقية قرب نهر سيحان وعلى بعد حوالي ١٥٤كم شرق أضنة كانت مدينة زاهرة تحت حكم الحثيين استولى عليها العرب (٧٠٠-١٠٩٧) ثم وقعت في قبضة الصليبيين ثم ادمجت في الإمبراطورية العثمانية وبعد ذلك سيطرت عليها القوى المصرية بقيادة إبراهيم باشا فترة من الزمن. مجموعة مؤلفين، موسوعة ...، ج٦، ص٣٠٩٩.

الســـلطان محمود الثاني وتولى عبد المجيد مكانه، أصـــبحت الســـلطنة العثمانية من جراء ذلك ضعيفة وغير قادرة على مواجهة محمد علي، فاستسلم الأسطول العثماني بقيادة فوزي باشا الذي أبحر إلى الإسكندرية، ووضع نفسه تحت تصرف محمد علي باشا [١].

إزاء هذا الوضـــع المحرج للســـلطان العثماني، اضـــطر إلى قبول المفاوضـــات مع محمد علي، لكن الدول الأوروبية رفضـــت أن يحقق محمد علي أي نصـــر، فقدم ســـفراؤها مذكرة إلى الباب العالي في ٢٧يوليو عام ١٨٣٩ يطلبون إليه باســـم الدول الخمس: النمســـا، وروســـيا، وإنجلترا، وفرنسا، وبروسيا ألا يبرم أمراً في شأن المسألة المصرية إلا بموافقتهم[٢].

ثم أجرت إنكلترا مفاوضات مع روسيا، والنمسا، وبروسيا انتهت بعقد معاهدة لندن في ١٥ تموز ١٨٤٠ بين إنجلترا، وروسيا، والنمسا، وبروسيا، والدولة العثمانية، وتعهدت الدول بمقتضى هذه المعاهدة بمساعدة السلطان فعلاً في إخضاع محمد علي، وتضمن الملحق المرفق بالمعاهدة المسائل التي تعهد السلطان بعرضها على محمد علي وهي أن يخوِّل محمد علي حكومة مصر وراثية، وولاية عكا طوال حياته، وأن يكون لمصـــر حق الاســـتقلال الداخلي بقيود متينة تربطها بالدولة مثل الجزية، وعدم تمثيل مصر في الخارج، وتحديد الجيش والأسطول، فإذا لم يقبل هذه الشروط في عشرة أيام تنقص من حقوقه ولاية عكا، فإذا تأخر عشرة أيام أخرى، ولم يقبل ترغمه الدول بالقوة على تنفيذها، وتقوم الدول بحماية السلطان وعرشه إذا ما تحركت قوات محمد علي ضده [٣].

إذاً نجح المفاوضـون في إصـدار معاهدة نظمت علاقاتها مع محمد علي وحجمته، ولكن السؤال المطروح: هل سيوافق محمد علي باشا على هذه المعاهدة؟ وما مدى تأثير هذه المعاهدة في الأوضاع في البحر الأحمر؟

لما نجحت تلك المفاوضـات اشـتعلت ثورات في بلاد الشـام عام ١٨٤٠ بدعم من إنكلترا وروسـيا؛ لتأليب الرأي العام ضـده، فما كان من محمد علي إلا إرسـال حامية عسـكرية من أجل إخماد نار الثورات، فاســـتغلت إنكلترا تلك الحادثة، وأرســـلت أســـطولها بالتعاون مع الســـلطنة العثمانية، والنمسـا إلى بيروت طالبة منه الموافقة على المعاهدة، ولكنه رفض، فاشـتبك أسـطول

---

(١) عباس عبد الوهاب علي آل صالح، (موقف الدبلوماسية الروسية من الصراع العثماني-المصري(١٨٣٩-١٨٤٠))، مجلة التربية والعلم، العراق، المجلد ١٨، العدد ٢، ٢٠١١، ص١٩.جميل، تكوين العرب ....، ص٣٣٣.

(٢) الرافعي، محمد...، ص٢٨٩.

(٣) مجموعة مؤلفين، تاريخ البحرية المصـرية، مكتبة الأهرام التجارية، مصـر، ١٩٧٣، ص٦٥٢. جميل: تكوين العرب ....، ص٣٣٤-٣٣٥.

الحلفاء مع الأسطول المصري، وكانت الغلبة للحلفاء في لبنان. حيث سقطت مدنها بيد الحلفاء مدينة تلو أخرى، كما قصف أسطول الحلفاء بقيادة إنكلترا ولاية عكا، وقد أصاب القصف مخزناً للبارود، فانفجر وأدى إلى مقتل ١٦٠٠ شخص، فاستسلمت الحاميات المصرية، ثم توجه الحلفاء إلى الإسكندرية؛ لإجبار محمد علي على إرجاع الأسطول التركي الذي استسلم في موقعة نصيبين. والموافقة على المعاهدة، وعندما لاحظ محمد علي أن هناك تغيراً في موقف فرنسا، وأن لا طاقة له في الوقوف بوجه الدول الأوروبية، قرر الموافقة على المفاوضات عام ١٨٤١ (١).

ومن أهم بنود تلك المعاهدة:

أ- منح السلطان للباشا الوراثة وفقاً للابن الأكبر سناً في العائلة، وحدد قيمة الجزية السنوية.

ب- منح محمد علي ولاية مقاطعات النوبة، ودارفور، وكردفان، وجميع توابعها.

ج- حرمان محمد علي من بناء السفن الحربية إلا بإذن خاص من السلطان العثماني.

د- يحق له بناء جيش، ولكن لا يتجاوز ١٨ ألف جندي في وقت السلم، ويزداد هذا المقدار في الحرب بناءً على الحد الذي تقرره السلطنة العثمانية، كما يحق له منح الرتب العسكرية حتى الأميرالاي أما بعد ذلك فمن حق السلطان (٢).

ح- يكون لمصر الحق في ضرب العملة من فضية، وذهبية، ونحاسية بشرط أن يكون ذلك باسم السلطان المعظم، وألا تختلف العملة المصرية عن العملة العثمانية لا في الشكل، ولافي الهيئة، ولافي العيار (٣).

وهكذا فإن الصراع على الطرق الدولية، والممرات البحرية بين القوى المصرية والدول الأوروبية، تنتهي بتحديد قوة مصر العسكرية من خلال هذه التسوية، التي انعكست "الهند، خصوصاً أن الدول الأوروبية لن تقبل أي مساومة فيما يتعلق بمسألة تقسيم السلطنة العثمانية، وتحقق أحلام محمد علي في الانفصال والاستقلال، ولاسيّما أن موقع مصر الجغرافي

---

(١) كارولين جوتييه كورخان، العلاقات المصرية الفرنسية في عهد محمد علي١٨٠٥-١٨٤٩قصة فريدة لنابليون الشرق، ترجمة: نانيس حسن عبد الوهاب، مراجعة وتقديم: مجدي عبد الحافظ، المركز القومي للترجمة، مصر، ط١، ٢٠١٥،ص٣١٣-٣١٦.

(٢) حلمي، أسرة محمد...، ص١١٩-١١٨. مجموعة مؤلفين، تاريخ البحرية...، ص٦٥٣.

(٣) السكندري، حسن، تاريخ مصر ...، ص١٩٤.

والاســتراتيجي على البحر الأحمر يُعدّ من المراكز الحيوية للدول الأوروبية؛ فضــلاً عن محاولة واليها السيطرة على الممرات البحرية.

الخاتمة

الخاتمة:

إن دراسة الصراع الدولي على البحر الأحمر بين عامي ١٧٩٨-١٨٤١دراسة تاريخية – سياسية أعطى مفهوماً جديداً للصراع عن طريق شبكة من المصالح الحيوية، بذلك اكتسب البحر الأحمر بموقعه الجغرافي أهمية كبيرة، وأتاح للدول المطلة عليه أن يكون لها دور مهم في التجارة بين الشرق والغرب، والوصول إلى المحيط الهندي والبحر الأبيض المتوسط، فأصبح ميداناً للتنافس بين القوى السياسية الدولية، وقد اتجهت دراستي لهذا الموضوع من أجل المحاولة في إبراز النزاعات السياسية ذات الطابع الدولي والإقليمي، حتى نستطيع أن نفهم بشكل أعمق طبيعة الصراعات في البحر الأحمر مع المتغيرات التي بزرت خلال هذه الفترة.

والجديد في هذه الدراسة أنها أسهمت في الكشف عن مدى ارتباط الأحداث والتطورات السياسية بالواقع الجغرافي والتفاعل السياسي – التاريخي على ضوء مصالح الدول الأوروبية والمحلية في منطقة البحر الأحمر، مع بداية مرحلة جديدة من مراحل التنافس الاستعماري على منطقة البحر الأحمر.

ومن النتائج المهمة التي تناولها البحث:

١-أحدثت الكشوف الجغرافية البرتغالية محطات تجارية كانت بمثابة أوكار للقراصنة البرتغال؛ للقضاء على النشاط التجاري الإسلامي في كل من البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي، وأدت فيما بعد إلى اكتشاف رأس الرجاء الصالح، وضرب التجارة العربية والإسلامية.

٢-بينت الدراسة أن السيطرة العثمانية على بلاد الشام ومصر فترة ١٥١٦-١٥١٧وتوسعهم باتجاه البلاد العربية وبينها البلاد الواقعة على البحر الأحمر، أكسبها واقعاً جديداً؛ كونها تحمي الممتلكات والأماكن المقدسة من البرتغاليين الذين حاولوا الوصول إلى دول الخليج والبحر الأحمر، وفي هذا الصدد كان من الأفضل لها أن تتعاون مع القوى الإسلامية التي كانت موجودة لإنهاء هذا الخطر البرتغالي، وهي السلطنة المملوكية بدلاً من التوسع باتجاه الأراضي العربية؛ لأن فترة سيطرتها على المناطق العربية لم يتعرض البرتغاليون لمقاومة حقيقية من السلطنة العثمانية لدحرهم.

٣-أبرزت الدراسة أن الوجود البرتغالي حقق مكاسب كبيرة من خلال سيطرته على الطرق التي أدت إلى الهند، وهذا ما شكل مسرحاً للصراع بين الدول الاستعمارية التي وقفت ضد

الوجود البرتغالي؛ لتحل محله في التوسع الذي تمثل في الشركات التجارية الهولندية، والإنجليزية، والفرنسية.

٤-من النتائج المهمة التي توصلت إليها الدراسة أن الحملة الفرنسية على مصر شكلت دوراً من أدوار التنافس الاوروبي خارج القارة الأوروبية، ولاسيمّا -بعد نجاح الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩-حيث وجد نابليون أن عليه السير على خطى الإسكندر المقدوني بالسيطرة على مصر؛ لأنه من الصعوبة ضرب إنكلترا في الجزر التابعة لإنكلترا، والتغلب على أسطولها القوي، فأطلقت فكرة ضرب مصالح إنكلترا في الطرق المؤدية إلى الهند، وهذا ما جعل طريق البحر الأحمر يتحول إلى طريق صراع بين فرنسا وإنكلترا.

٥-بلورة سياسة نابليون الخارجية في مواجهة إنكلترا من خلال حصار قاري على تجارة إنكلترا بعد الفشل في إذلال إنكلترا عسكرياً، حيث تبنت كل من بروسيا، وروسيا والنمسا، والدنمارك قوانين الحصار القاري التي تمثلت بإقفال المرافئ والأسواق بوجه السفن والبضائع التابعة لإنكلترا، مما حدا بتوجه أنظار إنكلترا نحو مصر البلد المطل على البحر الأحمر لكسر هذا الحصار.

٦-حاولت الدراسة أن تبرهن أن إنكلترا قامت بتشكيل حملة بقيادة فريزر على الرشيد؛ من أجل تحقيق مكاسب سياسية في مصر، وضمان مصالحهم الاستعمارية، والوقوف بوجه أطماع فرنسا، والقوى المحلية، ولكن فشلت بتحقيق أهدافها بعد أن تصدى لها أهالي مصر بالتعاون مع محمد علي باشا التي انتهت بموجب اتفاقية سنة ١٨٠٧.

٧-أكدت الدراسة أن الحرب الروسية العثمانية في الأساس؛ نتيجة الأطماع الروسية في السيطرة على السلطنة العثمانية، وممراتها؛ البوسفور والدردنيل نحو مياه المتوسط الدافئة؛ لإدراك روسيا أهمية المنافذ البحرية على المتوسط، والاتجاه فيما بعد إلى البحر الأحمر ليكون لها دور قيادي والفعال في التجارة العالمية.

٨-وضّحت الدراسة أن الوجود المصري المتمثل بالوالي محمد علي باشا استطاع بسط نفوذه في السودان محققاً وحدة وادي النيل، وأنحاء الجزيرة العربية، فوصلت قواته إلى اليمن جنوباً، والخليج شرقاً حتى الإحساء، والقطيف، والوصول إلى بلاد الشام؛ تعويضاً لما خسره في حروب شبه جزيرة المورة، فقد تقدمت القوات المصرية، ودخلت عكا، ودمشق، وحمص كما دخلت الأناضول وتمركزت في أضنة، وانتهت الحرب السورية بعد عقد صلح كوتاهية التي تم بموجبه توسيع نطاق مصر، وبسط نفوذها على سورية وأضنة، والاعتراف بسلطتها على كريت وجزيرة العرب، بعد أن أصدر السلطان العثماني فرماناً بتجديد ولاية ابنه إبراهيم باشا على جدة

مع مشـيخة الحرم المكي؛ وذلك كله رغبة من محمد علي باشـا في إحياء الطريق التجارة القديم الذي يمر بالبحر الأحمر.

٩-حاولت الدراسة أن توضح حقيقة خشية إنكلترا من وجود أي قوى إقليمية أو دولية على البحر الأحمر والخليج العربي؛ لضـــرب مصـــالحها على طريق الهند لذلك عملت على عقد معاهدات مع شـــيوخ الخليج وأمرائه، وقامت بتقوية القوى المناوئة لقوات محمد علي في اليمن كثورة تركجة بيلمز، والتعاون مع السلطنة العثمانية ضد الوجود المصـري، وتدخلت في جنوب شبه الجزيرة العربية باحتلال عدن سنة ١٨٣٩وعقد معاهدات سياسة واقتصادية كمعاهدة بلطة ليمان ومعاهدة لندن، فاضطرت محمد علي الانسحاب نحو ولايته في مصر.

١٠- سعت الدراسة الكشف عن ملابسات دعم فرنسا لمحمد علي في بدايات وجوده في البحر الأحمر، حيث عُدّت أن تدمير إنكلترا في المنطقة عن طريق الانخراط في اســـتراتيجية استعمار الشرق، أو الوصول بشكل غير مباشر إلى القوى التي تشكل خطراً على إنكلترا، ولكن عندما شـــعرت بوجود التهديد الروســـي قررت الانتقال إلى وضـــع اســـتراتيجيات معينة تخدم مصالحها الاستعمارية بالتخلي عن محمد علي باشا في معاهدة لندن حتى لا تقع ضحية العزلة السياسية فترة تفوق إنكلترا.

الملاحق:

ملحق رقم (١)

خريطة البحر الأحمر

روجيه جوانت دا جنت، تاريخ البحر الأحمر من موسى حتى بونابرت، ترجمة حسن نصر الدين، مراجعة وتقديم: محمد عفيفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة،٢٠١٣، ص٣٩٨.

ملحق رقم (٢)

خريطة السودان ١٨٢٠

رفعت، تاريخ مصر...، ص١٠٦.

ملحق رقم (٣)

الوضع المالي للولاية المصرية ١٧٩٨-١٨٤٢

الأرقام المذكورة الأقرب للجنيه المصري

السنة	العوائد	المصروفات	الفرق
١٧٩٨	١٥٨،٧٢٤	١٣٥،٨٨٧	٢٢،٨٦٣
١٨١٨	١،٥٠٢،١٣٢	٣٥٥،١٤٩	١،١٤٨،٩٤٨
١٨٢٢	١،٨٨١،٤٤٩	٢٦٦،١٢٢	١،٦١٥،٣٧٠
١٨٣٣	٢،٤٢١،٦٧٠	١،٩٢٧،٠٧٩	١،٦١٥،٣٧٠
١٨٤٢	٢،٩٢٦،٦٢٥	٢،١٧٦،٨٦٠	٧٤٩،٧٦٥

،

فرد لوسون، الأصول الاجتماعية للسياسة التوسعية لمصر في عهد محمد علي، ترجمة: عنان الشهاوي، مراجعة وتقديم: رؤوف عباس، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥، ص١٧١.

ملحق رقم (٤)

أسماء حكام البيت السعودي في شبه الجزيرة العربية

- محمد بن سعود
  - عبد الله
    - تركي ١٨٢٤-١٨٣٤
      - فيصل ١٨٣٤-١٨٦٥
  - عبد العزيز ١٧٦٥-١٨٠٣
    - سعود ١٨٠٣-١٨١٥
      - خالد ١٨٤٠-١٨٤٢
      - مشاري ١٨١٩-١٨٢٣
      - عبد الله ١٨١٥-١٨١٨
  - ثنيان
    - إبراهيم
      - ثنيان
        - عبد الله ١٨٤٢-١٨٤٣

عمل الباحثة بالاستناد إلى دحلان، تاريخ أشراف...، ص٩٢

ملحق رقم (٥)

أول منشور وجهه بونابرت إلى المصريين

١٨المحرّم ١٢١٣

أول يوليو ١٧٩٨

١٤من ميسدور من السنة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله، لاولد ولاشريك في ملكه.

من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية

السر عسكر الكبير أمير الجيوش الفرنساوية بونابرته

يعرف أهالي مصر جميعهم أن من زمن مديد الصناجق-الذين يتسلطون في البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق الملة الفرنساوية ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدي، فحضر الآن ساعة عقوبتهم، وأخرنا من مدة عصور، هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الإبازة والجراكسة يفسدون في الإقليم الحسن الأحسن، الذي لا يوجد في كرة الأرض كلها، فأما رب العالمين القادر على كل شيء فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم.

يا أيها المصريون

قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم فذلك كذب صريح، فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين. وإنني أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى، واحترم نبيه والقرآن العظيم. وقولوا أيضاً لهم إن جميع الناس متساوون عند الله وإن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط. وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب. فماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم ويختصوا بكل شيء أحسن فيها الجواري الحسان والخيل العتاق والمساكن المفرحة؟ فإن كانت الأرض المصرية التزاما للماليك فليرونا الحجة التي كتبها الله لهم. ولكن رب العالمين رءوف وعادل وحليم. ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعدا لا ييأس أحد من أهالي مصر عن دخول في المناصب السامية وعن اكتساب المراتب العالية. فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور، وبذلك يصلح حال الأمة كلها. وسابقاً كان في الأرض المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر، وما أزال ذلك كله إلا الظلم والطمع من المماليك.

أيها المشايخ والقضاة والأئمة والشوربجية وأعيان البلد، قولوا لأمتكم أن الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى وخربوا فيها كرسي البابا الذي كان دائما يحث النصارى على محاربة الإسلام، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها

الكوللرية الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ومع ذلك فالفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني وأعداء أعدائه أدام الله ملكه. ومع ذلك أن المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره، فما أطاعوا أصلا إلا لطمع أنفسهم.

طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلى مراتبهم. طوبى أيضاُ للذين يقعدون في مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين، فإذا عرفونا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقا إلى الخلاص ولا يبقى منهم أثر.

المادة الأولى: جميع القرى الواقعة في دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التي يمر بها عسكر الفرنساوية فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء كما يعرف المشار إليه أنهم أطاعو وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذين هو أبيض وكحلي وأحمر.

المادة الثانية: كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوي تحرق بالنار.

المادة الثالثة: كل قرية تطيع العسكر الفرنساوي أيضاً تنصب صنجاق السلطان العثماني محبنا دام بقاؤه.

المادة الرابعة: المشايخ في كل بلد يختمون حالاً جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التي تتبع المماليك وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شيء منها.

المادة الخامسة: الواجب على المشايخ والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم وعلى كل أحد من أهالي البلد أن يبقى في مسكنه مطمئنا وكذلك تكون الصلاة قائمة في الجوامع على العادة. والمصريون بأجمعهم ينبغي أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عالي أدام الله إجلال السلطان العثماني، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوي لعن الله المماليك وأصلح حال الأمة المصرية.

تحريرا بمعسكر اسكندرية في ١٣ شهر مسيدور سنة ١٢١٣من إقامة الجمهور الفرنساوي يعني في آخر شهر محرم سنة هجرية انتهى حروفه

الشناوي، يحيى، وثائق ونصوص...، ص٤٩٦-٤٩٩.



ملحق رقم(٦)

رسالة من القائد العام مينو إلى الجنرال دونزلو

مختارات من وثائق الحملة الفرنسية

١٣٣

(٢٧) - ٢٤ نوفمبر ١٨٠٠

الحرية المساواة

الجمهورية الفرنسية

مقر القيادة العامة بالقاهرة، **في** ٣ فريمير،

العام التاسع **للجمهورية الفرنسية، واحدة لا تتجزأ**

من القائد العام مينو،

إلى الجنرال دونزلو،

أبعث إليك، عزيزي الجنرال، رسالة إلى شريف مكة، أرجو أن تتأكد من وصولها إليه؛ في هذه الرسالة أؤكد له توافر الأمان والحماية التامة وهو ما سيجده هو وقومه عند مرور تجارتهم بالسويس.

سوف أدرس بإمعان مسألة الباشوية.

ما زلت أنتظر بشغف مبعوثي دارفور وسنار.

تحياتي وخالص ودي

عبد الله ج. مينو

مديحة الدوس، مختارات من وثائق الحملة الفرنسية، ١٧٩٨-١٨٠١، إعداد وترجمة: باتسي جمال الدين، أميرة مختار محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص١٣٢.

ملحق رقم(٧)

رسالة من إسماعيل باشا إلى الوالي محمد علي باشا

محفظة ٧ بحر برا

(ترجمة الوثيقة ٧٤ بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٢٣٦هـ/٢٠تشرين الثاني١٨٢٠)

من إسماعيل باشا إلى الجناب العالي:

" ...وقد قال لي مشـــائخ قبيلة العبادي بعد مرور يوم على الحرب التي وقعت بيننا وبين الشايقية قبل بضع أيام إن أخوين من الكبابيش حضرا بشنده أنهم وجدوا رجلا يمكنه الاتصال بهما فكتب ماينبغي أن يكتب وأرسلته إليهما فقدما على عبدكم يوم تاريخ هذه العريضة فقالا إنهما سمعا ملك الشرق بشنده يقول إنه لايريد قتال عبدكم هذا وإنه يقول إني سأذهب إليه (أي إلى إسماعيل باشا) وأقابله لو حضر إلى هذه الديار وأنه وصى أتباعه بهذا (أي بالجنوح إلى السلم). ومما قالا إن ملك العرب متفق مع ملك سنار وإنهما يقولا نحن نريد القتال وأن ملك الإقليم الذي يقال له حلفاية الواقع بين سنار وشنده متفق معهما أيضا وأنهم أجمعوا على القتال. وحرصوا المماليك على قتالنا فأجابوهم قائلين: نحن نعلم (أي جربنا) قتالهم ونارهم (المقصود بالنار هو الرمي) فلسنا بقادرين على القتال حتى إذا دنا (أي إسماعيل باشا) من هذه الديار فإننا نلجأ إلى الفرار مسرعين من جهة الشرق وأما المماليك، كما يؤخذ مما قال بكواتهم وكشافهم لبعض الناس وللجواسيس فقد أجمعوا أمرهم على أن يذهبوا إلى الموضع الذي يقال له (بحر أتبره) لقربه من مصوع طامعين في الذهاب إلى جهة الهند بالقوارب التي نقلهم. وقد علم من رواية الجواسيس أن عبيد المماليك الناشئين بتربيتهم قد أخذوا بعير سادتهم وفروا لاجئين إلى عربان الكبابيش. وقد ظل الشايقون حيث كانوا لما شجر بين أكابرهم من نزاع ولعدم اجتماع كلمتهم..."

حسن أحمد إبراهيم، محمد علي في السودان، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، د.ت، ص١٧٦.

ملحق رقم (٨)

رسائل سرية بين الدول الأوروبية حول استقلال محمد علي.

Lord Granville،

No. 192, June 8،

1838

Count Modem told Lord Granville what he had said to Count Mole؛ and added that he was so fully convinced of the wish of the Emperor of Russia to maintain things in their present state between the Sultan and Mehemet Ali, that he had urged the French Government to lose no time in taking steps to prevent the execution of Mehemet All's intentions؛but that if the Sultan's rights were attacked, the Emperor would march an army to his assistance.

اللورد جرانفيل،

رقم ١٩٢، ٨ حزيران

١٨٣٨

كونت مودم أخبر اللورد جرانفيل ما قاله للكونت مول، وأضاف أنه مقتنع تماماً برغبة إمبراطور روسـيا للحفاظ على الأمور في حالتها الحالية بين السـلطان ومحمد علي، أنه حث الحكومة الفرنسـية أنه يجب عدم إضـاعة الوقت في اتخاذ خطوات لمنع تنفيذ نوايا محمد علي، ولكن إذا تعرضـت حقوق السلطان للهجوم، فإن الإمبراطور سوف يسير جيشا لمساعدته

F.O. 407.ABSTRACT OF CORRESPONDENCE MEHMET .
.MAY.30.1839.P.2

ملحق رقم (٩)

من إبراهيم يكن إلى محمد علي باشا

وثيقة ٣١٥محفظة ٢٦٢عابدين (٥ذي الحجة ١٢٥٣/١/آذار/١٨٣٨)

هذا ما يعرفه عبدكم الدائم الخضوع اطلعت على مضمون الأمر السامي الواجب الامتثال الذي زاد صحيفة الصدور شرفا المؤرخ ٢٩شوال سنة ٥٣ونمرة١٥ وقد جاء فيه أن البن لم يعد يورد إلى بنادر اليمن بكثرة كما كان في السنين السابقة وأن عدم توريده أكان من ضعف المحصول البن لقدم أشجاره أم كان ناشئا عن سبب آخر مع أن أشجارها تثمر جيدا؟ وأنه إذا كان ذلك ناشئاً من قدمها فيجب سلوك طريقة في إقناع كبراء البلاد التي تحت حكمنا وترغيبهم في غرس أشجار البن وتكثيرها وأن نرفع حقيقة الأمر إلى أعتابكم السامية فأعرض أننا وقد أدخلنا مقاطعتي تعز وعدين في حوزة الحكومة المصرية عنوة كما رفعت ذلك من قبل إلى أعتابكم العلية وتيسر لنا بفضل أنفاسكم الطاهرة تأديب شرذمة المفسدين الأشرار الذين بمقاطعة تعز تظهر إقليم تعز منهم ونظمت وارداته تنظيما حسناً وقد يوجد في هذا البلد أشجار بن إلا أنها تعد من قبل الجزئيات كما أنها فنت بسبب الظلم والعدوان الواقعين في عهد حكام صنعاء أما إقليم عدن فتوجد بجبالها أشجار البن بكثرة إلا أن أكثر تلك الجبال لاتزال خاضعة للمفسدين ولم تطهر مثلما طهر إقليم تعز ويجب تأديب المفسدين القاطنين بتلك الجهات ولكنا أجلنا تأديبهم إلى حين ورود الجنود من المحروسة لأن جنودنا الحالية قليلة والحالة لا تسمح بتفريقهم وتجزيئهم ولأنهم يسكنون جبالا مخيفة. أما البن الوارد إلى السواحل فهو من الجبال التي ليست تابعة للحكومة المصرية، وأما قلة توريده بالنسبة للسنين السابقة فهو ناشئ على ما فهم عبدكم هذا عما حدث للرعية من ظلم أئمة صنعاء وعدوانهم منذ قديم الزمن وعن نفور الرعية منهم وعدم التفاتهم إلى الشؤون الملكية فاستولت القبائل على أكثر الأراضي في مقابل حقوقهم المعتادة وأخذ هؤلاء يزعج أصحاب البن لجر المنافع فتلفت أشجار البن حتى أصبح الشخص الذي يملك عشرة أفدنة لا يملك إلا فدان واحد وأصبح الرعية غير قادرين على غرس أشجار جديدة، كما أصبحوا لا يرجون فائدة من محصولها فقلت أشجار البن. فأما إذا وفتت صنعاء كما هو غاية أملنا ورفعت أيدي المفسدين عن الرعية وشمل أصحاب البن بعين المراحم الخديوية وغرست الأشجار بكل اعتناء ورغبة زاد حاصل البن عاماً بعد عام وبلغ مركزه الأول وتوفر كثير من أشجار البن...إلخ .

البطريق، من تاريخ...، ص١١٥-١١٦.

ملحق رقم(١٠)

الاتفاقية التجارية المعروفة باتفاقية بلطة ليمان (Balta leman) بين إنكلترا والإمبراطورية العثمانية:

١٦ آب ١٨٣٨

المادة الأولى:

كل الحقوق والمميزات والإعفاءات الممنوحة لرعايا وسفن بريطانيا العظمى بموجب الامتيازات والمعاهدات القائمة تعتبر الآن سارية المفعول وإلى الأبد، باستثناء ما يجري تعديله في هذه الاتفاقية، وفي الوقت نفسه فإن أي حقوق أو مميزات أو إعفاءات يمنحها الباب العالي أو في المستقبل ورعايا أية دولة أجنبية فإنه يتم منح ذلك لسفن ورعايا بريطانيا العظمى.

المادة الثانية:

يسمح لرعايا صاحب الجلالة البريطانية أو وكلائهم بابتياع جميع البضائع بدون استثناء من جميع أنحاء الإمبراطورية العثمانية(سواء للإتجار الداخلي أو للتصدير) ويتعهد الباب العالي بإلغاء جميع الاحتكارات سواء كانت على المنتجات الزراعية أو أي بضاعة أخرى مهما تكن وكذلك التصاريح الصادرة من الحكام المحليين سواء فيما يتعلق بشراء البضائع أو نقلها من منطقة إلى أخرى بعد شرائها، وأي محاولة لإجبار رعايا صاحب الجلالة البريطانية للحصول على هذه التصاريح من قبل الحكام المحليين يعتبر خرقاً للمعاهدات، وسيقوم الباب العالي على الفور بإنزال العقاب الصارم على أي وزير أو موظف يرتكب مثل هذا العمل وتعويض الرعايا البريطانيين عن كل ما يلحق بهم من أذى أو خسائر يمكنهم إثباتها.

المادة الثالثة:

إذا اشترى التاجر البريطاني أو وكيله أي بضاعة تركية بغرض بيعها في الداخل فإنه يدفع عند الشراء وعند البيع الضريبة نفسها في الأحوال المماثلة أكثر طبقات المجتمع التركي أفضلية سواء كان مسلماً أو غيره.

المادة الرابعة:

والشيء نفسه في حالة شراء التاجر البريطاني أو وكيله أي بضاعة تركية بغرض التصدير ومعفاة من جميع الضرائب أياً كانت نوعها إلى الميناء المناسب حيث يؤدي عليها ضريبة موحدة هي ٩% عوضاً عن جميع الضرائب الداخلية وبالتالي يتم دفع الضريبة الجمركية المقررة حالياً وهي ٣% عند التصدير ولكن البضائع التي يتم شراؤها من الموانئ للتصدير والتي تم دفع الضريبة عليها عند الدخول يتم دفع ٣% فقط كضريبة جمركية عليها.

المادة الخامسة:

الأنظمة الصـــادرة بموجب فرمانات لعبور الســـفن التجارية البريطانية لكل من الدردنيل والبوسفور يتم هيكلتها بشكل يحد من تأخيرها (أي السفن) قدر الإمكان.

المادة السادسة:

توافق الحكومة التركية على أن الإجراءات الواردة في هذه الاتفاقية تشـــمل جميع أنحاء الإمبراطورية في أوروبا وآسيا ومصر والمناطق الأفريقية التابعة للباب العالي وعلى جميع الرعايا العثمانيين كما توافق الحكومة التركية على حل جميع القضـــايا التجارية مع الدول الأجنبية على الأسس نفسها الواردة هذه الاتفاقية.

المادة السابعة:

كما هو متبع بين بريطانيا العظمى والباب العالي بهدف تذليل الصـــعوبات وعدم التأخير في تقدير قيمة البضـائع الواردة أو المصـدرة من الدولة العثمانية بواسـطة الرعايا البريطانيين يتم تعيين لجنـة من أشـــخاص ذوي خبرة بالأحوال في البلدين لمدة ١٤ عاماً لتحديد مبلغ النقود الواجبة الدفع حسـب التعريفة المقررة، وحيث إن اللجنة القديمة وفق الاتفاقيات السـابقة قد انتهت مدتها (ال١٤ عاماً)فإن الطرفين يوافقان على تسـمية أعضـاء جدد لتجديد مبلغ النقود التي يتفق على دفعها من قبل الرعايا البريطانيين على أساس ال٣% على جميع الواردات والصادرات، كما تقوم هذه اللجنة بوضـــع المعايير والترتيبات التي يتم بموجبها تقدير الضـــرائب الداخلية على البضـــائع التركية التي ســـيتم تصـــديرها وفقاً لما جاء في هذه الاتفاقية، كما تحدد هذه اللجنة الموانئ التي يتم فيها جمع الضرائب.

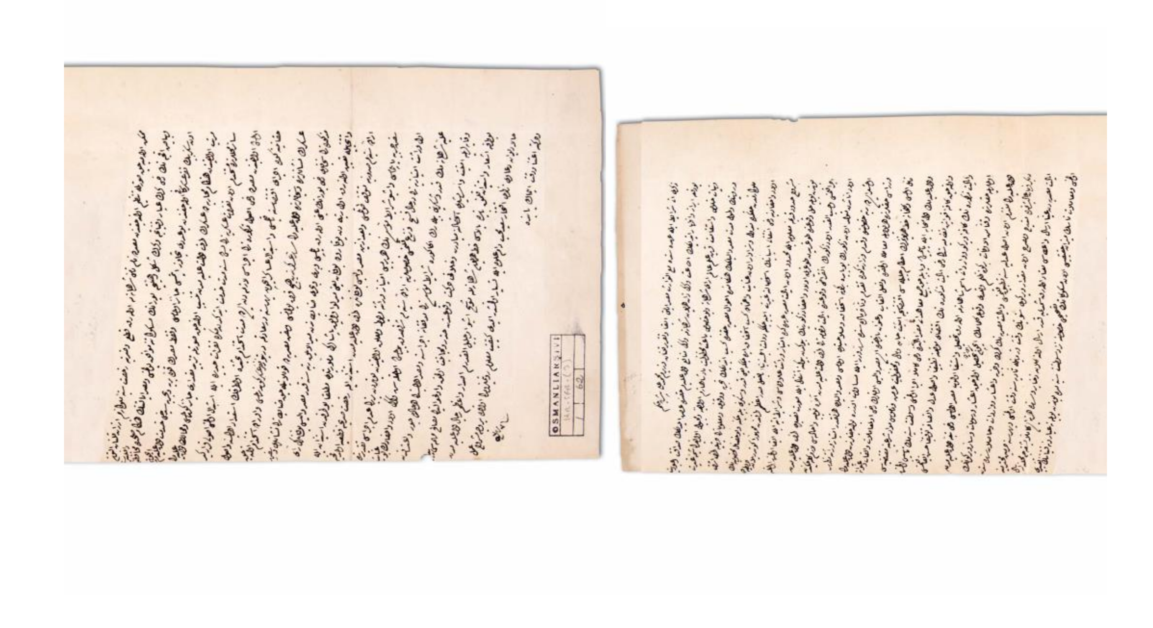
هذه التعرفة الجديدة ستكون نافذة المفعول لمدة سبع سنوات من تاريخ تحديدها وفي نهاية هذه المدة يستطيع أي من الطرفين أن يطالب بتعديلها، وإذا لم يطالب أي من الطرفين بذلك في خلال ستة شهور من انتهائها تتجدد لمدة سبع سنوات أخرى تبدأ من تاريخ انتهاء السبع سنوات الأولى وهكذا في كل نهاية سبع سنوات أخرى.

الغنام، سياسة محمد...، ص١٨٥-١٨٨.

ملحق رقم (١١)

وثيقة عثمانية رقم (HR. SFR (3) , 1/62)

إدارة مصر بالعدالة وتوفير الأمن بالشروط التي حددت من قبل الدولة العثمانية ومطابقة كل الإجراءات مع النظام العثماني وقوانينه وترك الإدارة إلى محمد علي باشا شريطة أن يدير الدولة على أصول الورائة التي تنتقل الولاية إلى الابن الأكبر



مجموعة مؤلفين، مصر في الوثائق...، ص١١٩-١٢٣

قـــائمـــــة الـــــمصادر والـــــمراجع الـــــمستخدمة:

الوثائق غير المنشورة:

١- أرشـيف دار الوثائق القومية في القاهرة، محافظ الدشـت، سـجل ١٥٥، ص٧٠٢، بتاريخ ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م.

٢-الإنكليزية: وثائق وزارة الخارجية البريطانية British Foreign office محفوظة في قسم الوثائق في المكتبة المركزية، جامعة بغداد.

F.O. 407, ABSTRACT OF CORRESPONDENCE MEHMET MAY.30.1839.

الوثائق المنشورة:

١-(الجميعي)، (عبد المنعم إبراهيم الدسـوقي)، وثائق ونصـوص في تاريخ الدولة العلية العثمانية -مصر العثمانية، د.م، د.ت.

٢-(الدوس)، (مديحة)، مختارات من وثائق الحملة الفرنسـية، ١٧٩٨-١٨٠١، إعداد وترجمة: باتسـي جمال الدين، أميرة مختار محمود، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٦.

٣-(الشـناوي)، (عبد العزيز)، (محمد جلال يحيى)، وثائق ونصـوص التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، مصر، ١٩٩٦.

٤-(تشـير فيلز)، (كريسـتيان)، كتاب نابليون والإسـلام من الوثائق العربية والفرنسـية، ترجمة: زين نجاتي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.

٥-(دريو)، (إدوار)، محمد علي ونابليون(١٨٠٧-١٨١٤) مراسـلات قناصـل فرنسا في مصـر، ترجمة: ناصـر أحمد إبراهيم، مراجعة وتقديم: رؤوف عباس حامد، الجمعية المصـرية الجغرافية، القاهرة، ١٩٢٥.

٦- (رسـتم)، (أسـد)، المحفوظات الملكية بيان وثائق الشـام وما يسـاعده على فهمها ويوضـح مقاصـد محمد علي الكبير، ٤مجلدات، منشـورات المكتبة البوليسـية، لبنان، ط٢، ١٩٨٧.

٧-(عبد العزيز)، (محمد رفعت)، الجيش المصـري وحروب الشـام الأولى(١٢٤٧-١٢٤٨/١٨٣١-١٨٣٣م) دراسـة في ضـوء وثائق عابدين، عين للدراسـات والبحوث الإنسـانية والاجتماعية، ط١، ١٩٩٠.

٨-(قورشون)، (زكريا)، (القزويني)، (محمد موسى)، سواحل نجد (الأحساء)في الأرشيف العثماني (جبل شمر - القصيم - الرياض-القطيف-الكويت - البحرين-قطر -مسقط)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

٩- (مجموعة مؤلفين)، مصر في الوثائق العثمانية، ترجمة: غالب ياووز، دائرة الأرشيف العثماني، إستانبول، ٢٠١٢.

١٠- (موجاني)، (علي) وثائق نجد تقارير الأمراء المعاصرين لظهور محمد عبد الوهاب واستقرار أول دولة لآل سعود في نجد والحجاز، ترجمة: عقيل خورشا، دار المحجة البيضاء، بيروت، ٢٠١٤.

١١- (نعيسة)، (يوسف) المرجع في وثائق تاريخية عن الشام في أثناء حملة محمد علي باشا ١٢٤٧-١٢٥٦هـ/ ١٨٣١-١٨٣٤٠، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٣-٢٠٠٤.

١٢- (نوار)، (عبد العزيز)، وثائق تاريخ العرب الحديث النهضة العربية الحديثة (حركة علي بك الكبير-التنافس الاستعماري - الحملة الفرنسية على مصر-صعود الدولة السعودية الأولى)، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.

وثائق فارسية:

١. ايران/وزارت امور خارجى/دفتر مطالعات سياسى وبين المللى/واحد نشر اسناد. "گزيده اسناد سياسى ايران وعثمانى: دوره قاجاريه." طهران، ١٩٩٠.

وثائق إنكليزية:

1. (Elias), (Ney), India Foreign and Political Dept, Precis of Papers Regarding Aden, 1838-1872, Government central branch Press.
2. -Indian Papers No IX: Correspondence relating to Aden, 28 May 1839.

المخطوطات:

١. (آل بسام)،(عبد الله بن محمد بن عبد العزيز) ، تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، نقله عن الأصل الخطي المحفوظ لدى ورثة المؤلف وهو بخطه: نور الدين شريبه، صورة المخطوطة في دارة الملك عبد العزيز، الرياض، سنة١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م.

٢. مؤلف مجهول، نبذة في ذكر ملوك آل عثمان، مخطوط، مكتبة الأسد، ((دمشق))، رقم ٧٨٥٦.

المصادر العربية والمعربة:

١- (ابن بشـــر)، (عثمان بن عبد الله)، المجد في أحوال نجد، تعليق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ٢ج، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٤، ١٩٨٢، ج١.

٢-(ابن خرداذبة)، (أبي القاسـم عبيد الله بن عبد لله)، المســالك والممالك، مطبعة ليدن، مطبعة بريل، بيروت، ١٨٨٩.

٣-(ابن ظهيرة)، (محمد بن محمد القدسـي)، فضـائل الباهرة في محاسـن مصـر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، كامل المنهدس، دار الكتب، القاهرة،١٩٦٩.

٤-(الأكوع)، (إسماعيل بن علي)، البلدان اليمانية عند ياقوت الحموي، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط٢، ١٩٨٨.

٥-(الترك)، (المعلم نقولا)، ذكر تملك جمهور الفرنســاوية الأقطار المصـــرية والبلاد الشامية، أو الحملة الفرنسية على مصر والشام، تحقيق وتقديم: الدكتور ياسين سويد، الفارابي، ١٩٩٠.

٦-(الجبرتي)، (عبد الرحمن بن حسـن)، عجائب الآثار في التراجم والأخبار،٤ج، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨، ج٣.

٧- (الحفني)، (محمد بن أحمد بن إياس)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ٥ج، حققه محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤.

٨- (الحموي)، (شـهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله)، معجم البلدان، ٥ج، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ج١.

٩-(الحميري)، (محمد عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحســـان عباس، مكتبة بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

١٠- (الخراشـي)، (سـليمان بن صـالح)، تاريخ نجد من خلال الدرر السـنية في الأجوبة النجدية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٧.

١١- (الدارندلي)، (عزت أفندي)، في ضوء مخطوط عثماني ضيانامة للدارندلي، ترجمة: جمال سعيد عبد الغني، سلسلة تاريخ المصريين ١٣٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

١٢- (الريكي)، (حســـن بن جمال بن أحمد)، لمع الشـــهاب في ســـيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق وتعليق: عبد الله صالح العثيمين، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ٢٠٠٥.

١٣- (الزركلي)، (خير الدين)، الأعلام قاموس التراجم، ٨ج، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢، ج٥.

١٤- (الشهابي)، (أحمد حيدر)، قصة أحمد باشا الجزار بين مصر والشام مع نابليون بونابرت، إعداد وتحقيق: عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٨،

١٥- (العبدلي)، (أحمد فضل بن علي محسن)، هدية من الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥١هـ.

١٦- (العشماوي)، (محمد سعيد)، مصر والحملة الفرنسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،١٩٩٩.

١٧- (المحامي)، (فريد بك)، البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية، المطبعة الأميرية، بولاق، ط١، سنة ١٣٠٨هـ.

١٨- (المحامي)، (محمد فريد بك)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: د.إحسان حقي، دار النفائس، ط١، ١٩٨١.

١٩- (المقدسي)، (شمس الدين محمد بن أحمد بن أبو بكر البناء الشامي)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ١٩٩١.

٢٠- (النصيبي)، (أبي القاسم محمد بن حوقل)، صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٢.

٢١- (النهروالي المكي)، (قطب الدين محمد بن أحمد)، البرق اليماني في الفتح العثماني (تاريخ اليمن في القرن التاسع عشر مع توسع أخبار غزوات الجراكسة والعثمانيين لذلك القطر)، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر، الرياض، ط١، ١٩٦٧.

٢٢- (بلايفير)، (إف إل)، تاريخ العربية السعيدة أو اليمن، ترجمة سعيد عبد الخير النوبان، علي محمد باحشوان، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، الجمهورية اليمنية، ط١، ١٩٩٩.

٢٣- (بيدروا)، (تخيرا)، تاريخ الخليج العربي البحر الأحمر في أسفار بيدروا تخيرا ، ترجمة عيسى أمين ، مؤسسة الأيام، البحرين ، ١٩٩٦.

٢٤- (جحاف)، (لطف الله بن أحمد)، نصوص مختارة من المخطوطة اليمنية (درر الحور العين بسيرة) "الإمام علي ورجال دولته الميامين" ١١٨٩-١٢٢٤هـ / ١٧٧٥-١٨٠٩م، نشر وتحقيق: د.سيد مصطفى سالم، مركز الدراسات اليمنية، صنعاء، ط٢، ١٩٨٩.

٢٥- (حليم)، (إبراهيم بك)، تاريخ الدولة العثمانية التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

٢٦- (دحلان)، (أحمد بن زيني)، تاريخ أشراف الحجاز (١٨٤٠-١٨٨٣) خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، تحقيق وتحليل: محمد أمين توفيق، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.

٢٧- (زخورا)، (إلياس)، مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر الرجال بمصر، المطبعة العمومية، مصر، ١٨٩٧، ج١.

٢٨- (سادلير)، (ج. فورستر)، مذكرات عن رحلة الجزيرة العربية خلال عام ١٨١٩، ترجمة: أنس الرفاعي، تقديم: عباس منصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٣.

٢٩- (سرهنك)، (إسماعيل)، حقائق الأخبار عن دول البحار، ٢ج، المطبعة الأميرية، ببولاق، ط١، ١٣١٢هـ، ج١.

٣٠- (عبد الرحمن)، (الرافعي)، عصر محمد علي، دار المعارف، ط٥، ١٩٨٩، ص ١٢٥-١٢٨.

٣١- (عوض)، (أحمد حافظ)، نابليون بونابرت في مصر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١٢.

٣٢- (مانجان)، (فيلكس)، تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي على الجزيرة العربية من كتاب تاريخ مصر في عهد محمد علي عرض الحوادث التاريخية منذ جلاء الفرنسيين حتى عام ١٨٢٣م، ترجمة وتعليق: محمد خير محمود البقاعي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٤٢٤هـ.

٣٣- (مواريه)، (جوزيف)، مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر، ترجمة كاميليا صبحي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٠.

٣٤- (هيرولد)، (ج. كريستوفر)، بونابرت في مصر، ترجمة: فؤاد أندراوس، مراجعة: محمد أحمد أنيس، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

٣٥- مؤلف مجهول، الأيام الأولى للحملة الفرنسية على مصر رسائل لقادتها، ترجمة وتعليق: يوسف شرارة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١١.

المراجع العربية والمعربة:

١- (أباظة)، (فاروق عثمان)، الحكم العثماني في اليمن، ١٨٧٢ -١٩١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥.

٢-(أباظة)، (فاروق عثمان)، عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧.

٣- (إبراهيم)، (حسن أحمد)، محمد علي في السودان، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، د.ت.

٤-(إبراهيم)، (خليل أحمد)، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني، دار الكتب، الموصل، ١٩٨٣.

٥-(إبراهيم)، (عبد العزيز عبد الغني)، حكومة الهند البريطانية والإدارة في الخليج العربي دراسة وثائقية، دار المريخ، الرياض، ط١، ١٩٨١.

٦-(إبراهيم)، (عيسى علي)، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار الجامعة المعرفية، مصر، ٢٠٠٠.

٧-(أبو الفضل)، (محمد عبد الفتاح)، الصحوة المصرية في عهد محمد علي، مجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٩.

٨- (أبو طالب)، (فتحي)، الصراع الدولي على عدن والدور المصري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.

٩- (أبو علية)، (عبد الفتاح حسن)، تاريخ الدولة السعودية الثانية ١٢٥٦-١٣٠٩/١٨٤٠-١٨٩١، دار المريخ، الرياض، ١٩٩١.

١٠- (أبو علية)، (عبد الفتاح حسن)، محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى ١٧٤٤-١٨١٨، دار المريخ، الرياض، ط٢، ١٩٩١.

١١- (أبو لقمة)، (الهادي مصطفى)، (الأعور)، (محمد علي)، الجغرافيا البحرية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، بنغازي، ط٢، ١٩٩٩.

١٢- (أرسلان)، (شكيب)، تاريخ الدولة العثمانية، تحقيق وتعليق: حسن السماحي سويدان، دار التربية-دار ابن كثير، دمشق-بيروت، ٢٠٠١.

١٣- (البطريق)، (عبد الحميد)، (نوار)، (عبد العزيز)، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٥.

١٤- (البطريق)، (عبد الحميد)، من تاريخ اليمن الحديث(١٥١٧-١٨٤٠)، مركز الدراسات والبحث اليمني، صنعاء، ١٩٦٩.

١٥- (البكري)، (صلاح)، في جنوب الجزيرة العربية مزين بالخرائط والصور والرسوم الفنية، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٤٩.

١٦- (الجمل)، (شوقي عطا الله)، (إبراهيم)، (عبد الله عبد الرزاق)، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، دار الزهراء، الرياض، ط٢، ٢٠٠٢.

١٧- (الجيب)، (فوزية)، تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين ١٥٢٠-١٦٠٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣

١٨- (الحاج)، (لويس)، مشكلة المضايق والعلاقات الروسية التركية، سلسلة الثقافة السياسية، منشورات دار المكشوف، بيروت، ط١، ١٩٤٧.

١٩- (الحميد)، (عبد اللطيف بن محمد)، البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العلمية الأولى(١٣٣٢-١٣٣٧هـ/١٩١٤-١٩١٨)، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٤.

٢٠- (الدغيم)، (محمود السيد)، أضواء على البحرية الإسلامية العثمانية، ندوة اتحاد المؤرخين العرب(٢٢-٢٤جمادى الأولى١٤١٤هـ-٦-٨تشرين الثاني ١٩٩٣)، الحضارة الإسلامية وعالم البحار(بحوث ودراسات)، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٩٩٤.

٢١- (الدقن)، (السيد محمد)، السلطان طومان باي والمقاومة المصرية للغزو العثماني، جامعة الأزهر، القاهرة، ٢٠٠٢-٢٠٠٣.

٢٢- (الديهي)، (نشأت)، محمد علي باشا، بدايات قاسية ومجد عظيم، دار الجمهورية للصحافة، مصر، ٢٠٠٩.

٢٣- (الرجوي)، (جميلة هادي)، محمد علي واليمن(١٣٣٣-١٣٥٦/١٨١٨-١٨٤١)، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط١، ٢٠٠٦.

٢٤- (الرفاعي)، (عبد العزيز)، انتصار مصر في الرشيد، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، دار القلم، القاهرة،١٩٦٢.

٢٥- (الريحاني)، (أمين)، تاريخ نجد الحديث وسيرة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل آل سعود ملك الحجاز وملحقاتها، دار الجيل، بيروت، ط٦، ١٩٨٨.

٢٦- (الريحاني)، (أمين)، ملوك العرب رحلة في البلاد العربية مزينة برسوم وخرائط وفهرست أعلام الحجاز - اليمن - عسير -لحج والنواحي المحمية، ٢ج، دار الجبل، بيروت، ط٨، ١٩٨٧، ج١.

٢٧- (السكندري)، (عمر)، (حسن)، (سليم)، تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قبيل الوقت الحاضر، راجعه: أ.ج، سفيدج، سلسلة صفحات من تاريخ مصر ٦، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦.

٢٨- (السلمان)، (محمد حميد)، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في فترة مابين ١٥٠٧-١٥٢٥، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات، ٢٠٠٠.

٢٩- (الشلق)، (أحمد زكريا)، العرب والدولة العثمانية من الخضوع والخضوع والمواجهة ١٥١٦-١٩١٦، مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢.

٣٠- (الضيقة)، (حسن)، دولة محمد علي والغرب الاستحواذ والاستقلال، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٢.

٣١- (العابد)، (صالح محمد)، موقف من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ١٧٩٨-١٨٠١، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٨-١٩٧٩.

٣٢- (العاملي)، (محسن الأمين الحسيني)، كشف الارتياب في إتباع محمد بن عبد الوهاب، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، قم، ٢٠٠٧.

٣٣- (العجلاني)، (منير)، تاريخ الدولة السعودية الثانية الإمام تركي بن عبد الله بطل نجد ومحررها ومؤسس الدولة السعودية الثانية، ٦ج، دار الشبل، رياض، ١٩٩٠،

٣٤- (العزاوي)، (قيس جواد)، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣.

٣٥- (العقاد)، (صلاح)، التيارات السياسية في الخليج العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت.

٣٦- (العقبي)، (أحمد)، حسين التنافس الانجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ١٣٣٠هـ.

٣٧- (العمري)، (حسين عبد الله)، مئة عام من تاريخ اليمن الحديث (١١٦١-١٢٦٤/ ١٧٤٧-١٨٤٨م)، المكتبة العلمية، دمشق، ١٩٨٤.

٣٨- (العيدروس)، (محمد حسن)، السياسة الإدارية في سنجق الإحساء العثماني، دار المتنبي للطباعة والنشر، د.ت.

٣٩- (العيدروس)، (محمد حسن)، السياسة العثمانية في الخليج العربي في النصف الأول من القرن التاسع عشر، دار المتنبي للطباعة والنشر، ط١، د.ت.

٤٠- (العيدروس)، (محمد حسن)، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨.

٤١- (العيدروس)، (محمد حسن)، سقوط الحكم البرتغالي في الخليج العربي(١٦٢٢-١٦٥٠)، دار المتنبي للطباعة والنشر، أبو ظبي، ١٩٩٧.

٤٢- (العيس)، (محمد الفهد)، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، تقديم: حمد الجاسر، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٩٩٥.

٤٣- (الغنام)، (سليمان)، سياسة محمد علي باشا التوسعية في الجزيرة العربية والسودان واليونان وسوريا(١٨١١-١٨٤١) قراءة جديدة، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط٢، ٢٠٠٤.

٤٤- (الكيلاني)، (جمال فالح)، زياد حمد الصميدعي، تاريخ الدولة العثمانية رجال وحوادث، منظمة المغربية للتربية والثقافة والعلوم، فاس، ط١، ٢٠١٣.

٤٥- (المقرحي)، (ميلاد أ)، تاريخ أوروبا الحديث(١٤٥٣-١٨٤٨)، منشورات قان يونس، بنغازي، ط١، ١٩٩٦.

٤٦- (الموعد)، (حمد سعيد)، أمن الممرات المائية العربية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٩.

٤٧- (الهيثمي)، (صبري فارس)، (أبو سمور)،(حسن)، جغرافيا الوطن العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٩.

٤٨- (أوزتونا)، (يلماز)، تاريخ الدولة العثمانية، ٢مج، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: د. محمود الأنصاري، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، إستانبول، ١٩٨٨، مج١.

٤٩- (إيفانوف)، (نيقولاي)، الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤، ترجمة: يوسف عطا الله، مراجعة وتقديم: د. مسعود ضاهر، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

٥٠- (إينالجيك)، (خليل)، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد أرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢.

٥١- (بازيلي)، (قسطنطين)، سورية وفلسطين تحت الحكم العثماني، ترجمة: طارق معصراني، دار التقدم، موسكو، ١٩٨٩.

٥٢- (بروكلمان)، (كارل)، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٦٨.

٥٣- (بطي)، (أحمد عبيد)، الصراع البرتغالي في القرن السادس عشر، ندوة الثقافة والعلوم، دبي، ١٩٩١.

٥٤- (بلاك)، (جيرمي)، تاريخ الدبلوماسية، ترجمة: أحمد علي سالم، مراجعة: سعيد الغانمي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة مشروع الكلمة، أبو ظبي، ٢٠١٣

٥٥- (بن خميس)، (عبد الله بن محمد)، المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية معجم اليمامة، ج٢، طابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط٢، ١٩٨٠، ج١.

٥٦- (بيومي)، (طارق عبد العاطي غنيم)، سياسة مصر في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩.

٥٧- (تومانوفيتش)، (نتاليا نيكولايفنا)، الدول الأوروبية في الخليج العربي من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر، ترجمة سمير نجم الدين سطاس، تقديم ومراجعة: قسم الدراسات والنشر والشؤون الثقافية بالمركز، مركز الماجد للثقافة والتراث، دبي، ط١، ٢٠٠٦.

٥٨- (جاويش)، (محمد إسماعيل)، من عجائب الخلق في عالم البحار، الدار الذهبية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥.

٥٩- (جبارة،)، (تيسير)، تاريخ الدولة العثمانية(١٢٨٠-١٩٢٤م)، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ٢٠١٥.

٦٠- (جرادات)، (وليد محمد)، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، دوحة، ط١، ١٩٨٦.

٦١- (جلال)، (يحيى)، معالم التاريخ الحديث، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٦.

٦٢- (جميل)، (سيار)، تكوين العرب الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ١٩٩٧.

٦٣- (جيمس)، (لورانس) شـــروق الإمبراطورية البريطانية وغروبها، ترجمة وتقديم: عبد الله عبد الرازق إبراهيم، مراجعة: شـــوقي عطا الله الجمل، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٦، ج١.

٦٤- (حافظ)، (صلاح الدين)، صراع القوى العظمى حول القرن الافريقي، سلسلة عالم المعرفة ٤٩، منشورات المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٢،

٦٥- (حجر)، (جمال محمود)، القوى الكبرى والشرق الأوسط (في القرنين التاسع عشر والعشرين)، تقديم: عمر عبد العزيز عمر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٩.

٦٦- (حراز)، (السيد رجب)، الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب ١٨٤٠-١٩٠٩، معهد البحوث والدراسات، الرياض، ١٩٧٠.

٦٧- (حســون)، (علي) تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الإســلامي، بيروت، ط٣، ١٩٩٤.

٦٨- (حسـون)، (علي)، العثمانيون والروس، المكتب الإســلامي، بيروت-دمشــق، ط١، ١٩٨٢.

٦٩- (حسين)، (عبد الله)، السودان من التاريخ القديم إلى البعثة المصرية، ٤أجزاء، مطبعة الرحمانية، القاهرة، ١٩٣٥، ج١.

٧٠- (حنظل)، (فالح)، العرب والبرتغال في التاريخ ٣٩هـ إلى ١١٣٤هـ ٧١١م إلى ١٧٢٠م، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط١، ١٩٩٧.

٧١- (دا جنت)، (روجيه جوانت)، تاريخ البحر الأحمر من موسى حتى بونابرت، ترجمة حسن نصر الدين، مراجعة وتقديم: محمد عفيفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة،٢٠١٣.

٧٢- (دودويل)، (هنري)، الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد علي مؤسس مصر الحديثة، ترجمة: أحمد محمد عبد الخالق، علي أحمد شكري، مكتبة الآداب، الجماهير، د.ت.

٧٣- (دي غوري)، (جيرالدي)، حكام مكة، ترجمة: محمد شـــهاب، تنســيق ومراجعة: محمد علي سويد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.

٧٤- (ذهني)، (إلهام محمد علي)، مصـر في كتابات الرحالة والقناصـل الفرنسـيين في القرن الثامن عشر، سلسة تاريخ المصريين٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

٧٥- (رافق)، (عبد الكريم) العرب والعثمانيون (١٥١٦-١٩١٦)، مكتبة أطلس، دمشـق، ط١، ١٩٧٤.

٧٦- (رافق)، (عبد الكريم)، المشرق العربي في العهد العثماني، منشورات جامعة دمشق، ط٨، ٢٠٠٢-٢٠٠٣.

٧٧- (رافق)، (عبد الكريم)، دراسات في تاريخ العرب الحديث بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت(١٥١٦-١٧٩٨)، جامعة دمشق، ط٢، ١٩٦٨.

٧٨- (زكي)، (عبد الرحمن)، التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير، دار المعارف، مصر، ١٩٥٠.

٧٩- (زيد)، (سعيد عبد الحكيم)، نصارى العرب وأقباط مصر قراءة تاريخية ورؤية تحليلية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨.

٨٠- (زيدان)، (جرجي)، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ٢ج، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢، ج١.

٨١- (زينب عصمت)، (راشد)، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ٢ج، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ج١.

٨٢- (سالم)، (السيد عبد العزيز)، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة الشباب الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٣.

٨٣- (سبي)، (عثمان صالح)، صراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

٨٤- (سلوت)، (ب.ج) ،عرب الخليج في ضوء مصادر شركة الهند الشرقية الهولندية ١٦٠٢-١٧٨٤، ترجمة: عايدة خوري، مراجعة: د. محمد مرسي عبد الله، المجمع الثقافي، أبوظبي، ط١، ١٩٩٣.

٨٥- (سمحات)، (قاسم)، محمد علي باشا والمشروع الفرنسي في بلاد الشام ١٨٠٤-١٨٥٠، د.م، د.ت.

٨٦- (سهير)، (حلمي)، أسرة محمد علي، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، ٢٠٠٣.

٨٧- (سوليه)، (روبير) مصر ولع فرنسي، ترجمة لطيف، فرج، مكتبة الأسرة، القاهرة، ١٩٩٩.

٨٨- (سينويه)، (جيلبرت)، الفرعون الأخير محمد علي ١٧٧٠-١٨٢٩، ترجمة: عبد السلام المودني، تقديم: ديروش نوبلكور، منشورات الجمل، بغداد-بيروت، ٢٠١٢.

٨٩- (شاكر)، (محمود)، التاريخ الإسلامي العهد العثماني، ٢٢مج، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ٢٠٠٠.

٩٠- (شاكر)، (محمود)، السودان، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨١

٩١- (شبارو)، (عصام محمد)، المقاومة الشعبية المصرية للاحتلال الفرنسي والغزو البريطاني، دار التضامن، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

٩٢- (شرف)، (عبد العزيز)، الجغرافية المناخية والنباتية مع تطبيق على مناخ أفريقيا ومناخ العالم العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٠.

٩٣- (شقير)، (نعوم)، تاريخ السودان، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١.

٩٤- (شكري)، (محمد فؤاد)، الحكم المصري في السودان (١٨٢٠-١٨٨٥)، دار الفكر العربي، ١٩٤٧.

٩٥- (شكري)، (محمد فؤاد)، الصراع بين البرجوازية والإقطاع ١٧٨٩-١٨٤٨، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة،٢ج، القاهرة، ٢٠١٢، ج٢.

٩٦- (شهاب)، (حسن صالح)، أضواء على تاريخ اليمن البحري، دار العودة، بيروت، ط٢، ١٩٨١.

٩٧- (شيخاني)، (سمير)، صانعو التاريخ، ٢ج، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩١، ج١.

٩٨- (صابان)، (سهيل) معجم المصطلحات العثمانية التاريخية ، مراجعة: عبد الرزاق محمد حسن بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ٢٠٠٠.

٩٩- (صليبا)، (جورج)، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ٢ج، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج١، ١٩٨٢،

١٠٠-(ضرار)، (ضرار صالح)، تاريخ السودان الحديث، مكتبة الحياة، بيروت، ط٤، ١٩٦٨.

١٠١- (طقوش)، (سهيل)، تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، دار النفائس، بيروت، ط٣، ٢٠١٣.

١٠٢- (طقوش)، (محمد سهيل)، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام ٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

١٠٣- (طه)، (جاد)، سياسة بريطانيا في جنوب اليمن، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٩.

١٠٤- (طه)، (جاد)، معالم تاريخ مصر الحديث والمعاصر، دار الفكر العربي، مصر، ١٩٨٥.

١٠٥- (عامر)، (محمود علي)، تاريخ الإمبراطورية العثمانية دراسة تاريخية واجتماعية، منشورات دار الصفدي، ط١، ٢٠٠٤.

١٠٦- (عامر)، (محمود علي)، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، منشورات جامعة دمشق، ١٩٨٤-١٩٨٥.

١٠٧- (عبد الرحيم)، (عبد الرحمن عبد الرحيم)، فصول من تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، تاريخ المصريين ٣٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠.

١٠٨- (عبد الرحيم)، (عبد الرحيم عبد الرحمن)، الريف المصري في القرن الثامن عشر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦.

١٠٩- (عبد العزير سليمان)، (نوار)، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داوود باشا إلى نهاية حكم مدحت باشا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨

١١٠-(عبد الفتاح)، (عصام)، حكاية مؤسس مصر الحديثة الحلم والتجربة ورجل سبق عصره أيام محمد علي عبقرية الإرادة. وصناعة التاريخ، الشريف ماس للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٣.

١١١- (عبد الله)، (أمين مصطفى عفيفي) تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥١.

١١٢- (عبد المعطي)، (حسام محمد)، العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر، سلسلة تاريخ المصريين ١٤٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩.

١١٣- (عبيد)، (جميل)، قصة احتلال محمد علي لليونان(١٨٢٤-١٨٢٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٩٠.

١١٤- (عثمان)، (شوقي عبد القوي)، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ٤١-٩٠٤هـ / ٦٦١-١٤٩٨م)، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد١٥١، تموز، ١٩٩٠.

١١٥- (علوش)، (ناجي)، الوطن العربي الجغرافية الطبيعية والبشـرية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٨٦.

١١٦- (علي)، (صـلاح أحمد هريدي)، دراسـات في تاريخ مصـر الحديث والمعاصر (١٥١٧-١٨٨٢)، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٧.

١١٧- (عمر الحبشـي)، (محمد)، اليمن الجنوبي سياسياً واقتصادياً واجتماعياً منذ عام ١٩٣٧حتى قيام جمهورية اليمن الجنوبية الشعبية، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨.

١١٨- (عمر)، (عمر عبد العزيز)، تاريخ المشـرق العربي (١٥١٦-١٩٢٢)، النهضة العربية للطباعة، بيروت، د.ت.

١١٩- (عودة)، (محمد)، الحملة الفرنسـية على مصـر نحتفل أولا نحتفل، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط١، ١٩٩٩.

١٢٠- (عوف)، (أحمد محمد)، أحوال مصـر من عصـر لعصـر من الفراعنة إلى اليوم، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

١٢١- (فرج)، (السيد)، حروب محمد علي، مطبعة التوكل، مصر، ١٩٩٩.

١٢٢- (فشـر)، (هربرت)، نابليون، ترجمة، محمد نوفل، مصـطفى زيادة، المطبعة الرحمانية، مصر، ط١، ١٩٢٧.

١٢٣- (فيسـي)، (وليام)، الدرعية والدولة السـعودية الأولى، مؤسسة التراث بالتعاون مع مركز لندن للدراسات العربية، رياض-كنغستون تشرتش ستريت، ١٩٩٩.

١٢٤- (فيلبي)، (سـنت جون)، تاريخ نجد ودعوة محمد عبد الوهاب السـلفية، ترجمة: عمر الديسراوي، مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٩.

١٢٥- (قازان)، (نزار)، سـلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الانكشـارية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢.

١٢٦- (قاسم)، (جمال زكريا)، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ٥مج، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٦، مج١.

١٢٧- (قاسمية)، (خيرية)، تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (تاريخ أوروبا المعاصر)، جامعة دمشق، ١٩٨١-١٩٨٢.

١٢٨- (قدورة)، (زاهية)، تاريخ العرب الحديث شبه الجزيرة العربية كياناتها السياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.

١٢٩- (قلعجي)، (قدري)، الخليج العربي بحر الأساطير، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٩٢.

١٣٠- (قورشون)، (ذكريا)، العثمانيون وآل سعود في الأرشيف العثماني (١٧٤٥-١٩١٤)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

١٣١- (كزارا)، (فريد)، التوابل والتاريخ الكوني، ترجمة: ايزميرالدا حميدان، هيئة أبو ظبي لثقافة والتراث (كلمة)، ٢٠١٠.

١٣٢- (كفافي)، (حسين)، محمد علي رؤية لحادثة القلعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢.

١٣٣- (كورخان)، (كارولين جوتييه)، العلاقات المصرية الفرنسية في عهد محمد علي١٨٠٥-١٨٤٩قصة فريدة لنابليون الشرق، ترجمة: نانيس حسن عبد الوهاب، مراجعة وتقديم مجدي عبد الحافظ، المركز القومي للترجمة، مصر، ط١، ٢٠١٥.

١٣٤- (كوندوز)، (أحمد آق)، (أوزتورك)، (سعيد)، الدولة العثمانية المجهولة ٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، استانبول، ٢٠٠٨.

١٣٥- (كيلي)، (جون. ب)، والخليج ١٧٩٥-١٨٧٠، ٢ج، ترجمة: محمد أمين عبد الله، طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، سلطنة عمان، د. ت.

١٣٦- (لاوندا)، (يعقوب)، يهود مصر في الفترة العثمانية العثمانية(١٥١٧-١٩١٤)، ترجمة: جمال الرفاعي، أحمد عبد اللطيف، المشروع القومي للترجمة، مصر، ٢٠٠٠.

١٣٧- (لورنس)، (هنري)، وآخرون، الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام، ترجمة: بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٥.

١٣٨- (لوريمر)، (ج.ج)، تاريخ المملكة العربية السعودية في دليل الخليج، صنفه وعلق عليه: سعيد بن عمر آل عمر، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، الرياض ط١، ١٩٩٦.

١٣٩- (لوسون)، (فرد)، الأصول الاجتماعية للسياسة التوسعية لمصر في عهد محمد علي، ترجمة: عنان الشهاوي، مراجعة وتقديم: رؤوف عباس، المشروع القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥.

١٤٠- (مانتران)، (روبير)، تاريخ الدولة العثمانية،٢ج، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة -باريس، ١٩٩٤، ج١.

١٤١- (مجموعة باحثين)، الصـــلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية (مجموعة أبحاث)، ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية (١٠-١٢ ربيع الآخر ١٤٠٢هـ/ ١٩-٢١تشرين الثاني١٩٨٨)، مركز الدراسات والوثائق، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠١.

١٤٢- (مجموعة مؤلفين)، تاريخ البحرية المصـــرية، مكتبة الأهرام التجارية، مصـــر، ١٩٧٣.

١٤٣- (مجموعة مؤلفين)، تاريخ الحضارات العام (القرن الثامن عشر)، إشراف: موريس كروزيه، ترجمة: أســـعد داغر، فريد م داغر، مجلدات٧، منشـــورات عويدات، بيروت - باريس،١٩٨٧، مج ٥.

١٤٤- (مجموعة مؤلفين)، مجمل في التاريخ المصـري، مطبعة مصـطفى البابي وأولاده، مصر، ط١، ١٩٤٢.

١٤٥- (مجموعة مؤلفين)، هولندا والعالم العربي منذ القرون الوســـطى حتى القرن العشرين، العلوم - اللغة - التجارة - الثقافة والفن، تعريب: أسعد جابر، ظهرت هذه النشرة إلى النور بالتعاون مع وزارة الخارجية في لاهاي، هولندا، ١٩٨٥.

١٤٦- (محمد)، (آمال إبراهيم)، الصـراع الدولي حول البحر الأحمر في النصـف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الدراسات والبحث اليمني، صنعاء، ط١، ١٩٩٣.

١٤٧- (محمد)، (رفعت)، تاريخ مصـر السـياسـي في الأزمنة الحديثة، مطبعة الأميرية، بولاق، ١٩٣٤.

١٤٨- (محمد)، (نجاح)، تاريخ جزيرة العرب الحديث، منشورات جامعة دمشق، ٢٠١١-٢٠١٣.

١٤٩- (مصـــطفى)، (نادية محمود)، العصـــر العثماني من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

١٥٠- (مهنا)، (محمد نصر)، دليل الخليج العربي دراسة في العلاقات الدولية والاقليمية، المكتب الجامعي الحديث، اسكندرية، د.ت.

١٥١- (ناجي)، (سـلطان)، التاريخ العسـكري لليمن ١٨٣٩-١٩٦٧ دراســة ســياســية والأنشـطة العسـكرية بالأوضــاع والتغيرات السـياسـية، دائر ة التوجيه المعنوي، صـنعاء، ط٣، ٢٠٠٤.

١٥٢- (نجاد)، (عبد الله محمد علي)، الأهمية الاســـتراتيجية للجزر اليمنية في البحر الأحمر وخليج عدن(١٩٤٥-١٩٧٣)، دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، ٢٠٠٦.

١٥٣- (نجم)، (زين العابدين شـمس الدين)، تاريخ الدولة العثمانية، دار المسـيرة للنشـر والطباعة، عمان، ط١، ٢٠١٠.

١٥٤- (نخلة)، (محمد عرابي)، تاريخ الإحسـاء السـياسـي، منشـورات ذات السـلاسـل، كويت، ١٩٧٤.

١٥٥- (نعيسة)، (يوسف)، تاريخ العرب الحديث والمعاصر (مصر والسودان)، منشورات جامعة دمشق، ٢٠٠٧-٢٠٠٨.

١٥٦- (نوار)، (عبد العزيز سليمان)، الشعوب الإسلامية، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٣.

١٥٧- (هريدي)، (محمد عبد اللطيف)، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في الانحسار المد الإسلامي عن أوروبا، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٨٧،

١٥٨- (هريدي،)، (فرغلي علي تســن)، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصــر الكشــوف- الاستعمار – الاستقلال، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، كفر الشيخ، ط١، ٢٠٠٨.

١٥٩- (هلال)، (علي الدين)، التطور السـياسـي في مصـر ١٨٠٥-٢٠٠٥، موقع كتب عربية، مصر، ٢٠٠٦.

١٦٠- (هول)، (ريتشـارد)، امبراطوريات الرياح الموسـمية، ترجمة كامل يوسـف حسـين، مركز للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٩.

١٦١- (واصف بك)، (أمين)، معجم الخريطة التاريخية للممالك الإسلامية، تحقيق: أحمد ذكي باشا، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٩١٦.

١٦٢- (ويلســون)، (أرنولد تالبوت)، الخليج العربي، ترجمة عبد القادر اليوســف، الفجر للطباعة والنشر، الكويت، د.ت.

١٦٣- (ياغي)، (اســـماعيل أحمد)، الدولة العثمانية في تاريخ العربي الحديث، مكتبة العبيكان، رياض، ١٩٩٦.

١٦٤- (يحيى)، (جلال)، مصر الحديثة (١٥١٧-١٨٠٥)، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ت.

١٦٥- (يوسف)، (مسعد يوسف)، عظماء من العالم نابليون بونابرت، المركز العربي الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٨٨.

الرسائل والأطاريح:

١- (الأسطل)، (رياض محمود)، الصراع الإسلامي البرتغالي وأثره في حركة التجارة الدولية، إشراف: د.أبو الفتح محمد صغير الدين، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه قسم الحضارة الإسلامية ومقارنة الأديان، جامعة السند، باكستان، ١٩٩١ .

٢-(التكريتي)، (سناء إبراهيم جاسم)، التوسع المصري في الجزيرة العربية (١٨١١-١٨٤٠)، اشراف: إبراهيم سعيد البيضاني، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠٠٣.

٣-(الجرافي)، (ابتسام محمد حسين)، العلاقات التجارية اليمنية البريطانية (من أوائل السابع عشر حتى ١٨٣٩)، إشراف سيد مصطفي سالم، رسالة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب جامعة صنعاء، ٢٠٠٥.

٤-(الدليمي)، (ثامر عزام حمد)، المقاومة العربية لسياسة الاحتلال البريطاني لعدن ١٨٣٩-١٨٥٤، إشراف: أ.م د. مؤيد محمود حمد المشهداني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، جامعة تكريت، ٢٠٠٥.

٥-(الروقي)، (عائض بن خزام)، حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية(١٢٤٧-١٢٥٥/١٨٣١-١٨٣٩)، وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مركز بحوث الدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ.

٦-(الصافي)، (محمد حسين)، العلاقات التجارية بين الشرق والغرب عبر البحر الأحمر في القرن ٨هـ-١٤م، إشراف: عبد الغني محمود العاطي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه قسم التاريخ شعبة العصور الوسطى، جامعة صنعاء، ٢٠٠٨.

٧-(الصيرفي)، (نوال)، النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، دارة الملك عبد العزيز، رياض، ١٩٨٣، منشورة.

٨-(المسعود)، (خليفة بن عبد الرحمن بن خليفه)، موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية (١٢٣٤-١٢٨٢هـ/١٨١٨-١٨٦٦م) دراسة تاريخية وثائقية، إشراف: عايض بن خزام الروقي، أطروحة مقدمة لنيل الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الحديث، جامعة أم القرى كلية

الشــريعة الدراســات الإســلامية قســم الدراســات العليا التاريخية والحضــارية، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠.

المجلات:

١-مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية.

٢-مجلة آداب البصرة.

٣-مجلة الآداب المستنصرية.

٤-مجلة التربية والعلم.

٥-مجلة الدارة.

٦-مجلة السياسة الدولية.

٧-مجلة الفكر السياسي.

٨-مجلة الفيصل.

٩- مجلة المؤرخ المصري دراسات وبحوث تاريخية.

١٠- مجلة الهلال.

١١- مجلة الوثيقة.

١٢- مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١٣- مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية.

١٤- مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية.

١٥- مجلة دعوة الحق.

١٦- مجلة سر من رأى.

١٧- مجلة كلية الآداب، جامعة الزقازيق.

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية:

اللغة الإنكليزية:

1. (Bidwell), (Robin),The two Yemen, Longman Group and Westview Press, 1983

2. (Geoffrey Allen), (Pigman), Trade Diplomacy Transformed: Why Trade Matters for Global Prosperity. Lulu. Com, 2016

3. (Hunter), (Frederick Mercer), An account of the British settlement of Aden in Arabia, Routledge, 2013.



4. (J Shaw), (Stanford), History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: Empire of the Gazis: The Rise and Decline of the Ottoman Empire 1280-1808, 2Volume, University of California, Los Angeles,2002, Volume1

5. (Kour), (Z. H), The History of Aden 1839-1872, London, 1981.

6. (Imber) ,(Colin), The Ottoman Empire 1300–1650 The Structure of Power, Palgrave Macmillan, New York, 2002,

الفرنسية:

1. (THIERS), (PARLOUIS ADOLPHE), EXPÉDITION DE BONAPARTE EN EGYPTE, HENRY HOLT AND COMPANY F, W. CHRISTERN, BOSTON, 1894.

باللغة الفارسية:

١- (زول)، (البر ماله إيزااك)، تاريخ قرن هجدهم انقلاب كبير فرانسه وامبراطورى نابلئون، ترجمه رشيد ياسمى، چاپ و صحافى چاپخانه سسبهر، تهران، ١٣٦٢.

الموسوعات:

١-(الزيدي)، (مفيد)، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ٢ج، دار أسامة، عمان، ٢٠٠٢، ج٢.

٢-(شاكر)، (محمود)، موسوعة تاريخ الخليج، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣.

٣-(كيالي)، (عبد الوهاب)، الموسوعة السياسية، ٧ج، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩، ج١.

٤-مجموعة مؤلفين، الموسوعة العربية الميسرة،٧مج، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩، مج٦.

المواقع الإلكترونية:

١-أخبار ٢٤الرابط الآتي:
http://akhbaar24.argaam.com/article/galleryimages/23327

٢-الموسوعة الحرة، الرابط الآتي: https://ar.wikipedia.org/wiki



Abstract

This study deals with the international conflict on the Red Sea, between 1798 and 1841 by tracing the political and historical roles that have been associated with the sea since the French campaign in Egypt to the signing of the Treaty of London and the efforts made by the conflicting and competing countries to control it and reflect this importance on the international situation

Since the establishment of the geographical disclosure movement in Portugal and the discovery of the road of the Cape of Good Hope, the role of the Red Sea has declined. The new road became the direct water crossing between the East and the West. The role of the Red Sea was limited to being an inland sea. This was a major blow to the Arab-Islamic economy. One of the main reasons that led to the fall of the Mamluk Sultanate and the rise of the Ottoman Sultanate, which took control of the region and deprived European ships from entering the Red Sea and made it an Islamic lake despite the attempts of commercial companies (Dutch - English - French) access to the countries bordering the Red Sea.

When the European countries witnessed a comprehensive Renaissance at the end of the 18th century and the beginning of the nineteenth century, which led to an industrial revolution in all spheres of life, economic movement flourished. European countries began to look at the importance of the Red Sea, especially after the French campaign against Egypt To reach the road of India to stand between them and their colonies, but it found a great conflict with France to maintain its influence in the Red Sea as Russia sought its wars with the Ottoman Sultanate to have a foothold in the region from here began the international conflict on this sea, It was attacked by several measures, including England controlling Aden in 1838, and treaties ending the commercial monopoly and political influence of Egypt such as the Treaty of Lehman and the London Treaty of 1841, concluding this study. The most important results achieved.

Syrian Arab Republic

Damascus University

Faculty of Arts and Humanities

Department of History



International conflict upon the red sea between (1798-1841) historical-political Studies

A research project prepared for the master's degree in the history of modern and contemporary Arabs

Done by:

Samah Ahmad Mohrez

Supervision:

Assistant Professor. Dr. Abdul Moneim Al Ahmad

Academic year

1438 AH / 2018 AD